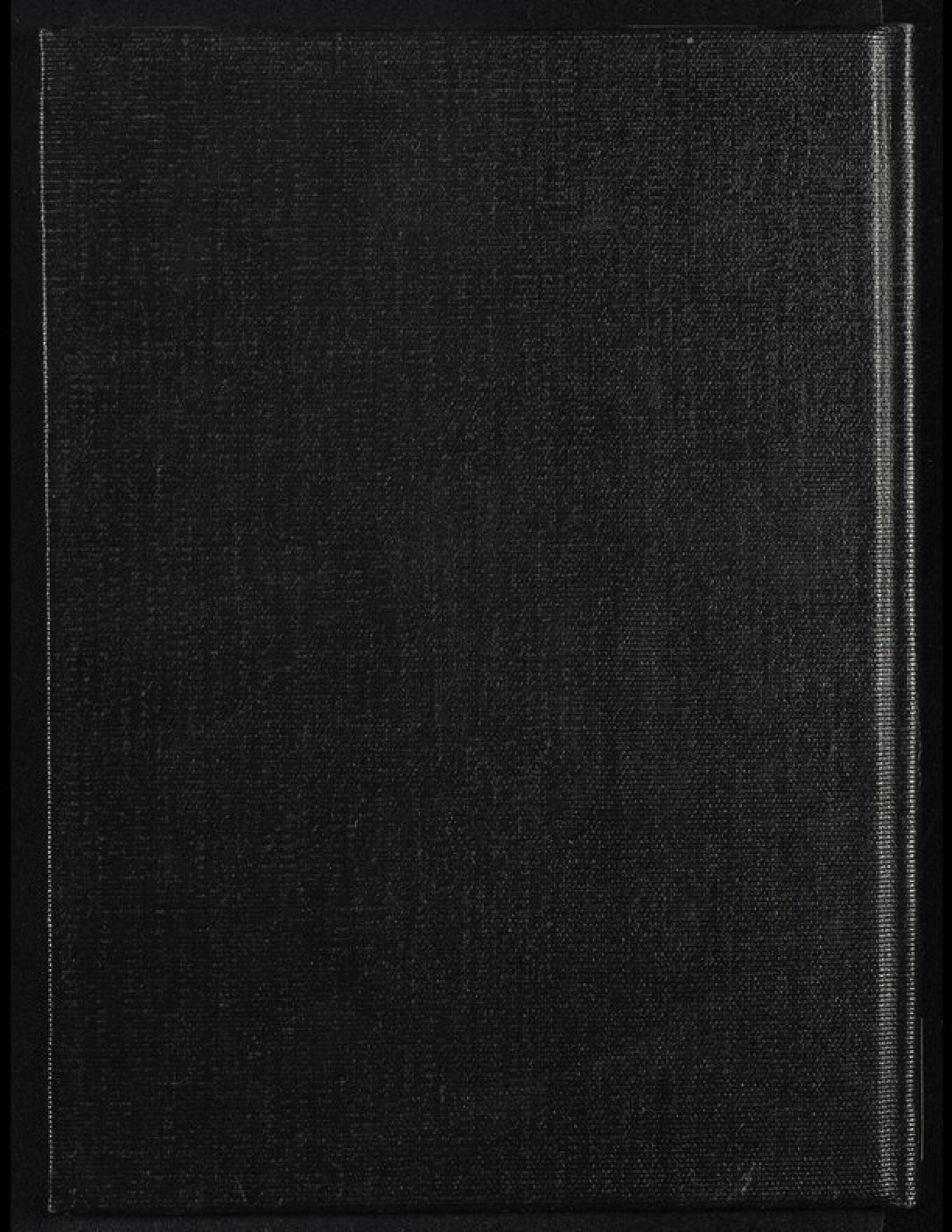


لقطة العجلان

مما تمس الى معرفته حاجة الانسان

﴿ وفى آخرها ﴾

﴿ خبيئة الأكوان فى افتراق الامم على المذاهب والاديان ﴾

تأليف

* المولى الاصيل * الملك الجليل * صاحب السيف والقلم * والحكم *

* والحكم * نادرة الزمان * فى العلم والفضل والعرفان *

* محيى العلوم العربية * وبدر الاقطار الهندية * السيد *

* السند الملك النواب محمد صديق حسن خان *

* بهادر ملك مملكة بهوپال *

* اطال الله عمره وخلد *

* ذكره وفخره *

﴿ طبع فى مطبعة الجوائب الكائنة امام الباب العالى ﴾

١٢٩٦

فهرسة كتاب لقطة العجلان

تأليف الهمام الجليل الافخم * الماجد الاصيل الاكرم * حضرة
سيدنا الملك النواب محمد صديق حسن خان بهادر دام مجده

صحيفة

ذكر

﴿ فهرسة كتاب خبيئة الاكوان ﴾



﴿ لقطة العجلان ﴾
﴿ مما تمس الى معرفته حاجة الانسان ﴾

﴿ وفى آخرها ﴾
﴿ خبيئة الاكوان فى افتراق الامم على المذاهب والاديان ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى كان ولم يكن معه شئ من الاكوان * فخلق الارض والسموات واستوى على العرش وخلق الانسان وعلمه البيان * ثم حكم على الكل بالفناء وقال فى الكتاب وكل من عليها فان * وسينقلهم الى البرزخ ومنه الى دار الجزاء التى نطق بها الحديث واثبتها القرآن * والصلوة والسلام على مصطفاه محمد عبده ورسوله الذى بعثه الى الخلق اجمعين وختم به الانبياء والمرسلين وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان ﴿ وبعد ﴾ فاعلم ان التاريخ عبارة عن يوم ينسب

لقطة العجلان

مما تمس الى معرفته حاجة الانسان

﴿ وفى آخرها ﴾
﴿ خبيئة الاكوان فى افتراق الامم على المذاهب و الاديان ﴾

تأليف

* المولى الاصيل * الملك الجليل * صاحب السيف و القلم * والحكم *
* والحكم * نادرة الزمان * فى العلم و الفضل والعرفان *
* محيى العلوم العربية * وبدر الاقطار الهندية * السيد
* السند الملك النواب محمد صديق حسن خان *
* بهادر ملك مملكة بهوبال *
* اطال الله عمره وخلد *
* ذكره وفخره *

﴿ طبع فى مطبعة الجوائب الكائنة امام الباب العالى ﴾

١٢٩٦

اليه ما يأتي بعده ويقال ايضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة تعد من اول زمن مفروض لتعرف بها الاوقات المحدودة ولا غنى عن التاريخ فى جميع الاحوال الدنيوية والامور الدينية ولكل امة من امم البشر تاريخ تحتاج اليه فى معاملاتها وفى معرفة ازمنتها تتفرد به دون غيرها من بقية الامم واول الاوائل القديمة واشهرها هو كون مبدأ البشر ولاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس فى كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله فى التواريخ وكل ما تتعلق معرفته ببدء الخلق واحوال القرون السالفة فانه مختلط بتزويرات واساطير لبعد العهد وعجز المعتنى به عن حفظه وقد قال الله سبحانه وتعالى * الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله * وعن ابن مسعود انه كان يقرأ هذه الآية ويقول كذب النسابون وعن عمرو بن ميمون مثله وعن ابى مجلز قال قال رجل لعلى بن ابى طالب انا انسب الناس قال انك لاتنسب الناس قال بلى قال على ارايت قوله * عادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا * قال انا انسب ذلك الكثير قال ارايت قوله * والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله * فسكت وعن عروة ابن الزبير قال ما وجدنا احدا يعرف ما وراء معد بن عدنان وعن ابن عباس قال ما بين عدنان واسمعيل ثلثون لا يعرفون وقال اهل التفسير فى هذه الآية عدم العلم من غير الله اما ان يكون راجعا الى صفاتهم واحوالهم واخلاقهم ومدد اعمارهم اى هذه الامور لا يعلمها الا الله ولا يعلمها غيره او يكون راجعا الى ذواتهم اى انه لا يعلم ذوات اولئك الذين من بعدهم الا الله تعالى ولم يبلغنا خبرهم اصلا ولا مانع من حمل الآية على الكل فالاولى ان لا يقبل من ذلك الا ما يشهد به كتاب انزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ ولا طرقه تبديل او خبر ينقله الثقاة واذا نظرنا فى التاريخ وجدنا فيه بين الامم خلافا

كثيرا و سائلوا عليك من ذلك ما لا اظنك تجده مجموعا فى كتاب و التاريخ
كلمة فارسية اصلها ماه روز ثم عرب قال محمد بن احمد بن محمد بن يوسف
البلخى فى كتاب « مفاتيح العلوم » وهو كتاب جليل القدر و هذا اشتقاق
بعيد لولا ان الرواية جاءت به و قال قدامة بن جعفر فى كتاب
الخراج تاريخ كل شئ آخره وهو فى الوقت غايته يقال فلان تاريخ
قومه اى اليه ينتهى شرفهم ويقال ورخت الكتاب توريخا و ارخته
تاريخا اللغة الاولى لتميم والثانية لقيس ولكل اهل ملة تاريخ فكانت
الامم تؤرخ اولا بتاريخ الخليقة وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه
السلام ثم ارخت بالطوفان وارخت ببخت نصر وارخت بفيلبس
وارخت بالاسكندر ثم باغسطس ثم باظبنس ثم بدقلطيانوس وبه
تؤرخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط الا تاريخ الهجرة ثم تاريخ
يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس تواريخ اخر قد انقطع
ذكرها ﴿ فاما تاريخ الخليقة ﴾ ويقال له ابتداء كون النسل
و بعضهم يقول بدء التحرك فان لاهل الكتاب من اليهود و النصارى
و المجوس فى كيفيته وسياقة التاريخ منه خلافا كثيرا قال المجوس
والفرس عمر العالم اثنا عشر الف عام على عدد بروج الفلك وشهور
السنة وزعموا ان زرادست صاحب شريعتهم قال ان الماضى من الدنيا
الى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور زرادست
واول تاريخ الاسكندر ثلثة آلاف ومائتا سنة وثمان وخمسون سنة واذا
حسبنا من اول يوم كيومرث الذى هو عندهم الانسان الاول وجمعنا
مدة كل من ملك بعده فان الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد
منه الى الاسكندر ثلثة آلاف وثلثمائة و اربعا وخمسين سنة فاذا لم يتفق
التفصيل مع الجملة وقال قوم الثلاثة الآلاف الماضية انما هى من خلق
كيومرث فانه مضى قبله الف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطبائع

غير

غير مستحيلة والامهات غير ممتازجة والكون والفساد غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان الاول فى معدل النهار وتولد الحيوان وتوالد وتناسل الانس فكثروا وامتزجت اجزاء العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم العالم وقال اليهود الماضى من آدم الى الاسكندر ثلثة آلاف واربعمائة وثمان واربعون سنة وقال النصارى المدة بينهما خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وزعموا ان اليهود نقصوها ليقع خروج عيسى بن مريم عليه السلام فى الالف الرابع وسط السبعة الآلاف التى هى مقدار العالم عندهم حتى تخالف ذلك الوقت الذى سبقت البشارة من الانبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جمع ما فى التوراة التى بيد اليهود من المدة التى بين آدم عليه السلام وبين الطوفان كانت الفا وستمائة وستا وخمسين سنة وعند النصارى فى انجيلهم الفان ومائتا سنة واثنان واربعون سنة وتزعم اليهود ان توراتهم بعيدة عن التخاليط وتزعم النصارى ان توراة السبعين التى هى بايديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرية بان توراتهم هى الحق وما عداها باطل وليس فى اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوى الجائبة له وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى ايضا فى الانجيل وذلك ان له عند النصارى اربع نسخ مجموعة فى مصحف واحد احدها انجيل متى والثانى لمارقوس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد الف كل من هولاء الاربعة انجيلا على حسب دعوته فى بلاده وهى مختلفة اختلافا كثيرا حتى فى صفات المسيح عليه السلام وايام دعوته ووقت الصلب بزعمهم وفى نسبه ايضا وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من اصحاب مرقيون واصحاب ابن ديصان انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ولاصحاب مانى انجيل على حدة يخالف

ما عليه النصارى من اوله الى آخره و يزعمون انه هو الصحيح وما عداه
باطل واهم ايضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى تلامس
والنصارى وغيرهم ينكرونه واذا كان الامر من الاختلاف بين اهل
الكتاب كما قد رأيت ولم يكن للقياس والرأى مدخل فى تمييز حق
ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول
على شئ من اقوالهم فيه واما غير اهل الكتاب فانهم ايضا مختلفون
فى ذلك قال اشوس بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة اول الطوفان
الفا سنة ومائتا سنة وست وعشرون سنة وثلثة وعشرون يوما
واربع ساعات وقال ماشاء واسمه منشا بن اثرى منجم المنصور
والمامون فى كتاب القرانات اول قران وقع بين زحل والمشترى فى بدء
التحرك بمعنى ابتداء النسل من آدم كان على مضى خمسمائة وتسع
سنين وشهرين واربعة وعشرين يوما مضت من الف المريخ فوقع القران
فى برج الثور من المثلثة الارضية على سبع درج واثنين واربعين دقيقة
وكان انتقال القمر من برج الميزان والمثلثة الهوائية الى برج العقرب
والمثلثة المائية بعد ذلك بالفى سنة واربعمائة سنة واثنى عشرة سنة
وستة اشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان فى الشهر الخامس
من السنة الاولى من القران الثانى من قرانات هذه المثلثة المائية
وكان بين وقت القران الاول الكائن فى بدء التحرك وبين الشهر الذى
كان فيه الطوفان الفان واربعمائة وثلث وعشرون سنة وستة اشهر
واثنا عشر يوما قال وفى كل سبعة آلاف سنة وستين وعشرة اشهر
وستة ايام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذى كان فى بدء
التحرك وهذا القول اعزك الله هو الذى اشتهر حتى ظن كثير من اهل
الملل ان مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة فلا تغتر به وتنبه الى اصله
تجده اوهن من بيت العنكبوت فاطرحه وقيل كان بين آدم وبين

الطوفان ثلثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلثون سنة وقيل كانت بينهما مدة الفين ومائتين وست وخمسين سنة وقيل الفان وثمانون سنة
❊ واما تاريخ الطوفان ❊ فانه يتلو تاريخ الخليقة وفيه من الاختلاف ما لا يطمع فى حقيقته من اجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر فان اليهود عندهم ان بين الطوفان وبين الاسكندر الفا وسبعمائة واثنين وتسعين سنة وعند النصارى بينهما الفا سنة وتسعمائة وثمان وثلثون سنة والفرس وسائر المجوس والكلدانيون اهل بابل والهند واهل الصين واصناف الامم المشرقية ينكرون الطوفان واقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الى ممالك المشرق قالوا ووقع فى زمان طهمورث ان اهل المغرب لما انذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا المبانى العظيمة كالهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طهمورث الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة واحدى وثلثين سنة امر باختيار مواضع فى مملكته صحيحة الهواء والتربة فوجد ذلك باصفهان فامر بتجليد العلوم ودفنها فيها فى اسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلثمائة من سنى الهجرة فى جى من مدينة اصفهان من التلال التى انشقت عن بيوت مملوءة اعدالا عدة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التى تلبس بها القسى وتسمى « التوز » مكتوبة بكتابة لم يدر احد ما هى واما المنجمون فانهم صححوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين زحل والمشترى التى اثبت علماء اهل بابل والكلدانيين مثلها اذ كان الطوفان ظهوره من ناحيتهم فان السفينة استقرت على الجودى وهو غير بعيد من تلك النواحى قالوا وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية ايام واعتنوا بامرها

وصححوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين اول ملك بخت نصر
الاول الفى سنة وستمائة واربع سنين وبين بخت نصر هذا وبين
الاسكندر اربعمائة وست وثلثون سنة وعلى ذلك بنى ابو معشر
اوساط الكواكب فى زيجه وقال كان الطوفان عند اجتماع الكواكب
فى آخر برج الحوت واول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين
تاريخ الاسكندر قدر الفى سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة
وسبعة اشهر وستة وعشرين يوما وبينه وبين يوم الخميس اول
المحرم من السنة الاولى من سنى الهجرة النبوية الف الف يوم وثلثمائة
الف يوم وتسعة وخمسون الف يوم وتسعمائة يوم وثلثة وسبعون
يوما يكون من السنين الفارسية المصرية ثلثة آلاف سنة وسبعمائة
سنة وخمس وعشرون سنة وثلثمائة يوم وثمانية واربعون يوما
ومنهم من يرى ان الطوفان كان يوم الجمعة وعند ابى معشر انه كان
يوم الخميس ولما تقرر عنده الجملة المذكورة وخرجت له المدة التى تسمى
ادوار الكواكب وهى بزعمهم ثلثمائة الف وستون الف سنة شمسية
واولها مقدم على وقت الطوفان بمائة الف وثمانين الف سنة شمسية
حكم بان الطوفان كان فى مائة الف وثمانين الف سنة وسيكون فيما بعد
كذلك ومثل هذا لا يقبل الا بحجة او من معصوم ﴿ واما تاريخ
بخت نصر ﴾ فانه على سنى القبط وعليه يعمل فى استخراج مواضع
الكواكب من كتاب المجسطى ثم ادوار قالبس واول ادواره فى سنة ثمانى
عشرة واربعمائة لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية
وكان قالبس من جلة اصحاب التعاليم وبخت نصر هذا ليس هو
الذى خرب بيت المقدس وانما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب
بيت المقدس بمائة وثلث واربعين سنة وهو اسم فارسى اصله بخت برسى
ومعناه كثير البكاء والانين ويقال له بالعبرانية نصار وقيل تفسيره عطارد

وهو

وهو ينطق وذلك لتجنبه عن الحكمة وتغريب اهلها ثم حرب فقبل بخت نصر ﴿ واما تاريخ فيلبش ﴾ فانه على سنى القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الاسكندر البناء المقدونى وكلا الامرين سواء فان القائم بعد البناء هو فيلبش فسواء كان من موت الاول او من قيام الآخر فان الحالة المؤرخة هى كالفصل المشترك بينهما وفيلبش هذا هو ابو الاسكندر المقدونى ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين وعليه بنى ثاون الاسكندرانى فى تاريخه المعروف بالقانون والله اعلم ﴿ واما تاريخ الاسكندر ﴾ فانه على سنى الروم وعليه يعمل اكثر الامم الى وقتنا هذا من اهل الشام واهل بلاد الروم واهل المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى تاريخ الاسكندر اليونانى الذى يلقبه بعضهم بذى القرنين على سنى الروم وعليه عمل اكثر الامم لما خرج من بلاد يونان وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس ولما ورد بيت المقدس امر اليهود بترك تاريخ داود وموسى عليهما السلام والتحول الى تاريخه فاجابوه وانتقلوا الى تاريخه واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد ان عملوه من السنة السادسة والعشرين لميلاده وهو اول وقت تحركه ليتموا الف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتصمين بهذا التاريخ ومستعملين له وعليه عمل اليونانيين وكانوا قبله يؤرخون بخروج يونان بن نورس عن بابل الى المغرب واول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول تشرين الاول وموافقه اليوم الرابع من بابه ومبادى الايام عندهم من طلوع الشمس الى غروبها الى ان يصبح الصباح وتطلع الشمس فقد كمل يوم بليلة ومبادى الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجرى عليه دائما شهور سنتهم اثنا عشر شهرا يخالف بعضها بعضا فى العدد وهذه اسماؤها وعدد ايام كل شهر منها تشرين الاول احد وثلثون يوما تشرين الثانى ثلثون يوما كانون الاول احد وثلثون

يوما كانون الثاني احد وثلثون يوما شباط ثمانية وعشرون يوما و ربع آذار احد وثلثون يوما نيسان ثلثون يوما ايار احد وثلثون يوما حزيران ثلثون يوما تموز احد وثلثون يوما آب احد وثلثون يوما وشهر واحد ثمانية وعشرون يوما وربع يوم وذلك انهم جعلوا شباط كل ثلث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوما وجعلوه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما فيكون عدد ايام سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم ويجعلون السنة الرابعة ثلثمائة وستة وستين يوما ويسمونها « السنة الكبيسة » وانما زادوا الربع في كل سنة ليقرب عدد ايام سنتهم من عدد ايام السنة الشمسية حتى تبقى امورهم على نظام واحد فتكون شهور البرد و شهور الحر و اوان الزرع ولقاح الشجر وجني الثمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شيء من ذلك البتة وكان ابتداء الكبيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين اول يوم من تاريخ الاسكندر هذا وبين يوم الخميس اول شهر المحرم من السنة التي هاجر نبينا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب رسول الله صلعم من مكة الى المدينة تسعمائة سنة وثلث وثلثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوما وبينه وبين يوم الجمعة اول يوم من الطوفان الفا سنة وسبعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة ومائة وثلثة وتسعون يوما وبين ابتداء ملك بخت نصر وبين اول تاريخ الاسكندر اربعمائة وخمس وثلاثون سنة شمسية ومائتا يوم وثمانية وثلثون يوما قال ابو بكر احمد بن علي في كتاب الفلاحة النبطية ان شهورهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم ﴿ وقف ﴾ التحقيق عند علماء الاخبار ان ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه فقال و يسألونك عن ذي القرنين الآيات عربي قد كثر ذكره في اشعار العرب وان اسمه الصعب بن ذي مراثد بن الحارث الرائش بن الهمال ذي سدد بن عاد بن دلدار فخشد بن سام بن نوح عليه السلام و انه ملك من ملوك حمير وهم العرب

العاربة ويقال لهم ايضا العرب العرباء وكان ذو القرنين تبعا متوجا و لما
ولى الملك تجبر ثم تواضع لله واجتمع بالخضر وقد غلط من ظن ان الاسكندر
بن فيلبش هو ذو القرنين الذى بنى السد فان لفظة ذو عربية وذو القرنين
من القاب العرب ملوك اليمن وذاك رومى يونانى * قال ابو جعفر الطبرى
وكان الخضر فى ايام افريدون الملك بن الضحاك فى قول عامة اهل الكتاب
الاول وقبل موسى بن عمران عليه السلام * وقيل انه كان على مقدمة
ذى القرنين الاكبر الذى كان على ايام ابراهيم الخليل عليه السلام * وقال
آخرون ان ذا القرنين هذا هو افريدون * وقال عبد الملك بن هشام
فى كتاب التيجان فى معرفة ملوك الزمان بعدما ذكر نسب ذى القرنين
اجتمع بالخضر فى بيت المقدس وسار معه مشارق الارض ومغاربها
واوتى من كل شئ سببا كما اخبر الله تعالى وبنى السد على ياجوج
وماجوج ومات بالعراق واما الاسكندر فانه يونانى ويعرف بالمجدونى
ويقال المقدونى وسئل ابن عباس عن ذى القرنين ممن كان فقال من
حمير قيل له فالاسكندر قال كان روميا حكيما بنى على البحر فى افريقية
منارا واخذ ارض رومة واتى بحر الغرب واكثر من عمل المصانع والمدن
وسئل كعب الاحبار عنه فقال الصحيح عندنا من اخبارنا واسلافنا انه من
حمير والاسكندر كان رجلا من يونان من ولد عيصو بن اسحق بن ابراهيم
ورجال الاسكندر ادركوا المسيح بن مريم منهم جالينوس وارسطاطاليس *
وقال الرازى فى التفسير ومما يعترض به على من قال ان الاسكندر
هو ذو القرنين ان معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس بامره ياتمر وبنهيه ينتهى
واعتقاد ارسطاطاليس مشهور وذو القرنين نبى فكيف يقتدى نبى بامر كافر
فى هذا اشكال * وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان ان ذا القرنين كانت امه
آدمية وابوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رجلا ينادى
رجلا يا ذا القرنين قال افرغتم من اسماء الانبياء فارتفعتم الى اسماء
الملائكة وكان على اذا ذكره قال ذلك الملك الامرط انتهى * قلت * وفى

ذى القرنين اقاويل كثيرة ذكرتها فى «فتح البيان فى مقاصد القرآن» تفسيرلى فى اربعة مجلدات ﴿ واما تاريخ اغشطش ﴾ فانه لا يعرف اليوم احد يستعمله واغشطش هذا هو اول القياصرة ومعنى قيصر بالرومية شق عنه فان اغشطش هذا لما حملت به امه ماتت فى المخاض فشق بطنها حتى اخرج منه فقيل قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم وزعم النصارى ان المسيح عليه السلام ولد لاربعين سنة من ملكه وفى هذا القول نظر فانه لا يصح عند سياقة السنين والتواريخ بل يجيء تعديل ولادته عليه السلام فى السنة السابعة عشرة من ملكه ﴿ واما تاريخ الطينس ﴾ فان بطليموس صحح الكواكب الثابتة فى كتابه المعروف « بالمجسطى » لاول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومية

﴿ ذكر السنة الشمسية والقمرية ﴾

هى عبارة عن عود الشمس فى فلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة الكل الى اى نقطة فرضت ابتدآء حركتها وذلك انها تستوفى الازمنة الاربعة التى هى « الربيع » و« الصيف » و« الخريف » و« الشتآء » وتحوز طبائعها الاربع وتنتهى الى حيث بدأت وفى هذه المدة يستوفى القمر اثنتى عشرة عودة واقل من نصف عودة ويستهل اثنتى عشرة مرة فجعلت المدة التى فيها عودات القمر الاثنتا عشرة فى فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح واسقط الكسر الذى هو احد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم اخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر فالآخذون بسير الشمس خمس امم اليونانيون والسريانيون والقبط والروم والفرس والآخذون بسير القمر خمس امم هم العرب واليهود والنصارى والمسلمون والهند فاهل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم

والسريانيون والكلدانيون واهل مصر ومن يعمل برأى المعتضد اخذوا بالسنة الشمسية التى هى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما والحقوا الارباع بها فى كل اربع سنين يوما حتى انجبرت السنة وسموا تلك السنة « كبيسة » لانكباس الارباع فيها واما قبط مصر القدماء فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجتمع منها ايام سنة تامة وذلك فى كل الف واربعمائة وستين سنة ثم يكبسونها سنة واحدة ويتفقون حينئذ فى اول تلك السنة مع اهل الاسكندرية وقسطنطينية * واما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما من غير كبس حتى اجتمع لهم من ربع اليوم فى مائة وعشرين سنة ايام شهر تام ومن خمس الساعة الذى يتبع ربع اليوم عندهم يوم واحد فالحقوا الشهر التام بها فى كل مائة وست عشرة سنة واقتفى اثرهم فى هذا اهل خوارزم القدماء والصغد ومن دان بدين فارس وكانت الملوك البيشدادية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها يعملون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلثون يوما سواء وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين بشهر ويسمونها كبيسة وكل مائة وعشرين سنة بشهر احدهما بسبب خمسة الايام والثانى بسبب ربع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونها المباركة * واما قدماء القبط واهل فارس فى الاسلام واهل خوارزم والصغد فتركوا الكسور اعنى الربع وما يتبعه اصلا * واما العبرانيون وجميع بنى اسرائيل والصابئون والحرانيون فانهم اخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر لتكون اعيادهم وصيامهم على حساب قمرى وتكون مع ذلك حافظة لاوقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر وافقهم النصارى فى صومهم وبعض اعيادهم لان مدار امرهم على نسخ اليهود وخالفوهم

فى الشهور الى مذهب الروم والسريانيين وكانت العرب فى جهالتها
تنظر الى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة ايام واحدى
وعشرون ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها
ما يستوفى ايام شهر ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة ايام وعشرون
ساعة وكان يتولى ذلك النسأة من بنى كنانة المعروفون بالقلامس
واحدهم قلمس وهو البحر الغزير وهو ابو ثمامة جنادة بن عوف بن
امية بن قلع واول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد فقيم وآخر من
فعله ابو ثمامه واخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجئ دين الاسلام
بنحو مائى سنه وكانوا يكبسون فى كل اربع وعشرين سنة تسعة
اشهر حتى تبق اشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا تتأخر
عن اوقاتها ولا تتقدم الى ان حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وانزل الله تعالى انما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه
عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين
لهم سوء اعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين * فخطب صلى الله
عليه وآله وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيأة يوم خلق الله السموات
والارض فبطل النسئ وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت
اسماؤها غير دالة على معانيها * واما اهل الهند فانهم يستعملون رؤية
الاهلة فى شهورهم ويكبسون كل تسعمائة سنة وسبعين يوما بشهر قمرى
ويجعلون ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع فى اول دقيقة من برج ما
واكثر طلبهم لهذا الاجتماع ان يتفق فى احدى نقطتى الاعتدالين
ويسمون السنة الكبيسة « بذمات » فهذه آراء الخليقة فى السنة

﴿ ذكر الايام ﴾

اليوم عبارة عن عود الشمس بدوران الكل الى دائرة قد فرضت وقد
اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد ومن

اجل ان شهور العرب مبنية على مسير القمر واوائلها مقيدة برؤية الهلال
والهلال يرى لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار
وعند الفرس والروم اليوم بليلة من طلوع الشمس بارزة من افق
المشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل
واحتجوا على قولهم بان النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على
السكون لانها وجود لا عدم وحياة لا موت والسماء افضل من الارض
والعامل الشاب اصح والماء الجارى لا يقبل عفونة كالراكد واحتج
الآخرون بان الظلمة اقدم من النور والنور طار عليها فالاقدم يبدأ به
وغلبوا السكون على الحركة باضافة الراحة والدعة اليه وقالوا الحركة
انما هى الحاجة والضرورة والتعب نتيجة الحركة والسكون اذا دام فى
استقصاآت مدة لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة فى الاستقصاآت
واستحكمت افسدت وذلك كالزلازل والعواصف والامواج وشبهها
وعند اصحاب التنجيم ان اليوم بليلة من موافاة الشمس فلك نصف
النهار الى موافاتها اياه فى الغد وذلك من وقت الظهر الى وقت العصر
وبنوا على ذلك حساب ازياجهم وبعضهم ابتدأ باليوم من نصف الليل
وهو صاحب زيج شهريار از انساه وهذا هو حد اليوم على الاطلاق
اذا اشترط الليلة فى التركيب فاما على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار
بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل
خلاف ذلك وعكسه وحد بعضهم اول النهار بطلوع الفجر وآخره بغروب
الشمس لقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل وقال هذان الحدان
هما طرفا النهار * وعورض بان الآية انما فيها بيان طرفى الصوم لا تعريف
اول النهار وبان الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق
وهما متساويان فى العلة فلو كان طلوع الفجر اول النهار لكان غروب
الشفق آخره وقد التزم ذلك بعض الشيعة فنقول تاريخ القبط يعرف

عند نصارى مصر الآن بتاريخ الشهداء ويسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس وهو احد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك فى منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سنى الاسكندر وكانت ايامه شنعة قتل فيها من اصناف الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكان بين يوم الجمعة اول يوم من تاريخ دقلطيانوس وبين يوم الخميس اول يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة وثمان وثلثون سنة قرية وتسعة وثلثون يوما وجعلوا شهور السنة القبطية اثنى عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلثون يوما سواء فاذاتمت الاشهر الاثنا عشر اتبعوها بخمسة ايام زيادة على عدد ايامها وسموا هذه الخمسة ابوعمنا وتعرف اليوم بايام النسئ فيكون الحال فى النسئ على ذلك ثلث سنين متواليات فاذا كان فى السنة الرابعة جعلوا النسئ ستة ايام فتكون سنوهم ثلث سنين متواليات كل سنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما والرابعة يصير عددها ثلثمائة وستة وستين يوما ويرجع حكم سنتهم الى حكم سنة اليونانيين بان تصير سنتهم الوسطى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم الا ان الكبس يختلف فاذا كان كبس القبط فى سنة كان كبس اليونانيين فى السنة الداخلة واسماء شهور القبط «توت» «بابه» «هتور» «كيهك» «طوبه» «امشير» «برمهات» «برموده» «بشنش» «بونه» «ابيب» «مسرى» فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلثون يوما واذا كانت عدة شهر مسرى وهو الشهر الثانى عشر زادوا ايام النسئ بعد ذلك وعملوا النوروز اول يوم من شهر توت

﴿ ذكر اسابيع الايام ﴾

اعلم ان القدماء من الفرس والصغد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام فى الشهور واول من استعملها اهل الجانب الغربى من

الارض

الارض لاسيما اهل الشام وما حواليه من اجل ظهور الانبياء عليهم السلام فيما هنالك واخبارهم عن الاسبوع الاول وبدء العالم فيه وان الله خلق السموات والارض فى ستة ايام من الاسبوع ثم انتشر ذلك منهم فى سائر الامم واستعملته العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار اهل الشام فانهم كانوا قبل تحولهم الى اليمن ببابل وعندهم اخبار نوح عليه السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام وانزل فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسمعيل عليهما السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسماء الايام الثلثين من كل شهر فتجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل فى تاريخ الفرس وما زالت القبط على هذا الى ان ملك مصر اغسطس بن يوحس فاراد ان يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم ابدا فيها فوجدوا الباقى حينئذ الى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم حملهم على كبس الشهور فى كل اربع سنين بيوم كما تفعل الروم فترك القبط من حينئذ استعمال اسماء الايام الثلثين لاحتياجهم فى يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك مستعملوا اسماء الايام الثلثين من اهل مصر والعارفون بها ولم يبق لها ذكر يعرف فى العالم بين الناس بل دثرت كما دثر غيرها من اسماء الرسوم القديمة والعادات الاول « سنة الله فى الذين خلوا من قبل » وكانت اسماء شهور القبط فى الزمن القديم توت بودنى اتور سواق طوبى ماكير فامينوت برموتى ماجون باونى افيفى ابقا وكل شهر منها ثلثون يوما ولكل يوم اسم يخصه ثم احدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الاسماء التى هى اليوم متداولة بين الناس بمصر الا ان من الناس من يسمى كيهك كياك ويقول فى برمهات برمهوت وفى بشنس بشاش وفى

مسرى ما سورى ومن الناس من يسمى الخمسة الايام الزائدة ايام النسئ ومنهم من يسميها « ابو عمنا » ومعنى ذلك الشهر الصغير وهى كما تقدم تلحق فى آخر مسرى وفيه يزاد اليوم الكبيس فيكون ستة ايام حينئذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة من خرافات القبط ان شهورهم هى شهور سنى نوح وشيث وآدم منذ ابتداء العالم وانها لم تزل على ذلك الى ان خرج موسى ببنى اسرائيل من مصر فعملوا اول سنتهم خامس عشر نيسان كما امروا به فى التوراة الى ان نقل الاسكندر رأس سنتهم الى اول تشرين وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم اول سنتهم الى اول يوم من ملكه فصار اول توت عندهم يتقدم اول يوم خلق فيه العالم بمائتين وثمانية ايام اولها يوم الثلثاء وآخرها يوم السبت وكان توت اوله فى ذلك الوقت يوم الاحد وهو اول يوم خلق الله فيه العالم الذى يقال له الآن تاسع عشرى برمهات وذلك ان اول من ملك على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو ابو الكلدانيين وملك بنو مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام منش فبنى منف بمصر على النيل وسماها باسم جده مصرايم وهو ثانى ملك ملك على الارض وهذان الملكان استعملا تاريخ جدهما نوح عليه السلام واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم * قال المقريزى فى الخطط « فى ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية » انى قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن الكريم بعد ما عرضته على اصحاب التفسير فذكروا انه لم يأت فيه شئ من الاثر فكان ذلك اوكد فى نصف استخراجى وهو ان الله تعالى قال فى سورة الكهف « ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا » فلم اجد احدا من المفسرين عرف معنى قوله « وازدادوا تسعا » وانما خاطب الله عز وجل نبيه صالح بكلام العرب وما تعرفه من الحساب فمعنى هذا التسع ان الثلثمائة كانت شمسية

بحساب

بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية فاذا اضيف الى الثمانة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية صحيحة ❊ اما تاريخ العرب ❊ فانه لم يزل فى الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الاهلة وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا الا انهم اختلفوا فى اسمائها فكانت العرب العاربة تسميها « ناتق » و« نقيل » و« طليق » و« اسخ » و« انخ » و« حلك » و« كسع » و« زاهر » و« نوط » و« حرف » و« بغش » فناتق هو« المحرم » ونقيل هو « صفر » وهكذا ما بعده على سرد الشهور وكانت « ثمود » تسميها « موجب » و« موجر » و« مورد » و« ملزم » و« مصدر » و« هوبر » و« هوبل » و« موها » و« دمير » و« دابر » و« حيقل » و« مسبل » فموجب هو المحرم وموجر صفر الا انهم كانوا يبدأون بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون اول شهور السنة عندهم ثم كانت العرب تسميها باسماء اخر وهى « موتمر » و« ناجر » و« خوان » و« صوان » و« حنتم » و« زبا » و« الاصم » و« عادل » و« نابق » و« واغل » و« هواع » و« برك » ومعنى المؤتمر انه يأتمر بكل شيء مما تأتى به السنة من اقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الخيانة وصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمى بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الاصم ثم واغل وباطل وعادل ورنه وبرك فالبائد من القتال اذكان فيه يبيد كثير من الناس وجرى المثل بذلك فقيل « العجب كل العجب بين جمادى ورجب » وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ الثار والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون له « الاصم » لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه وذلك

لانه يهجم على شهر رمضان وكان يكثر فى شهر رمضان شربهم الخمر لان الذى يتلوه هى شهور الحج وباطل هو مكيال الخمر سمى به لافراطهم فيه فى الشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال واما العادل فهو من العدل لانه من اشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل واما الزبا فلان الانعام كانت تزب فيه لقرب النحر واما برك فهو لبروك الابل اذا حضرت المنحر وقد روى انهم كانوا يسمون المحرم مؤتمر وصفر ناجر وربيع الاول خوان وربيع الآخر بصان وجمادى الاولى حنين وجمادى الاخرى الرنة ورجب الاصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه فى الجاهلية وكانت تمتار فيه وتمير اهاليها وكان يامن بعضهم بعضا فيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل ورمضان ناتق وشوال واغل وذوا القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال فيه ايضا ابروك وكانوا يسمونه الميمون * ثم سمت العرب اشهرها بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذى القعدة وذى الحجة واشتقوا اسماءها من امور اتفق وقوعها عند تسميتها فالمحرم كانوا يحرمون فيه القتال وصفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جمادى كانا يجمد فيهما الماء لشدة البرد ورجب الوسط وشعبان يشعب فيه القتال ورمضان من الرمضاء لانه كان يأتى فيه القيظ وشوال تشيل فيه الابل اذنابها وذوالقعدة لقعودهم فى دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج وانت اذا تاملت اشتقاق اسماء شهور الجاهلية اولا ثم اشتقاقها ثانيا تبين ذلك ان بين التسميتين زمانا طويلا فان صفر فى احدهما هو صميم الحروب وفى الآخر رمضان ولا يمكن ذلك فى وقت واحد او وقتين متقاربين وكانت العرب اولا تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله اهل الاسلام اما بطريق آلهى او لان العرب لم يكن اهلها

دراية بمراعاة حساب حركات النيرين فاحتاجت الى استعمال مبادى الشهور لرؤية الاهلة وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين فربما كان بعض الشهور تاما اعنى ثلثين يوما وربما كان ناقصا اعنى تسعة وعشرين يوما وربما كانت اشهر متوالية تامة اكثرها اربعة وهذا نادر وربما كانت اشهر متوالية ناقصة اكثرها ثلثة وكان يقع حج العرب فى ازمنة السنة كلها وهو ابدا عاشر ذى الحجة من عهد ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب طالبة اماكنها واقام اهل مكة بها فلم يزالوا على ذلك دهرا طويلا الى ان غيروا دين ابراهيم واسمعيل فاحبوا ان يتوسعوا فى معيشتهم ويجعلوا حجهم فى وقت ادراك شغلهم من الادم والجلود والثمار ونحوها وان يثبت ذلك على حالة واحدة فى اطيب الازمنة واخصبها فتعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل نبى بنى اسرائيل وعملوا النسىء قبل الهجرة بنحو مائتى سنة وكان الذى يلى النسىء يقال له «القلمس» يعنى الشريف * وقد اختلف فى اول من انسأ الشهور منهم فقيل القلمس هو عدى بن زيد وقيل القلمس هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وانه قال ارى شهور الاهلة ثلثمائة واربعة وخمسين يوما وارى شهور العجم ثلثمائة وخمسة وستين يوما فبيننا وبينهم احد عشر يوما ففى كل ثلث سنين ثلثة وثلثون يوما ففى كل ثلث سنين شهر وكان اذا جاءت ثلث سنين قدم الحج فى ذى القعدة فاذا جاءت ثلث سنين اخر فى المحرم وكانت العرب اذا حجت قلدت الابل النعال والبستها الجلال واشعرتها فلا يتعرض لها احد الاخثعم وكان النسىء فى بنى كنانة ثم فى بنى ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذى يلى ذلك منهم ابو ثمامة المالكى ثم من بنى فقيم وبنو فقيم هم النساة وهو منسىء الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان آلهتكم العزى قد انسأت صفر الاول وكان يحله

عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفـان و هوازن و سليم وتميم وآخر النسأة جنادة بن عوف بن اميه بن قلع بن عباد بن حذيفه بن عبد بن فقيم وقيل القلمس هو حذيفه بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبه بن الحـارث بن مالك بن كنانه ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام ابو ثمامه جنادة وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليـه فاحل لهم من الشهور وحرم فاحلوا ما احل وحرموا ما حرم وكان اذا اراد ان ينسئ منهـا شيئا احل المحرم فاحلوه وحرم مكانه صفرا فحرموه ليواطئوا عدة الاربعـة فاذا ارادوا الهدى اجتمعوا اليه فقـال اللهم انى لا احاب ولا اعاب فى امرى والامر لما قضيت اللهم انى قد احللت دماء المحلين من طئ وخثعم فاقتلوهم حيث ثقفتموهم اى ظفرتم بهم اللهم انى قد احللت احد الصفرين الصفر الاول وانسأت الآخر من العام المقبل وانما احل دم طئ وخثعم لانهم كانوا يعدون على النـاس فى الشهر الحرام من بين جميع العرب وقيل اول من انسأ سرير بن ثعلبة وانقرض فانسأ من بعده ابن اخيه القلمس واسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة ثم صار النسئ فى ولده وكان آخرهم ابو ثمامة جنادة وقيل عوف بن امية بن قلع عن ابيـه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جد ابيه عباد بن حذيفة عن جد جده حذيفة بن عبد بن فقيم وكان يقال لحذيفة القلمس وهو اول من انسأ الشهور على العرب فاحل منها ما احل وحرم ما حرم ثم كان بعد عوف المذكـور ولده ابو ثمامة جنـادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكان ابعـدهم ذكرا واطولهم امدا يقـال انه انسأ اربعين سنة وفيهم يقول عمير بن قيس جذل الطعان يفتخر

* واى النـاس لم يسبق بوتر * واى النـاس لم يعلك لجاما *

* السنا الناسئين على معـد * شهور الحل نجعلها حراما *

﴿ وقال آخر ﴾

* ازعم انى من فقيم بن مالك * لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم *
* لهم ناسئ يمشون تحت لوآئه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم *

وقيل كانت العرب تكبس فى كل اربع وعشرين سنة قرية بتسعة اشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتاخر عن اوقاتها ولا تتقدم وكان النسئ الاول للمحرم فسمى صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسماء الشهور فكان النسئ الثانى بصفر فسمى الذى كان يتلوه بصفر ايضا وكذلك حتى دار النسئ فى الشهور الاثنى عشر وعاد الى المحرم فاعادوا فعلهم الاول وكانوا يعدون ادوار النسئ ويحدون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى زمان كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصل من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فضل ما بينها وبين سنة القمر الذى الحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبى صلعم وكانت نوبة النسئ بلغت شعبان فسمى محرما وشهر رمضان صفر * وقيل ان الناسئ الاول نسأ المحرم وجعله كبسا واخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذا بقية الشهور فوقع لهم فى تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلثة عشر شهرا ونقل الحج بعد كل ثلث سنين شهرا فمضى على ذلك مائتان وعشر سنين وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج فى السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذى القعدة وهى السنة التى حج فيها ابو بكر الصديق رضى الله عنه بالناسئ ثم حج رسول الله صلعم فى السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذى الحجة كما كان فى عهد ابراهيم واسمعيل ولذلك قال صلعم فى حجته هذه ان الزمان قد استدار كهيأة يوم خلق الله

السموات والارض يعنى رجوع الحج والشهور الى الوضع وانزل الله تعالى ابطال النسئ بقوله تعالى * انما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم * فبطل ما احدثته الجاهلية من النسئ واستقر وقوع الحج والصوم برؤية الاهلة ولله الحمد

* ثم انقضت تلك السنون واهلها * فكانها وكانهم احلام * وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت فما كانت تؤرخ به ان كنانة ارخت من موت كعب بن لوى حتى كان عام الفيل فارخوا به وهو عام مولد رسول الله صلعم وكان بين كعب بن لوى والفيل خمسمائة وعشرون سنة وكان بين الفيل وبين الفجار اربعون سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة الى بنيان الكعبة فكان تسع سنين ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلعم خمس عشرة سنة ثم وقع

﴿ التاريخ من الهجرة النبوية ﴾

فعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس فسألهم من اى يوم يكتب التاريخ فقال على بن ابى طالب من يوم هاجر رسول الله صلعم وترك ارض الشرك ففعله عمر وعن سهل بن سعد الساعدى قال اخطأ الناس فى العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته انما عدوا من مقدمه المدينة * وعن ابن عباس قال كان التاريخ من السنة التى قدم فيها رسول الله صلعم المدينة وقال قرة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن الخطاب عامل جاء من

اليمن فقال لعمر اما تؤرخون تكتبون فى سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فاراد عمر والناس ان يكتبوا من مبعث رسول الله صلعم ثم قالوا من عند وفاته ثم ارادوا ان يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من اى شهر فارادوا ان يكون من رمضان ثم بدا لهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب صك محله شعبان فقال اى شعبان هو اشعبان الذى نحن فيه او الآتى ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقالوا يجب ان يعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استحضر عمر الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حسابا نسميه « ماه روز » معناه حساب الشهور والايام فعربوا الكلمة وقالوا مؤرخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه اولا لتاريخ دولة الاسلام فاتفقوا على ان يكون المبدأ من سنة الهجرة وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد تصرم من شهور السنة وايامها المحرم وصفر وايام من ربيع الاول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من اول محرم هذه السنة ثم احصوا من اول يوم فى المحرم الى آخر عمر رسول الله صلعم فكان عشر سنين وشهرين واما اذا حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلعم بعدها تسع سنين واحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما وكان بين مولده صلعم وبين مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعون سنة تنقص شهرين وثمانية ايام ﴿ وابتداء تاريخ الهجرة ﴾ يوم الخميس اول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلثون سنة وعشرة اشهر واثنان وعشرون يوما وبينه وبين تاريخ الاسكندر المقدونى الرومى بن فيلبس تسعمائة واحدى وستون سنة قرية واربعة وخمسون

يوما تكون من السنين الشمسية تسعمائة واثنان وثلثون سنة وماثنان وتسعة وثمانون يوما منها تسعة اشهر وتسعة عشر يوما وبينه وبين تاريخ القبط ثلثمائة وسبع وثلثون سنة وتسعة وثلثون يوما وقال ابن ماشاء الله ان انتقال الممر من المثلثة الهوائية التى هى برج الجوزاء دولتها الى برج السرطان ومثلثة المائية التى كانت دولة الاسلام فيها عند تمام سنة آلاف وثلثمائة وخمس واربعين سنة وثلثة اشهر وعشرين يوما من وقت القران الاول الواقع فى بدء التحرك يعنى خلق آدم عليه السلام وان القران من هذه المثلثة وقع فى اربع درج ودقيقة واحدة من برج العقرب وهو قران الملة الاسلامية قال وفى السنة الثانية من هذا القران ولد رسول الله صلعم وكان بين دخول الشمس برج الحمل فى هذه السنة وبين اول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية عدتها احدى وخمسون سنة وثلثة اشهر وثمانية ايام وست عشرة ساعة فكان من وقت الطوفان الى وقت قران الملة ثلثة آلاف وتسعمائة واثنا عشرة سنة وستة اشهر واربعة عشر يوما وزعمت اليهود ان من آدم عليه السلام الى سنة الهجرة اربعة آلاف واثنين واربعين سنة وثلثة اشهر وزعمت النصارى ان بينهما خمسة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة وثلثة اشهر وزعمت المجوس اعنى الفرس ان بينهما اربعة آلاف ومائة واثنين وثمانين سنة وعشرة اشهر وتسعة عشر يوما ﴿وقد عرفت﴾ ان شهور تاريخ الهجرة قمرية وايام كل سنة منها عدتها ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع الاحكام الشرعية مبنية على رؤية الهلال عند جميع فرق الاسلام ماعدا الشيعة فان الاحكام مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب على ما ذكره المقريزى فى ذكر القاهرة وخلفائها * ثم لما احتاج منجموا الاسلام الى استخراج ما لا بد منه من معرفة الاهلة وسمت القبلة وغير ذلك

بنوا ازياجهم على التاريخ العربي وجعلوا شهور السنة العربية شهرا كاملا وشهرا ناقصا وابتدأوا بالمحرم اقتداء بالصحابة رضى الله عنهم فجعلوا المحرم ثلثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما و ربيع الاول ثلثين يوما و ربيع الآخر تسعة وعشرين يوما وجمادى الاولى ثلثين يوما وجمادى الآخرة تسعة وعشرين يوما ورجب ثلثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما و رمضان ثلثين يوما وشوال تسعة وعشرين يوما و ذا القعدة ثلثين يوما و ذا الحجة تسعة وعشرين يوما وزادوا من اجل كسر اليوم الذى هو خمس وسدس يوما فى ذى الحجة اذا صار هذا الكسر اكثر من نصف يوم فيكون شهر ذى الحجة فى تلك السنة ثلثين يوما ويسمون تلك السنة كبيسة ويصير عددها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ويجتمع فى كل ثلثين من الكبس احد عشر يوما والله اعلم وسيأتى الكلام على تاريخ الهجرة اوسع من هذا انشاء الله تعالى ﴿ واما تاريخ الفرس ﴾ ويعرف ايضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتداء تملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز ارخ به الفرس من اجل ان يزدجرد قام فى المملكة بعدما تبدد ملك فارس واستولى عليها النساء والمتغلبون وهو ايضا آخر ملوك فارس وبقتله تمزق ملكهم واول هذا التاريخ يوم الثلثاء وبينه وبين تاريخ الهجرة تسع سنين وثلثمائة وثمانية وثلثون يوما وايام سنة هذا التاريخ تنقص عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون فى كل مائة وعشرين سنة شهر واحد ولهم فى كبس السنة اراء ليس هذا موضع ايرادها وعلى هذا التاريخ يعتمد فى زماننا اهل العراق وبلاد العجم وهذه اسماء شهورهم « فروردين » « ماردى » « بهشت » « خرداد » « تير » « مرداد » « شهريور » « مهرابان » « آذر » « دى » « بهمن » « اسفندار » جعلوا كل شهر منها ثلثين يوما وزادوا خمسة ايام فى آخر اسفندار وسموها خمسة مسترقة ولهم لكل يوم من ايام

هذا الشهر اسم معلوم ﴿ واما تاريخ الهند ﴾ ويقال له فى لسانهم « سنبت واساكا » فهذه اسماء شهورهم « چيت » « بيساكهه » « جيهه » « اساره » « ساون » « بهادون » « كوار » « كاتك » « اكهن » « پوس » « ماكهه » « پهاكن » وينسب هذا التاريخ الى بكرماجيت وهو كبيرهم من بين ملوك الهند ومداره على السنين الشمسية كفعل غيرهم من العجم ﴿ واما تاريخ البرطانية ﴾ وهم النصارى ملوك الهند اليوم فهو على سنى الروم كما تقدم وهذه اسماء شهورهم الاثنى عشر على لغتهم « جنيورى » فبرورى » « مارچ » « ابريل » « ماى » « جون » « جولاى » « اكست » « سپتمبر » « اكتوبر » « نوفمبر » « دسمبر » فالاربعة الاشهر منها وهى ابريل وجون وسپتمبر ونوفمبر ثلثون يوما والسبعة الشهور الباقية ما خلا فبرورى احدى وثلثون يوما واما فبرورى فهو ثمانية وعشرون يوما ويجعلونه فى السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما ويسمونها الكبيسة ومبدأ هذا التاريخ من ولادة المسيح بن مريم عليهما السلام والله اعلم ولله عاقبة الامور

﴿ ذكر ابتداء الدول والامم والكلام على الملاحم والكشف ﴾
﴿ عن مسمى الجفر ﴾

اعلم ان من خواص النفوس البشرية التشوف الى عواقب امورهم وعلم ما يحدث لهم من حيوة وموت وخير وشر سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقى من الدنيا ومعرفة مدد الدول او تفاوتها والتطلع الى هذا طبيعة البشر مجبولة عليه ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون الى الوقوف على ذلك فى المنام والاخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة ولقد نجد فى المدن صنفا من الناس

ينتحلون المعاش من ذلك اعلمهم بحرص الناس عليه فيقفون لهم فى الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة و صبيانها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب امرهم فى الكسب والجاه والمعاش و المعاشرة والعداوة وامثال ذلك ما بين خط فى الرمل ويسمونه المنجم و طرق بالحصى و الحبوب و يسمونه الحاسب ونظرا فى المرايا والمياه ويسمونه ضارب المندل وهو من المنكرات الفاشية فى الامصار لما تقرر فى الشريعة من ذم ذلك وان البشر محجوبون عن الغيب الا من اطلعه الله عليه من عنده فى نوم او ولاية واكثر ما يعتنى بذلك ويتطلع اليه الامراء والملوك فى آماد دولهم ولذلك انصرفت العناية من اهل العلم اليه وكل امة من الامم يوجد لهم كلام من كاهن او منجم او ولى فى مثل ذلك من ملك يرتقبونه او دولة يحدثون انفسهم بها وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل ذلك الحدثان وكان فى العرب الكهان والعرافون يرجعون اليهم فى ذلك وقد اخبروا بما سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لشق فى تأويل رؤيا ربيعة بن نصر من ملوك اليمن اخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملك والدولة للعرب من بعد ذلك وكذا تأويل سطيح لرؤيا الموبذان حين بعث اليه كسرى بها مع عبد المسيح واخبرهم بظهور دولة العرب وكذا كان فى جيل البربر كهان من اشهرهم موسى بن صالح من بنى يفرن ويقال من غمرة وله كلمات حدثانية على طريقة الشعر برطانتهم وفيها حدثان كثير ومعظمه فيما يكون لزناتة من الملك والدولة بالمغرب وهى متداولة بين اهل الجيل وهم يزعمون تارة انه ولى وتارة انه كاهن وقد يزعم بعض مزاعمهم انه كان نبيا لان تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله اعلم وقد يستند الجيل الى خبر الانبياء ان كان لعهدهم كما وقع لبنى اسرائيل فان انبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثله عندما يعنتونهم

فى السؤال عنه واما فى الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما يرجع الى الدولة واعمارها على الخصوص وكان المعتمد فى ذلك فى صدر الاسلام آثارا منقولة عن الصحابة وخصوصا مسلمة بنى اسرائيل مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر مأثورة وتاويلات محتملة وقع لجعفر وامثاله اهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله اعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية واذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الاولياء فى ذويهم واعقابهم وقد قال صلعم ان فيكم محدثين فهم اولى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة واما بعد صدر الملة وحين علق الناس على العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب الحكماء الى اللسان العربى فاكثر معتمدهم فى ذلك كلام المنجمين فى الملك والدول وسائر الامور العامة من القرانات وفى المواليد والمسائل وسائر الامور الخاصة من الطوالع لها وهى شكل الفلك عند حدوثها وقد يستندون فى حدثان الدول على الخصوص الى كتاب الجفر ويزعمون ان فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والنجوم لا يزيدون على ذلك ولايعرفون اصل ذلك ولا مستنده * فاعلم ان كتاب الجفر كان اصله ان هارون بن سعيد العجلى وهو راس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لاهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذى يقع لمثلهم من الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر فى جلد ثور صغير فرواه عنه هارون العجلى وكتبه وسماه « الجفر » باسم الجلد الذى كتب منه لان الجفر فى اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم علما على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما فى بطنه من غرائب المعانى مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواذ

من الكلمات لا يصححها دليل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه او من رجال قومه فهم اهل الكرامات وقد صح عنه انه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصح كما يقول وقد حذر يحيى ابن عمه زيد من مصرعه وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف واذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علما ودينا وآثارا من النبوة وعناية من الله بالاصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة وقد ينقل بين اهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى احد وفي اخبار دولة العبيديين كثيرا منه وانظر الى ما حكاه ابن الدقيق في لقاء ابي عبد الله الشيعي لعبد الله المهدي مع ابنه محمد الحبيب وما حدثاه به وكيف بعثاه الى ابن حوشب داعيهم باليمن فامره بالخروج الى المغرب وبث الدعوة فيه على علم لقنه ان دعوته تتم هناك وان عبد الله لما بنى المهدية بعد استفحال دولتهم بافريقية قال بنيتها ليعتصم بها الفواطم ساعة من نهار واراهم موقف صاحب الحمار ابي يزيد بالمهدية وكان يسأل عن منتهى موقفه حتى جاءه الخبر ببلوغه الى المكان الذي عينه جده عبيد الله فايقن بالظفر وبرز من البلد فهزمه واتبعه الى ناحية الزاب فظفر به وقتله ومثل هذه الاخبار عندهم كثيرة واما المنجمون فيستندون في حدثان الدول الى الاحكام النجومية اما في الامور العامة مثل الملك والدول فمن القرانات وخصوصا بين العلويين وذلك ان العلويين زحل والمشترى يقترنان في كل عشرين سنة مرة ثم يعود القران الى برج آخر في تلك المثلثة من التثليث الايمن ثم بعده الى آخر كذلك الى ان يتكرر في المثلثة الواحدة ثنتي عشرة مرة تستوى بروجه الثلاثة في ستين سنة ثم يعود فيستوى بها في ستين سنة ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيستوى في المثلثة بثنتي عشرة مرة واربع عودات في مائتين واربعين سنة ويكون انتقاله في كل برج على التثليث الايمن وينتقل من

المثلثة الى المثلثة التى تليها اعنى البرج الذى يلى البرج الاخير من القران
الذى قبله فى المثلثة وهذا القران الذى هو قران العلويين ينقسم الى
كبير وصغير ووسط فالكبير هو اجتماع العلويين فى درجة واحدة
من الفلك الى ان يعود اليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة
والوسط هو اقتران العلويين فى كل مثلثة اثنى عشرة مرة وبعد
مائتين واربعين سنة ينتقل الى مثلثة اخرى والصغير هو اقتران
العلويين فى درجة برج وبعد عشرين سنة يقترنان فى برج آخر
على تثليثه الايمن فى مثل درجه او دقائقه مثال ذلك وقع
القران فى اول دقيقة من الحمل وبعد عشرين يكون فى اول دقيقة
من القوس وبعد عشرين يكون فى اول دقيقة من الاسد وهذه
كلها نارية وهذه كلها قران صغير ثم يعود الى اول الحمل بعد ستين
سنة ويسمى دور القران وعود القران وبعد مائتين واربعين ينتقل من
النارية الى الترابية لانها بعدها وهذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوائية
ثم المائية ثم يرجع الى اول الحمل فى تسعمائة وستين سنة وهو الكبير
والقران الكبير يدل على عظام الامور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال
الملك من قوم الى قوم والوسط على ظهور المتغلبين والطالبين للملك
والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن او عمرانها ويقع
اثناء هذه القرانات قران النحسين فى برج السرطان فى كل ثلثين سنة
مرة ويسمى الرابع وبرج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل
وهبوط المريخ فتعظم دلالة هذا القران فى الفتن والحروب وسفك
الدماء وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان الجند والوباء
والقحط ويدوم ذلك او ينتهى على قدر السعادة والنحوسة فى وقت
قرانهما على قدر تيسير الدليل فيه قال جراس بن احمد الحاسب
فى الكتاب الذى الفه لنظام الملك ورجوع المريخ الى العقرب له اثر عظيم
فى الملة الاسلامية لانه كان دليلها فالمولد النبوى كان عند قران

العلويين ببرج العقرب فلما رجع هناك حدث التشويش على الخلفاء وكثر المرض فى اهل العلم والدين ونقصت احوالهم وربما انهدم بعض بيوت العبادة وقد يقال انه كان عند قتل على رضى الله عنه ومروان من بنى امية والمتوكل من بنى العباس فاذا روعيت هذه الاحكام مع احكام القرانات كانت فى غاية الاحكام * قال ابو معشر فى « كتاب القرانات » القسمة اذا انتهت الى السابعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع القران مع ذلك ببرج العقرب وهو دليل العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم نبى ويكون قوة ملكه ومدته على ما بقى من درجات شرف الزهرة وهى احدى عشرة درجة بتقريب من برج الحوت ومدة ذلك ستمائة وعشر سنين وكان ظهور ابى مسلم عند انتقال الزهرة ووقوع القسمة اول الحمل وصاحب الجد المشترى وسياتى قول شادان البلخى وغيره فى انتهاء مدة تلك الملة * قال جراس سأل هرمز افريد الحكيم عن مدة اردشير وولده وملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشترى وكان فى شرفه فيعطى اطول السنين واجودها اربعمائة وسبعا وعشرين سنة ثم تزيد الزهرة وتكون فى شرفها وهى دليل العرب فيملكون لان طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القران فى شرفها فدل انهم يملكون الف سنة وستين سنة قال جراس وانتقال القران الى المثلثة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلث وستين وثمانمائة ليزدجرد وبعدها الى برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلث وخمسين قال والذى فى الحوت هو اول الانتقال والذى فى العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال وتحويل السنة الاولى من القرن الاول فى المثلثات المائية فى ثانى رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة ولم يستوف الكلام على ذلك * واما مستند المنجمين فى دولة على الخصوص فمن القران الاوسط وهيأة الفلك عند وقوعه لان له دلالة عندهم على حدوث

الدولة وجهاتها من العمران والقائمين بها من الامم وعدد ملوكهم واسمائهم واعمارهم ونحلهم وادبانهم وعوائدهم وحروبهم كما ذكر ابو معشر فى كتابه فى القرانات وقد توجد هذه الدلالة من القران الاصغر اذا كان الاوسط دالا عليه فمن هذا يوجد الكلام فى الدول وقد كان يعقوب بن اسحق الكندى منجم الرشيد والمامون وضع فى القرانات الكائنة فى الملة كتابا سماه « الشيعة بالجفر » باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حدثان دولة بنى العباس وانها نهايته واشار الى انقراضها والحادثة على بغداد انها تقع فى انتصاف المائة السابعة وان بانقراضها يكون انقراض الملة ولم نقف على شئ من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه ولعله غرق فى كتبهم التى طرحها هلاكو ملك التتر فى دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء وقد وقع بالمغرب جزء منسوب الى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير والظاهر انه وضع لبنى عبد المؤمن لذكر الاولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من حدثانه وكذب ما بعده وكان فى دولة بنى العباس من بعد الكندى منجمون وكتب فى الحدثان وانظر ما نقله الطبرى فى اخبار المهدى عن ابى بديل من اصحاب صنائع الدولة قال بعث الى الربيع والحسن فى غزاتهما مع الرشيد ايام ابيه فجئتهما جوف الليل فاذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعنى الحدثان واذا مدة المهدى فيه عشر سنين فقلت هذا الكتاب لا يخفى على المهدى وقد مضى من دولته ما مضى فاذا وقف عليه كنتم قد نعيتم اليه نفسه قالا فما الحيلة فاستدعيت عنبسة الوراق مولى آل بديل وقلت له انسخ هذه الورقة واكتب مكان عشر اربعين ففعل فوالله لولا انى رأيت العشرة فى تلك الورقة والاربعين فى هذه ما كنت اشك انها هى ثم

كتب الناس من بعد ذلك فى حدثان الدول منظوما ومنثورا ورجزا ماشاء الله ان يكتبوه بايدى الناس متفرقة كثير منها وتسمى « الملاحم » وبعضها فى حدثان الملة على العموم وبعضها فى دولة على الخصوص وكلها منسوبة الى مشاهير من اهل الخليقة وليس منها اصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب اليه فمن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روى الراء وهى متداولة بين الناس وتحسب العامة انها من الحدثان العام فيطلقون الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذى سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة لمتونة لان الرجل كان قبيل دولتهم وذكر فيها استيلاءهم على سبتة من يد موالى بنى حمود وملكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم بيد اهل المغرب ايضا قصيدة تسمى التبعية اولها

* طربت وما ذاك منى طرب * وقد يطرب الغائب المغتصب *

قريبا من خمسمائة بيت او الف فيما يقال ذكر فيها كثيرا من دولة الموحدين واشار فيها الى الفاطمى وغيره والظاهر انها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضا ملعبة من الشعر الزجل منسوبة لبعض اليهود وذكر فيها احكام القرانات لعصره العلويين والنحسين وغيرهما وذكر ميتته قتيلا بفاس وكان كذلك فيما زعموه وايانه نحو الخمسمائة وهى فى القرانات التى دلت على دولة الموحدين ومنها قصيدة ابن الابار فى حدثان دولة بنى ابى حفص بتونس من الموحدين ومنها ملعبة الهوثنى على لغة العامة فى عروض البلد والغالب عليها الوضع لانه لم يصح منها قول الا على تأويل تحرفه العامة او المحرف فيه من ينتحلها من الخاصة ومنها ملحمة ابن العربى الحاتمى فى كلام طويل شبه الالغاز لا يعلم تأويله الا الله تتخلله اوفاق عددية ورموز ملغوزة واشكال حيوانات تامة ورؤوس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفى آخرها قصيدة على روى اللام والغالب انها كلها غير

صحيحة لانها لم تنشأ عن اصل علمي من نجامة ولا غيرها وهناك ملاحم اخرى منسوبة لابن سينا وابن عقب وليس في شئ منهما دليل على الصحة لان ذلك انما يؤخذ من القرانات وملحمة اخرى من حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية يسمى الباجربقي وكلها الغاز بالحروف والغالب انها موضوعة ومثل صنعتها كان في القديم كثيرا ومعروف الانتحال وعند اهل الهند قصيدة فارسية وملحمة عجمية منسوبة الى الشاه نعمة الله الولى الهندى فيها حدثان دولة التيمورية التى كانت بالهند والظاهر انها مصنوعة ولم يصح شئ مما ذكر فيها الا بتأويل بعيد وتكلف طويل لا يلتفت الى مثلها وحكى المؤرخون لاخبار بغداد انه كان بها ايام المقتدر وراق ذكي يعرف بالدانيالي يبل الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرمز فيه بحروف من اسماء اهل الدولة ويشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من احوال الرفعة والجاه كانها ملاحم ويحصل على ما يريده منهم من الدنيا وذكر فيها كوائن اخرى وملاحم مما وقع ومما لم يقع ونسب جميعه الى دانيال قال ابن خلدون ولقد سألت اكمل الدين ابن شيخ الخنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن هذا الرجل الذى تنسب اليه من الصوفية وهو الباجربقي وكان عارفا بطرائقهم فقال كان من القلندرية المبتدعة في حلق اللحية وكان يتحدث عما يكون بطريق الكشف ويومى الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعينها في ضمنها لمن يراه منهم وربما يظهر نظم ذلك في ابيات قليلة كان يتعاهدها فتنوقلت عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة بفك رموزها وهو امر ممتنع اذ الرمز انما يهدى الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له واما مثل هذه الحروف فدلالاتها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزه فرأيت من كلام هذا

الرجل

الرجل الفاضل شفاء لما كان فى النفس من امر هذه المجمدة وما كنا لنهتدى اولا ان هدانا الله والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق وهو المستعان

﴿ ذكر ما قيل فى مدة ايام الدنيا ماضيها وباقيها ﴾

اعلم ان النـاس قد اختلفوا قديما وحديثا فى هذه المسألة فقال قوم من القدماء الاول بالاكوار والادوار وهم «الدهرية» وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ماكانت عليه بعد الوف من السنين معدودة وهم فى ذلك غالطون من جهة طول ادوار النجوم وذلك انهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا ادوارا للنجوم ليصححوا بها فى كل وقت مواضع الكواكب فظنوا ان العدد المشترك لجميعها هو عدد سنى العالم او ايام العالم وانه كلما مضى ذلك العدد عادت الاشـياء الى حالها الاول وقد وقع فى هذا الظن ناس كثير مثل ابى معشر وغيره وتبع هؤلاء خلق وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من العدد شيئا ما وذلك انك اذا طلبت عددا مشتركا بعده اعداد معلومة فانك تقدر ان تضع لكل زيج اياما معلومة كالذى وضعه الهند والفرس فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال فى هذه الادوار ظنوا انهـا عدد ايام العالم فتفطن ترشد وعند هؤلاء ان الدور هو اخذ الكواكـب من نقطة وهى سائرة حتى تعود الى تلك النقطة وان الكور هو استيناف الكواكـب فى ادوارها سيرا آخر الى ان تعود الى مواضعها مرة بعد اخرى وزعم اهل هذه المقـالة ان الادوار منحصرة فى انواع خمسة ﴿ الاول ﴾ ادوار الكواكب السيارة فى افلاك تداويرها ﴿ الثانى ﴾ ادوار مراكز افلاك التدوير فى افلاكها الحاملة ﴿ الثالث ﴾ ادوار افلاكها الحالة فى

تلك البروج ﴿ الرابع ﴾ ادوار الكواب الثابتة في فلك البروج ﴿ الخامس ﴾ ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها ما يكون في كل زمان طويل مرة واحدة ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة فاقصر هذه الادوار ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة فانه يدور في كل اربع وعشرين ساعة دورة واحدة وباقي الادوار يكون في ازمنة اخر اطول من هذه لا حاجة لنا في هذه المسألة الى ذكرها قالوا وادوار الكواكب الثابتة في فلك البروج تكون في كل ستة وثلثين الف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنتقل اوجات الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضاتها ونوبهراتها وبالعكس فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها الى ما كانت عليه من الاحوال في الزمان والمكان والاشخاص والاوضاع بحيث لا يتخالف ذرة واحدة وهم مع ذلك مختلفون في كمية ما مضى من ايام العالم وما بقي فقال البراهمة من الهند في ذلك قولا غريبا وهو ما حكاه عنهم الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في « كتاب القانون المسعودي » انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له براهيم ويزعمون انه محدث محصور الموت بين مبدأ وانتهاء عمره كعمرها مائة سنة برهموية كل سنة منها ثلثمائة وستون يوما زمان النهار بقدر مدة دوران الافلاك والكواكب لاثارة الكون والفساد وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة في اول برج الحمل باوجاتها وجوزهراتها ومقدارها اربعة آلاف الف الف سنة وثلثمائة الف الف سنة وعشرون الف الف سنة شمسية وهو زمان اثنى عشر الف دورة للكواكب الثابتة على ان زمان الدورة الواحدة ثلثمائة الف وستون الف سنة شمسية واسم هذا النهار بلغتهم « الكلبة » وزمان الليل عندهم كزمان النهار وفي الليل تسكن المتحركات وتستريح الطبيعة من اثارة الكون

والفساد

والفساد ثم يثور فى مبدأ اليوم الثانى بالحركة والتكون فيكون زمان اليوم بليلته من سنى الناس ثمانية آلاف الف الف سنة وستمائة الف الف سنة واربعين الف الف سنة فاذا ضربنا ذلك فى ثلثمائة وستين تبلغ سنو ايام السنة البرهموية ثلثة آلاف الف الف الف سنة وعشرة آلاف الف الف سنة واربعمائة الف الف سنة شمسية فاذا ضربنا هذا فى مائة يبلغ عمر الملك الطبيعى البرهموى من سنى الناس ثلثمائة الف الف الف الف سنة واحد عشر الف الف الف سنة واربعين الف الف سنة شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكون ماشاء الله ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور الى تسع وعشرين قطعة سموا كل اربع عشرة قطعة منها « نوبا » وسموا الخمس عشرة قطعة الباقية « فصولا » وجعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين وكل فصل محصورا بين نوبتين وقسموا زمان الفصل على النوبة الى تمام المدة وزمان الفصل هو خمسا الدور والدور جزء من الف جزء من المدة فاذا قسمنا المدة على الف يحصل زمان الدور اربعة آلاف سنة وثلثمائة الف سنة وعشرين الف سنة وخمساه اعنى زمان الفصل الف الف سنة وسبعمائة الف سنة وثمانية وعشرون الف سنة وزمان النوبة عندهم احد وسبعون دورا مقدارها من السنين ثلثمائة الف الف سنة وستة آلاف الف سنة وسبعمائة الف سنة وعشرون الف سنة وقد قسموا الدور ايضا باربع قطع اولها اعظمها وهى مدة الفصل المذكور وثانيها ثلثة ارباع الفصل ومدتها الف الف سنة ومائتا الف سنة وستة وتسعون الف سنة وثالثها نصف الفصل ومدته ثمانمائة الف سنة واربعة وستون الف سنة ورابعها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور ومدته اربعمائة الف سنة واثنان وثلثون الف سنة ولكل واحد من هذه القطع الاربع اسم يعرف به

فاسم القطعة الرابعة عندهم « كلكال » لانهم يزعمون انهم فى زمانها وان الذى مضى من عمر الملك الطبيعى على زعم حكيمهم الاعظم المسمى عندهم « برهمكوت » ثمان سنين وخمسة اشهر واربعة ايام ونحن الآن فى نهار اليوم الخامس من اشهر السادس من السنة التاسعة ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة وعشرون دورا من النوبة السابعة وثلث قطع من الدور المذكور اعنى تسعة اعشاره ومضى من القطعة الرابعة اعنى من اول كلكال الى هلاك « شككال » عظيم ملوكهم الواقع فى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ثلثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة وقال انما عرفنا هذا الزمان من علم الهى وقع الينا من عظماء انبيائنا المتألهين رواياتهم جيلا بعد جيل على ممر الدهور والازمان وزعموا ان مبدأ كل دور اوفصل اوقطعة اونوبة تجدد ازمنة العوالم وتنتقل من حال الى حال وان الماضى من اول كلكال الى شككال ثلثة آلاف ومائة وتسع وسبعون سنة والماضى من النهار المذكور الى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر الف الف سنة وتسعمائة الف الف سنة واثنان وسبعون الف الف سنة وتسعمائة الف سنة وسبعة واربعون الف سنة ومائة سنة وسبع وسبعون سنة فيكون الماضى من عمر الملك الطبيعى الى آخر هذه السنة ستة وعشرين الف الف الف سنة وثلثمائة الف الف الف سنة وخمسة عشر الف الف الف سنة وسبعمائة الف الف سنة واثنين وثلثين الف الف سنة وتسعمائة الف سنة وسبعة واربعين الف سنة ومائة سنة وتسعا وسبعين سنة فاذا زدنا عليها الباقى من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه تحصل الماضى من عمر الملك بالوقت المفروض والله اعلم بحقيقة ذلك * قال الخطا والايغر * فى ذلك قولا اعجب من قول الهند واغرب على ما نقلته من زيج ادوار الانوار وقد نخص

هذا

هذا القول من كتب اهل الصين وذلك انهم جعلوا مبادى سنيهم مبنية على ثلثة ادوار ﴿ الاول ﴾ يعرف بالعشرى مدة عشر سنين لكل سنة منها اسم يعرف به ﴿ والثانى ﴾ يعرف بالدور الاثنى عشرى وهو اشهرها خصوصا فى بلاد الترك يسمون سنيه باسماء حيوانات بلغتى الخطا والايغر ﴿ والثالث ﴾ مركب من الدورين جميعا ومدته ستون سنة وبه يؤرخون سنى العالم وايامه ويقوم عندهم مقام ايام الاسبوع عند العرب وغيرهما واسم كل سنة منها مركب من اسميها فى الدورين جميعا وكذلك كل يوم من ايام السنة ولهذا الدور ثلثة اسماء وهى « شانكون » و « جونكون » و « خاون » ويصير بحسبها مرة اعظم ومرة اوسط ومرة اصغر فيقال دور شانكون الاعظم ودور جانكون الاوسط ودور خاون الاصغر وبهذه الادوار يعتبرون سنى العالم وايامه وجملتها مائة وثمانون سنة ثم تدور الادوار الثلثة عليها مرة اخرى واتفق وقوع مبدأ الدور الاعظم فى الشهر الاول من سنة ثلث وثلثين وستمائة ليزدجرد واسمها بلغتهم « كادر » وبلغة العرب « سنة الفار » وكان دخول اول فروردين هذه السنة من سنى العرب يوم الخميس وهو بلغتهم « سن جن » ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ تترتب مبادى سنيهم وايامهم فى الماضى والمستقبل وشهورهم اثنا عشر شهرا لكل شهر منها اسم بلغة الخطا وبلغة الايغر لا حاجة بنا هنا الى ذكرها ويقسمون اليوم الاول بليلته اثنى عشر قسما كل قسم منها يقال له « جاغ » وكل جاغ ثمانية اقسام كل قسم منها يقال له « كه » ويقسمون اليوم بليلته ايضا عشرة آلاف « فنك » وكل فنك منها مائة « مياو » فيصيب كل جاغ ثمانمائة وثلثة وثلثين فنكا وثلث فنك وكل كه مائة واربعة افناك وسدس فنك وينسبون كل جاغ الى صورة من الصور الاثنى عشرة ومبدأ اليوم بليلته عندهم من نصف الليل وفى منتصف جاغ « كسكو » يتغير اول النهار وآخره بحسب

الطول والقصر من قبل ان كل جاغ ساعتان مستويتان وفى منتصف النهار ينتصف جاغ « بوند » وهم يكبسون فى كل ثلث سنين قريبة شهرا واحدا يسمونه « سبون » ليحفظوا بالكبس مبادى سنى الشمس فى زمان واحد من سنة اخرى ويكبسون احد عشر شهرا فى كل ثلثين سنة قريبة ولا يقع عندهم شهر الكبس فى موضع واحد بعينه من السنة بل يقع فى كل موضع منها وكل شهر عدة ايامه اما ثلثون يوما او تسعة وعشرون يوما ولا يمكن عندهم اكثر من ثلثة اشهر متوالية تامة ولا اكثر من شهرين ناقصين ومبادى شهورهم يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا فان وقع الاجتماع ليلا كان اول الشهر فى اليوم الذى بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب ارصادهم ثلثمائة وخمسة وستون يوما والفان واربعمائة وستة وثلثون فنكا والسنة اربعة وعشرون قسما كل قسم منها خمسة عشر يوما والفان ومائة واربعة وثمانون فنكا وخمسة اسداس فنك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم وكل ستة اقسام منها فصل من فصول السنة فاسم اول قسم من فصولها « الحن » واوله ابدا حيث تكون الشمس فى ست عشرة درجة من برج الدلو وهكذا اوائل كل فصل انما تكون فى حدود اواسط البروج الثابتة وكان بعد مدخل الحن من اول الدور الستينى فى السنة المذكورة احد عشر فنكا وسبعة آلاف وستمائة وستين فنكا واسم مدخله « بى خابنى » وكان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بنحو عشرين يوما ويبعد مدخله عن اول الدور فى كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة الدور وهو خمسة ايام واربعة وعشرون فنكا فان زادت الايام على ستين يوما كان الباقى بعد الحن فى تلك السنة عن اول الدور الستينى ويتفاضل البعد بينهما فى كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة القمر التى هى ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وثلثة آلاف وستمائة واثنان وسبعون فنكا

ومقدار الفضل بينهما عشرة ايام وثمانية آلاف وسبعمائة واربعة
وعشرون يوما وخمسة آلاف وثمانمائة وستة افنائك نقص منها هذا
العدد واحتسب بالباقي فاذا عرفت هذا من حسابهم فاعلم ان عمر العالم
عندهم ثلثمائة الف « ون » وستون الف ون كل ون عشرة آلاف سنة
مضى من ذلك الى اول سنة ثلث وثلثين وستمائة ليزدجرد وهى
دور شانكون الاعظم ثمانية آلاف ون وثمانمائة ون وثلثة وستون
ونا وتسعة آلاف وسبعمائة واربعون سنة فتكون المدة العظمى
على هذا ثلثة آلاف الف الف الف الف سنة وستمائة الف الف
الف الف سنة بهذه الصورة ٣٫٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ والماضى منها الى
السنة المذكورة ثمانية وثمانون الف الف سنة وستمائة الف سنة
وتسعة وثلثون الف سنة وسبعمائة سنة واربعون سنة بهذه الصورة
٨٨٫٦٣٩٫٧٤٠ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله
وانما ذكرت طرفا من حساب سنى البراهمة وطرفا من حساب سنى الخطا
والايغر المستخرج من حساب الصين ليعلم ان ذلك لم يضعه حكماؤهم
عبثا « ولامر ما جدع قصير انفه » وكم من جاهل بالتعاليم اذا سمع
اقوالهم فى مدة سنى العالم يبادر الى تكذيبهم من غير علم بدليلهم عليه
وطريق الحق ان يتوقف فيما لا يعلمه حتى يتبين احد طرفيه فيرجحه
على الآخر « والله يعلم وانتم لا تعلمون » ﴿ وقال اصحاب السند هند ﴾
ومعناه دهر الداهران الكواكب واوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها
فى اول برج الحمل عند كل اربعة آلاف الف الف سنة وثلثمائة الف
الف سنة وعشرين الف الف سنة شمسية وهذه مدة سنى العالم قالوا
واذا جمعت رأس الحمل فسدت المكونات الثلث التى يحويها عالم
الكون والفساد المعبر عنه بالحيوة الدنيا وهذه المكونات هى المعدن
والنبات والحيوان فاذا فسدت بقى العالم السفلى خرابا دهرا طويلا الى
ان تتفرق الكواكب والاوجات والجوزهرات فى بروج الفلك فاذا

تفرقت فيها بدأ الكون بعد الفساد فعادت احوال العالم السفلى الى الامر الاول وهذا يكون عودا بعد بدء الى غير نهاية قالوا ولكل واحد من الكواكب والاوجات والجوزهرات عدة ادوار فى هذه المدة يدل على كل دور منها على شئ من المكونات كما هو مذكور فى كتبهم مما لا حاجة بنا هنا الى ذكره وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذين تقدم ذكرهم ﴿ وقال اصحاب الهازروان ﴾ من قدماء الهند ان كل ثلثمائة الف سنة وستين الف سنة شمسية يهلك العالم باسره ويبقى مثل هذه المدة ثم يعود بعينه ويعقبه البدل وهكذا ابدا يكون الحال لا الى نهاية قالوا ومضى من ايام العالم المذكورة الى طوفان نوح عليه السلام مائة الف وثمانون الف سنة شمسية ومضى من الطوفان الى سنة الهجرة المحمدية على صاحبها الصلوة والتحية ثلثة آلاف وسبعمائة وثلث وعشرون سنة واربعة اشهر وايام وباقى من سنى العالم حتى يبتدئ ويفنى مائة الف وبضع وسبعون الف سنة شمسية اولها تاريخ الهجرة الذى يورخ به اهل الاسلام ﴿ وقال اصحاب الازجهير ﴾ مدة العالم التى تجتمع فيها الكواكب براس الحمل هى واوجاتها وجوزهراتها جزء من الف جزء من مدة السند هند وهذا ايضا منتزع من قول البراهمة ﴿ وقال ابومعشر وابن نوبخت ﴾ ان بعض الفرس يرى ان عمر الدنيا اثنا عشر الف سنة بعدة البروج لكل برج الف سنة فكان ابتداء امر الدنيا فى اول الف الحمل لان الحمل والثور والجوزاء تسمى اشرف الشرف وينسب الى الحمل الفصل وفيها تكون الشمس فى شرفها وعلوها وطول نهارها ولذلك الدنيا كانت الى ثلثة آلاف سنة علوية روحانية طاهرة ولان السرطان والاسد والسنبلة متنقصة فان الشمس تحط من علوها فى اول دقيقة من السرطان وكان قدر الدنيا وابناؤها منحطا فى ثلاثة آلاف الثانية ولان الميزان اهبط الهبوط وبئر الابار وضد البرج الذى فيه شرف الشمس دل

على انه اصاب الدنيا فاكتسب اهلها المعصية و الميزان و العقرب والقوس اذا نزلتها الشمس لم تزدد الا انحطاطا والايام الانقصانا فلذلك دات على البلايا والضيق و الشدة والشر وحيث تبلغ الآلاف الى اول الجدى الذي فيه اول ارتفاع الشمس واشرافها على شرفها وفيه تزداد الايام طولا و الدلو و الحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تصل لشرفهما فيدل على ظهور الخير وضعف الشر وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب فى تلك الثلثة آلاف سنة وما يكون فى ذلك فعلى قدر صاحب الالف و المائة والعشرة وعلى حسب اتفاق الكواكب فى اول سرطان صاحب الالف فلا يزال ذلك فى زيادة حتى يعود امر الدنيا فى آخرها الى مثل ما كان عليه ابتداؤها وهى فى الف الحمل وكلما تقارب آخر كل الف من هذه الالوف اشتد الزمان وكثرت البلايا لان اواخر البرج فى حدود النحوس وكذلك فى آخر المئين و العشرات فعلى هذا الانقضاء للدنيا اذا كان الزمان يعود الى الحمل كما بدأ اول مرة وزعموا ان ابتداء الخلق بالحرك كان و الشمس فى ابتداء المصير فدار الفلك و جرت المياه وهبت الرياح واتقدت النيران وتحرك سائر الخلائق بما هم عليه من خير وشر والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان و فيه المشترى وفى البيت الرابع الذى هو بيت العافية وهو برج الميزان زحل وكان الذنب فى القوس و المريخ فى الجدى والزهرة وعطارد فى الحوت ووسط السماء برج الحمل وفى اول دقيقة منه الشمس .كان القمر فى الثور وفى بيت السعادة وكان الرأس فى برج الجوزاء وبيت الشقاء وفى تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال امر الدنيا فكان خيرها وشرها وانحطاطها و ارتفاعها وسائر ما فيها على قدر مجارى البروج و النجوم و ولاية اصحاب الالوف وغير ذلك من احوالها ولان المشترى كان فى السرطان فى شرفه وزحل فى

الميزان فى شرفه والمريخ والشمس والقمر فى اشرافها دلت على كائنة جليلة فكان نشو العالم وبرز زحل فتولى الالف هو والميزان وكان المشترى فى الطالع مقبولا وكذلك جميع الكواكب كانت مقبولة فدل على نماء العالم وحسن نشوه وكان زحل هو المستولى والعالى فى الفلك والبرج طويل الطالع فطالت اعمار تلك الالف وقويت ابدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان تحت الارض دل على خفاء اول حدوث العالم وعلى ان اهل ذلك الزمان ينظرون فى عمارة الارضين وتشييد البنيان * ثم ولى الالف الثانى العقرب والمريخ وكان فى الطالع المريخ فدل على القتل فى ذلك الالف وسفك الدماء والسبى والظلم والجور والخوف والهم والاحزان والفساد وجور الملوك * وولى الالف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة بطلوعهما وكان الذنب فى القوس فدل المشترى على النجدة فى تلك الالف والشدة والجلد والبأس والرياسة والعدل وتقسيم الملوك الدنيا وسفك الدماء بسبب ذلك ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبياء ودل عطارد على ظهور العقل والادب والكلام وكون البرج مجسدا دل على انقلاب الخير والشر فى تلك الالف مرات وعلى ظهور الوان من آيات الحق والعدل والجور * ثم ولى الالف الرابع الجدى وكان فيه المريخ فدل على ما كان فى تلك الالف من اهراق الدماء ودلت الشمس على ظهور الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته وطاعة انبيائه والرغبة فى الدين مع الشجاعة والجلد وكون البرج منقلبا هو والبرج الذى فيه الشمس دل على انقلاب ذلك فى آخرها وظهور الشر والتفرق والقسم والقتل وسفك الدماء والغصب فى اصناف كثيرة وتحول ذلك وتلونه وكون الجدى منحطا دل على انه يظهر فى آخر تلك الالف الحسن الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظماء والحكماء

وبوارهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب وكثرة تلون الاشياء * وولى الف الخامس الدلو بطلوع القمر وكان القمر فى الثور فدل الدلو لبرودته وعسره على سقوط العظماء وعطلة امرهم وارتفاع السفلة والعبيد ومحمدة البخلاء وظهور الجيش الاسود والسواد وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور الكلام فى الاديان ومحبة الخصومات وكون القمر فى شرفه يدل على قهر الملوك وظهور ولاة الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة والكف عن الدماء والراحة والسعادة فى العامة وثبات مايكون من العدل والخير وطول المدة فيه وكون البرج مائيا يدل على كثرة الامطار والغرق وآفة من البرد يهلك فيها الكثير * وبلى الالف السادس برج الحوت بطلوع المشترى والراس فيدل على المحمدة فى الناس عامة وعلى الصلاح والخير والسرور وذهاب الشر وحسن العيش ولكل واحد من الكواكب ولاية الف سنة فصار عطارد خاتما فى برج السنبلة * وزعم ابن بوبخت ان من يوم سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين من ملك انوشيروان ثلثة آلاف وثمانمائة وسبع وستون سنة وذلك فى الف الجدى وتدبير الشمس ومنه الى اليوم الاول من الهجرة سبع وثمانون سنة شمسية وستة وعشرون يوما ومن الهجرة الى قيام يزدجرد تسع سنين وثلثمائة وسبعة وثلثون يوما فذلك الجميع الى ان قام يزدجرد ثلثة آلاف وتسعمائة وست وستون سنة * وقال ابومعشر * وزعم قوم من الفرس ان عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدة الكواكب السبعة وزعم ابومعشر ان عمر الدنيا ثلثمائة الف سنة وستون الف سنة وان الطوفان كان فى النصف من ذلك على راس مائة الف وثمانين الف سنة * وقال قوم * عمر الدنيا تسعة آلاف سنة لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة الف سنة وللراس الف سنة وللذنب الف سنة وشرها الف الذنب وان الاعمار طالت

فى تدبير آلاف الثلثة العلوية وقصرت فى آلاف الكواكب السفلية ❁ وقال قوم ❁ عمر الدنيا تسعة عشر الف سنة بعدد البروج الاثنى عشر لكل برج الف سنة وبعدد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب الف سنة ❁ وقال قوم ❁ عمر الدنيا احد وعشرون الف سنة بزيادة الف للراس والف للذنب ❁ وقال قوم ❁ عمر الدنيا ثمانية وسبعون الف سنة فى تدبير برج الحمل اثنا عشر الف سنة وفى تدبير برج الثور احد عشر الف سنة وفى تدبير الجوزاء عشرة آلاف سنة فكانت الاعمار فى هذا الربع اطول والزمان اجد ثم تدبير الربع الثانى مدة اربعة وعشرين الف سنة فتكون الاعمار دون ما كانت فى الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمسة عشر الف سنة وتدبير الربع الرابع ستة آلاف سنة ❁ وقال قوم ❁ كانت المدة من آدم الى الطوفان الفين وثمانين سنة واربعة اشهر وخمسة عشر يوما ومن الطوفان الى ابراهيم عليه السلام تسعمائة واثنين واربعين سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلثة آلاف ومائتان وثلث وعشرون سنة ❁ وقال قوم من اليهود ❁ عمر الدنيا سبعون الف سنة محصرة فى الف جيل واقفوا ذلك من قول موسى عليه السلام فى صلاته ان الجيل سبعون سنة من قوله فى الزبور ان ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد بقاء البشر الف جيل فجاء من ذلك ان مدة الدنيا سبعون الف سنة واستظهروا لقولهم هذا بما فى التوراة من قوله « واعلم ان الله الهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل لمحبيه وحافظى وصاياه لالف جيل » وذكر ابو الحسن على بن الحسين المسعودى فى كتاب « اخبار الزمان » عن الاوائل انهم قالوا كان فى الارض ثمان وعشرون امة ذات ارواح وايد وبطش وصور مختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة امة منفردة تعرف بها تلك الامة ويزعمون ان تلك الامم كانت الكواكب الثابتة تدبرها وكانوا يعبدونها ويقال لما خلق الله تعالى البروج الاثنى

عشر

عشر قسم دوامهـا فى سلطانهـا فجعل للحمل اثنى عشر الف عام وللثور احد عشر الف عام وللجوزآء عشرة آلاف عام وللسرطـان تسعة آلاف عام وللاسد ثمانيه آلاف عام وللسنبلة سبعة آلاف عام وللميزان ستة آلاف عام وللعقرب خمسة آلاف عام وللقوس اربعة آلاف عام وللجدى ثلثة آلاف عام وللدلو الفى عام وللحوت الف عام فصار الجميع ثمانية وسبعين الف عام فلم يكن فى عالم الحمل والثور والجوزاء حيوان وذلك ثلثة وثلثون الف عام فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء و هوام الارض فلما كان عالم الاسد تكونت ذوات الاربع من الوحش و البهائم وذلك بعد تسعة آلاف عام من خلق دواب الماء والهوام فلما كان عالم السنبلة تكون الانسانان الاولان وهما « ادمانوس » « وحنوانوس » وذلك لتمام سبعة عشر الف عام لخلق دواب الماء و هوام الارض ولتمام ثمانية آلاف عام من خلق ذوات الاربع وخلقت الارض فى عالم الميزان ويقال بل خلقت الارض اولا واقامت خالية ثلثة وثلثين الف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحانى ثم خلق الله تعالى هوام الماء ودواب الارض و ما بعد ذلك على ما تقدم ذكره فلما تم اربعة وعشرون الف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتمام خمســة عشر الف عام من خلق ذوات الاربع و لتمة سبعــة آلاف عام من لدن تكون الانسانين خلقت الطيور ويقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهما فى الارض مائة الف وثلثة وثلثون الف عام منها لزحل ستة وخمسون الف عام وللمشترى اربعة واربعون الف عام وللمريخ ثلثة وثلثون الف عام ويقال ان الامم المخلوقات قبل آدم هى كانت الجبلة الاولى وهى ثمان وعشرون امة بازاء منازل القمر خلقت من امزجة مختلفة اصلها الماء و الهواء و الارض و النار فتباين خلقها فمنها امة خلقت طوالا زرقا ذوات اجنحة كلامهم قرقعة على صفة الاسود ومنها امة ابدانهم ابدان الاسود و رؤوسهم رؤوس

الطير لهم شعور وآذان طوال وكلامهم دوى ومنها امة لها وجهان وجه امامها ووجه خلفها ولها ارجل كثيرة وكلامهم كلام الطير ومنها امة ضعيفة فى صور الكلاب لها اذناب وكلامهم همهمة لا يعرف * ومنها امة تشبه بنى آدم افواههم فى صدورهم يصفرون اذا تكلموا صفيرا * ومنها امة يشبهون نصف انسان لهم عين واحدة ورجل يقفزون بها قفزا ويصيحون كصياح الطير * ومنها امة لها وجوه كوجوه الناس واصلاب كاصلاب السلاحف فى رؤوسهم قرون طوال لا يفهم كلامهم ومنها امة مدورة الوجوه لهم شعور بيض واذناب كاذناب البقر ورؤوسهم فى صدورهم لهم شعور وثدى وهم اناث كلهن ليس فيهن ذكر يلقحن من الريح ويلدن امثالهن ولهن اصوات مطربة يجتمع اليهن كثير من هذه الامم لحسن اصواتهن * ومنها امة على خلق بنى آدم سود وجوههم ورؤوسهم كرؤوس الغربان * ومنها امة فى خلق الهوام والحشرات الا انها عظيمة الاجسام تاكل وتشرب مثل الانعام * ومنها امة كوجوه دواب البحر لها انياب كانياب الخنازير وآذان طوال ويقال ان هذه الثمانية والعشرين امة تناكحت فصارت مائة وعشرين امة * وسئل امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه هل كان فى الارض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى فقال نعم خلق الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله ويقدسونه لا يفترون وكانوا يطيرون الى السماء ويلقون الملائكة ويسلمون عليهم ويستعلمون منهم خبر ما فى السماء ثم ان طائفة منهم تمردت وعتت عن امر ربها وبغت فى الارض بغير الحق وعدا بعضهم على بعض وجحدوا الربوبية وكفروا بالله وعبدوا ما سواه وتغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء واظهروا فى الارض الفساد وكثر تقاتلهم وعلا بعضهم على بعض واقام المطيعون لله تعالى

على

على دينهم وكان ابليس من الطائفة المطيعة لله والمسبحين له وكان يصعد الى السماء فلا يحجب عنها لحسن طاعته * ويروى ان الجن كانت تفترق على احدى وعشرين قبيلة وان بعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا يقال له شملال بن ارس ثم افترقوا فملكوا عليهم خمسة ملوك واقاموا على ذلك دهرا طويلا ثم اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقائع كثيرة فاهبط الله تعالى عليهم ابليس وكان اسمه بالعربية الحارث كنيته ابومرة ومعه عدد كثير من الملائكة فهزمهم وقتلهم وصار ابليس ملكا على وجه الارض فتكبر وطغى وكان من امتناعه من السجود لآدم ما كان فاهبطه الله تعالى الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الماء فالقيت عليه شهوة الجماع وجعل لقاحه لقاح الطير وبيضه ويقال ان قبائل الجن من الشياطين خمس وثلثون قبيلة خمس عشرة قبيلة تطير فى الهواء وعشر قبائل مع لهب النار وثلثون قبيلة يسترقون السمع من السماء ولكل قبيلة ملك موكل بدفع شرها ومنهم صنف من السعالى يتصورون فى صور النساء الحسان ويتزوجن برجال الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور الحيات اذا قتل احد منهم واحدة هلك من وقته فان كانت صغيرة هلك ولده او عزيز عنده * وعن ابن عباس انه قال ان الكلاب من الجن فاذا * رأوكم تاكلون فالقوا اليهم من طعامكم فان لهم انفسا يعنى انهم ياخذون بالعين * وقد روى ان الارض كانت معمورة بامم كثيرة منهم « الطم » و « الرم » و « الجن » و « البن » و « الحسن » و « البسن » وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ولما خلق الارض عمرها بالجن فعاثوا وسفكوا الدماء فانزل الله اليهم جندا من الملائكة فاتوا على اكثرهم قتلا واسرا فكان ممن اسر ابليس وكان اسمه عزازيل فلما صعد به الى السماء اخذ نفسه بالاجتهاد فى العبادة والطاعة رجاء ان يتوب الله عليه

فلما لم يجد ذلك عليه شيئا خامر الملائكة القنوط فاراد الله ان يظهر لهم خبث طويته وفساد نيته فخلق آدم فامتحنه بالسجود له ليظهر للملائكة تكبره وابائه ما خفى عنهم من مكتوم انبائه والى عمارة الارض قبل آدم بمن افسد فيها اشار بقوله تعالى حكاية عن الملائكة «اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» يعنون كما فعل بها من قبل والله اعلم بمراده هكذا قيل * ويقال والذى ينبغى التعويل عليه والتصيير اليه ماوورد به الكتاب العزيز والسنة المطهرة من بدء الخلق وما كان وما يكون وهو قليل جدا وما اتى الناس به من القصص واساطير المخلوقات قبل آدم وبعده فلا يقبل منه الا ما يشهد به نص من كتاب انزل من عند الله تعالى او خبر صحيح ورد من رسول الله صلعم واما ما جاء من اهل الكتاب ومن يضاهيهم فلا نصدقه ولا نكذبه بل نتوقف فيه ونكل علمه الى الله تعالى ولا نقطع بصحته لان اسانيده الى الذين رووا عنهم منقطعة معضلة غير متتابعة لبعد العهد وطول الامد * وما اوتيتم من العلم الا قليلا * ولا يعلم جنود ربك الا هو * والنظر فى كتب التواريخ لا يورث الا خلافا كثيرا وتعارضا شديدا وحيرة مدهشة وباطلا لا حق وخطأ لا صواب وكذبا لا صدق والخوض فى امثال ذلك شان السفهاء دون العقلاء لان ما لم يكن سبيل الى تحقيقه لا يحسن السلوك فى طريقه * قال ابو بكر بن احمد بن على بن وحشية فى «كتاب الفلاحة» انه عرب هذا الكتاب ونقله من لسان الكلدانيين الى اللغة العربية وانه وجده من وضع ثلثة حكماء قدماء وهم «صعريت» و«سوساد» و«قوثاى» ابتدأه الاول وكان ظهوره فى الالف السابع من سبعة آلاف سنى زحل وهى الالف التى يشارك فيها زحل القمر وتممه الثانى وكان ظهوره فى آخر هذه الالف واكمله الثالث وكان ظهوره بعد مضى اربعة آلاف سنة من دور الشمس الذى هو سبعة آلاف سنة وانه نظر

الى ما بين زمان الاول والثالث فكان ثمانية عشر الف سنة شمسية وبعض الالف التاسع عشر * وقد اختلف اهل الاسلام في هذه المسألة ايضا فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة واليوم الف سنة فذلك سبعة آلاف سنة وروى سفيان عن الاعمش عن ابى صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة آلاف سنة وعن وهب بن منبه انه قال قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة انى لاعرف كل زمان منها ومن فيه من الانبياء فقيل له فكم الدنيا قال ستة آلاف سنة * وروى عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلعم * يقول اجلكم فى اجل من كان قبلكم من صلوة العصر الى مغرب الشمس * اخرجه الشيخان وفى حديث ابى هريرة الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحاء وضمها * قال ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانى فى « كتاب الاكليل » وكان الدنيا جزءا من اربعة وخمسين يوما وخمس وسدس يوم فاذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم الف سنة تكون سنين قرية ستة آلاف الف سنة فاذا جعلناه جزأ وضربناه فى اجزاء الحقب وهى اربعة آلاف وسبعمائة سنة وثلث وعشرون وثلث خرج من السنين ثمانية وعشرون الف الف الف وثلثمائة الف الف واربعون الف الف واذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد الحقب وقال ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى الصواب من القول مادل على صحته الخبر الوارد فذكر قوله عليه السلام « اجلكم فى اجل من كان قبلكم من صلوة العصر الى مغرب الشمس » وقوله عليه السلام * بعثت انا والساعة كهاتين * واشار بالسبابة والوسطى وقوله عليه السلام * بعثت انا والساعة جميعا ان كادت لتسبقنى * قال فمعلوم

ان كان اليوم اوله طلوع الشمس وآخره غروب الشمس وكان صحيحا عن النبي صلعم قوله اجلكم فى اجل من كان قبلكم من صلوة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى وكان قدر ما بين اوسط اوقات صلوة العصر وذلك اذا صار كل شئ مثليه على التحرى انما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا او ينقص قليلا وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة انما يكون نحوا من ذلك وكان صحيحا مع ذلك قوله صلعم * لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم * يعنى نصف اليوم الذى مقداره الف سنة فاولى القولين اللذين احدهما عن ابن عباس والآخر عن كعب قول ابن عباس ان الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف واذا كان كذلك وكان قد جاء عنه عليه السلام ان الباقى من ذلك فى حياته نصف يوم وذلك خمسمائة عام اذا كان ذلك نصف يوم من الايام التى قدر الواحد منها الف عام كان معلوما ان الماضى من الدنيا الى وقت قوله عليه السلام ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة اونحو ذلك وقد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال ان الدنيا كلها ستة آلاف سنة اوكان صحيحا لم يعد القول به الى غيره وهو حديث ابى هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا فتبين من هذا الخبر ان الدنيا كلها ستة آلاف سنة وذلك انه حيث كان اليوم الذى هو من ايام الآخرة مقداره الف سنة من سنى الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا كان معلوما ان جميعها ستة ايام من ايام الآخرة وذلك ستة آلاف سنة وقال ابو القاسم السهيلى وقدمضت الخمسمائة من وفاته صلعم الى اليوم بنيف عليها وليس فى الحديثين ما يشهد لشئ مما ذكر مع وقوع الوجود بخلافه وليس فى قوله لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم ما ينفى الزيادة على

النصف ولا فى قوله بعثت انا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله يعنى الطبرى فقد نقل فى تأويله غير هذا وهو انه ليس بينه وبين الساعة نبى ولا شرعة غير شرعته مع التقريب لحينها كما قال تعالى « اقتربت الساعة » وقال « اتى امر الله فلا تستعجلوه » ثم رجع السهيلى الى تعيين امد الملة من مدرك آخر لو ساعده التحقيق وقال ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث فى الالف الآخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا الى الحروف المقطعة فى اوائل السور وجدناها اربعة عشر حرفا يجمعها قولك « الم يسطع نص حق كره » ثم تاخذ العدد على حساب « ابى جاد » فيجئ تسعمائة وثلثة ولم يسم الله تعالى اوائل السور الا هذه الحروف فليس يبعد ان يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه من حديث الالف السابع الذى بعث عليه السلام فيه غير ان الحساب يحتمل ان يكون من مبعثه او من وفاته او من هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء اشراطها ولكن لا تاتيكم الا بغتة * وقد روى انه عليه السلام قال « ان احسنت امتى فبقاؤها يوم من ايام الآخرة وذلك الف سنة وان اساءت فنصف يوم » ففى الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له اذ قد انقضت الخمسمائة والامة باقية قال ابن خلدون قلت وكونه لا يبعد لا يقتضى ظهوره ولا التعويل عليه والذى حمل السهيلى على ذلك انما هو ما وقع فى « كتاب السير » لابن اسحق فى حديث ابنى اخطب من احبار اليهود وهما « ابو ياسر » واخوه « حيى » حين سمعا من الاحرف المقطعة « الم » وتأولاها على بيان المدة بهذا الحساب فبلغت احدى وسبعين فاستقلا المدة وجاء حيى الى النبى صلعم يسأله هل مع هذا غيره فقال « المص » ثم استزاد « الر » ثم استزاد « المر » فكانت احدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة وقال قد لبس علينا

امرك يا محمد حتى لا ندرى اقليلا اعطيت ام كثيرا ثم ذهبوا عنه وقال لهم ابو ياسر ما يدريكم لعله اعطى عددها كلها تسعمائة واربع سنين قال ابن اسحق فنزل قوله تعالى * منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات * انتهى * ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك الاعداد ليست طبيعية ولا عقلية وانما هى بالتواضع والاصطلاح الذى يسمونه « حساب الجمل » نعم انه قديم مشهور وقدم الاصطلاح لا يصير حجة وليس ابو ياسر واخوه حيى من يؤخذ رأيه فى ذلك دليلا ولا من علماء اليهود لانهم كانوا بادية بالحجاز غفلا عن الصنائع والعلوم حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم وانما يتلقفون مثل هذا الحساب كما تتلقفه العوام فى كل ملة فلا ينهض للسهيلى دليل على ما ادعاه من ذلك * انتهى كلامه * وقال شاذان البلخى المنجم مدة ملة الاسلام ثلثمائة وعشر سنين وقد ظهر كذب قوله ولله الحمد * وقال ابو معشر يظهر بعد المائة والخمسين من سنى الهجرة اختلاف كثير ولم يصح ذلك * وقال حراس ان المنجمين اخبروا كسرى انوشيروان بملك العرب وظهور النبوة فيهم وان دليلهم الزهرة وهى فى شرفها والزهرة دليل العرب فتكون مدة ملك نبوتهم الفا وستين سنة ولان طالع القران الدال على ذلك برج الميزان والزهرة صاحبته فى شرفها * قال وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فاعلمه ان الملك يخرج من فارس وينتقل الى العرب وتكون ولادة القائم بامرة العرب بخمس واربعين سنة من وقت القران وان العرب تملك المشرق والمغرب من اجل ان المشترى دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب والقران قد انتقل من المثلثة المائية الى برج العقرب منها وهو دليل العرب ايضا وهذه الادلة تقتضى بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة وهو الف وستون

سنة شمسية * وسأل كسرى پرويز البوس الحكيم عن ذلك فقال
مثل قول بزرجمهر * وقال نفيل الرومى وكان فى ايام بنى امية
تبقى ملة الاسلام بقدر مدة القران الكبيرة وهى تسعمائة وستون
سنة شمسية فاذا عاد القران بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان
فى ابتداء الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيأته فى الابتداء فحينئذ
يفتر العمل ويتجدد ما يوجب خلاف الظن قال واتفقوا على ان
خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك المكونات باسرها
وذلك اذا قطع قلب الاسد اربعا وعشرين درجة من برج الاسد
الذى هو حد المريخ بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قران الملة
ويقال ان ملك زابلستان وهى غزنة بعث الى عبد الله امير المؤمنين
المأمون بحكيم اسمه ددبان فى جملة هدية فاعجب به المأمون وساله
عن ملك بنى العباس فاخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله فى عقب
اخيه وان العجم تغلبهم فيتغلب الديلم اولا فى دولة سنة خمسين ثم
يسوء حالهم حتى يظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الفرات والروم
والشام فقال له المأمون من اين لك هذا قال من كتب الحكماء
ومن احكام صصه بن داهر الهندى الذى وضع الشطرنج قلت
والترك الذين اشار الى ظهورهم بعد الديلم هم السلجوقية وقد انقضت
دولتهم اول القران السابع * وقال يعقوب بن اسحق الكندى مدة
ملة الاسلام ستمائة وثلث وتسعون سنة ووقع فى الملة حدثان
دولتها على الخصوص مسند من الاثر اجمالى فى حديث خرجه ابو داود
عن حذيفة بن اليمان قال والله ما ادرى انسى اصحابى ام تناسوه
والله ما ترك رسول الله صلعم من قائد فتنة الى ان تنقضى الدنيا
يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته
وسكت عليه ابو داود وما سكت عليه فهو صالح وهذا الحديث
اذا كان صحيحا فهو مجمل ويفتقر فى بيان اجماله وتعيين مبهماته

الى آثار اخرى يجود اسانيدها وقد وقع اسناد هذا الحديث فى غير كتاب السنن على غير هـذا الوجه فوقع فى الصحيحين من حديث حذيفة ايضا قال قام رسول الله صلعم فينا خطيبا فا ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث عنـه حفظه من حفظه ونسيه من نسـيه قد علمه اصحابه هؤلاء ولفظ البخارى ما ترك شيئا الى قيام الساعة الا ذكره وفى « كتاب الترمذى » من حديث ابى سعيد الخدرى قال صلى بنا رسول الله صلعم يوما صلوة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة الا اخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وهذه الاحاديث كلها محمولة على ما ثبت فى الصحيحين من احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود من الشـارع صلعم فى امثال هذه العمومات وهذه الزيادة التى تفرد بهـا ابو داود فى هذا الطريق شـاذة منكرة مع ان الائمة اختلفوا فى رجاله فتضعف هذه الزيادة التى وقعت لابى داود فى هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها * وقال الحافظ الفقيه ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم واما اختلاف الناس فى التاريخ فان اليهود يقولون الدنيا اربعة آلاف سنة والنصارى يقولون الدنيا خمسة آلاف سـنة واما نحن يعنى اهل الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى فى ذلك سبعة آلاف او اكثر او اقل فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله صلعم فيه لفظة تصح بل صح عنه صلعم خلافه بل نقطع على ان للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى قال الله سبحانه « ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم » وقال رسول الله صلعم « ما انتم فى الامم قبلكم الا كالشعرة البيضاء فى الثور الاسود او الشعرة السوداء فى الثور الابيض » وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد اهل الاسلام ونسبة ما بايديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم ان للدنيا امدا لا يعلمه الا الله وكذلك قوله عليـه السلام بعثت انا والساعة

كهاتين وضم اصبعيه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص
بان الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا احد سواه فصح انه صلعم
انما عنى شدة القرب لا فضل الوسطى على السبابة اذ لو اراد ذلك
لاخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من طول الاصبع فكان يعلم بذلك
متى تقوم الساعة وهذا باطل وايضا فكان تكون نسبته صلعم
ايانا الى من قبلنا باننا كالشعرة فى الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك
فصح انه عليه السلام انما اراد شدة القرب وله صلعم منذ بعث اربعمائة
عام ونيف والله تعالى اعلم بما بقى للدنيا فاذا كان هذا العدد العظيم
لا نسبة له عندما سلف لقلته وتفاهته بالاضافة الى ما مضى فهو
الذى قاله صلعم من اننا فيمن مضى كالشعرة فى الثور او الرقة فى ذراع
الحمار * وقد رأيت بخط الامير ابى محمد عبد الله بن الناصر قال
* حدثنى محمد بن معاوية القرشى انه راى بالهند بلدا له اثنان وسبعون
الف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون باربعمائة
الف سنة قال ابو محمد الا ان لكل ذلك اولا ولا بد نهاية لم يكن
شئ من العالم موجودا قبله ولله الامر من قبل ومن بعد والله اعلم
انتهى * وهذا ناظر فى طول امد الدنيا ولعل المراد بهذه المدينة
بالهند بلدة « قنوج » بزنة سنور التى فتحها السلطان محمود وهى من
المدائن القديمة لمملكة الهند ودار حكومتها ولا يعرف بلد اقدم
زمانا منها فى ارض الهند. وتتلوها فى القدم بلدة « اجودهيا » التى
يقال لها الآن « فيض آباد » وهى بلدة دارسة جدا حتى يقال ان
بها قبر شيث بن آدم عليه السلام والله اعلم * وقنوج هذه كانت
مسقط راسى وملعب اترابى ومجمع ناسى ومغنى عشيرتى وحامتى وموطن
خاصتى وعامتى منذ ثمانمائة سنة تقريبا ثم درج الآباء والامهات فى خبر
كان ولم يبق منهم اثر ولا عيان

* شرقني غربني * اخرجني عن وطني *
* فان تغيبت بدا * وان بدا غيبني *

فهي اليوم بلع وموضع بلقع بما حل بها من ريب المنون وحوادث الدهر الخؤون فمات اهلها وخربت ديارها وتغيرت احوالها وعفى اسمها ولم يبق منها الا رسمها

* وبادوا فلا مخبر عنهم * وماتوا جميعا وهذا الخبر *
* فمن كان ذا عبرة فليكن * فطينا ففي من مضى معتبر *
* وكان لهم اثر صالح * فاين هم ثم اين الاثر *

ويقال انها من المؤتفكات وليس بها الآن الا عوام الناس صفر الايدي من العلم والكمال والصفرآء والبيضاء كانهم اموات غير احياء او صخور صماء

* وبلدة ليس بها انيس * الا اليعافير والا العيس *

والا ما كان يفنيها البلاء والقدم وكاد يمحو رسمها الفناء والعدم

* وما الناس بالناس الذين عهدتهم * وما الدار بالدار التي كنت تعرف *

* فانا لله وانا اليه راجعون * وانا الى ربنا راغبون * هذا وقد ذكرنا في كتابنا « حجج الكرامة في آثار القيامة » كلاما ابسط من ذلك في بيان امد الدنيا وعمر العالم وطرفا من حال قنوج واهلها

﴿ ذكر امم العالم واختلاف اجيالهم والكلام على الجملة في انسابهم ﴾

اعلم ان الله سبحانه وتعالى اعتمر هذا العالم بخلقه وكرم بني آدم باستخلافهم في ارضه وبثهم في نواحيها لتمام حكمته وخالف بين

امهم

اممهم واجيالهم اظهارا لآياته فيتعارفون بالانساب ويختلفون باللغات والالوان ويتمايزون بالسير والمذاهب والاخلاق ويفترقون بالنحل والاديان والاقاليم والجهات فمنهم العرب والفرس والروم وبنو اسرائيل والبربر ومنهم الصقالبة والحبش والزنج ومنهم اهل الهند والسند واهل بابل والبهود والصين واهل اليمن واهل مصر واهل المغرب ومنهم المسلمون والنصارى واليهود والصابئة والمجوس ومنهم اهل الوبر وهم اصحاب الخيام والحلل واهل المدر وهم اصحاب المجاشر والقرى والاطم ومنهم البدو الظواهر والحضر الاهلون ومنهم العرب اهل البيان والفصاحة والعجم اهل الرطانة بالعبرانية والفارسية والافريقية واللطينية والبربرية والهندية خالف اجناسهم واحوالهم والسنتهم والوانهم ليتم امر الله تعالى فى اعتمار ارضه بما يتوزعونه من وظائف الرزق وحاجات المعاش بحسب خصوصياتهم ونحلهم فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوحدانية * ان فى ذلك لآيات للعالمين * وان الامتياز بالنسب اضعف المميزات لهذه الاجيال والامم لخفائه واندراسه بدروس الزمان وذهابه ولهذا كان الاختلاف كثيرا ما يقع فى نسب الجيل الواحد او الامة الواحدة اذا اتصلت مع الايام وتشعب بطونها على الاحقاب كما وقع فى نسب كثير من اهل العالم مثل اليونانيين والفرس والبربر وقحطان من العرب فاذا اختلفت الانساب واختلفت فيها المذاهب وتباينت الدعاوى استظهر كل ناسب على صحة ما ادعاه بشواهد الاحوال والمتعارف من المقارنات فى الزمان والمكان وما يرجع الى ذلك من خصائص القبائل وسمات الشعوب والفرق التى تكون فيهم متنقلة متعاقبة فى بنيهم وسئل مالك رحمه الله تعالى عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من اين يعلم ذلك فقيل له فالى اسمعيل فانكر ذلك وقال من يخبره به وعلى هذا درج كثير من علماء السلف وكره ايضا ان يرفع فى انساب

الانبياء مثل ان يقال ابراهيم بن فلان بن فلان وقال من يخبره به وكان بعضهم اذا تلا قوله تعالى * والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله * قال كذب النسابون واحتجوا ايضا بحديث ابن عباس انه صلعم لما بلغ نسبه الكريم الى عدنان قال « من ها هنا كذب النسابون » واحتجوا ايضا بما ثبت فيه انه اعلم لا ينفع وجهالة لا تضر الى غير ذلك من الاستدلالات * وذهب كثير من ائمة المحدثين والفقهاء مثل ابن اسحق والطبرى والبخارى الى جواز الرفع فى الانساب ولم يكرهوه محتجين بعمل السلف فقد كان ابو بكر رضى الله عنه انسب قريش لقريش ومضر بل ولسائر العرب وكذا ابن عباس وجبير بن مطعم وعقيل بن ابى طالب وكان من بعدهم ابن شهاب والزهرى وابن سيرين وكثير من التابعين قالوا وتدعو الحاجة اليه فى كثير من المسائل الشرعية مثل تعصيب الوراثة وولاية النكاح والعاقلة فى الديات والعلم بنسب النبى صلعم وانه القرشى الهاشمى الذى كان بمكة وهاجر الى المدينة فان هذا من فروض الايمان ولا يعذر الجاهل به وكذا الخلافة عند من يشترط النسب فيها وكذا من يفرق فى الحرية والاسترقاق بين العرب والعجم فهذا كله يدعو الى معرفة الانساب ويوكد فضل هذا العلم وشرفه فلا ينبغى ان يكون ممنوعا * واما حديث ابن عباس من ها هنا كذب النسابون يعنى من عدنان فقد انكر السهيلى روايته من طريق ابن عباس مرفوعا وقال الاصح انه موقوف على ابن مسعود وخرج السهيلى عن ام سلمة ان النبى صلعم قال « معد بن عدنان بن ادد بن زيد بن البرى بن اعراق الثرى » قال وفسرت ام سلمة زيدا بانه الهميسع والبرى انه نبت او نابت واعراق الثرى بانه اسمعيل واسمعيل هو ابن ابراهيم وابراهيم لم تاكله النار كما لا تاكل الثرى ورد السهيلى تفسير ام سلمة وهو الصحيح وقال انما معناه معنى قوله صلعم كلكم بنو آدم وآدم من

تراب لا يريد ان الهميسع ومن دونه ابن لاسمعيل لصلبه وعضد ذلك باتفاق الاخبار على بعد المدة بين عدنان واسمعيل التى تستحيل فى العادة ان يكون فيما بينهما اربعة اباء او سبعة او عشرة او عشرون لان المدة اطول من هذا كله كما ذكر فى نسب عدنان فلم يبق فى الحديث متمسك لاحد من الفريقين * واما ما رووه من ان النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر فقد ضعف الائمة رفعه الى النبى صلعم مثل الجرجانى وابى محمد بن حزم وابى عمر بن عبد البر * والحق فى الباب ان كل واحد من المذهبين ليس على اطلاقه فان الانساب القريبة التى يمكن التوصل الى معرفتها لا يضر الاشتغال بها لدعوى الحاجة اليها فى الامور الشرعية من التعصيب والولاية والعاقلة وفرض الايمان بمعرفة النبى صلعم ونسب الخلافة والتفرقة بين العرب والعجم فى الحرية والاسترقاق عند من يشترط ذلك كما مر كله وفى الامور العادية ايضا تثبت به اللحمة الطبيعية التى تكون بها المدافعة والمطالبة ومنفعة ذلك فى اقامة الملك والدين ظاهرة وقد كان صلعم واصحابه ينسبون الى مضر ويتساءلون عن ذلك وروى عنه صلعم انه قال « تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم » وهذا كله ظاهر فى النسب القريب واما الانساب البعيدة العسرة المدرك التى لا يوقف عليها الا بالشواهد والمقارنات لبعد الزمان وطول الاحقاب اذ لا يوقف عليها رأسا لدروس الاجيال فهذا قد ينبغى ان يكون له وجه فى الكراهة كما ذهب اليه من ذهب من اهل العلم مثل مالك وغيره لانه شغل الانسان بما لا يعنيه وهذا وجه قوله صلعم فيما بعد عدنان من هنا كذب النسابون لانها احقاب متطاولة ومعالم دارسة لا تثلج الصدور باليقين فى شىء منها مع ان علمها لا ينفع وجهلها لا يضر كما نقل والله الهادى الى الصواب * ولنأخذ الآن فى الكلام فى انساب العالم على الجملة

ونترك تفصيل كل واحد منها الى مكانه ﴿ فنقول ﴾ ان النسابين كلهم اتفقوا على ان الاب الاول للخليقة فهو آدم عليه السلام كما وقع فى التنزيل الا ما يذكره ضعفاء الاخباريين من ان « الجن » و « الطم » امتان كانتا فيما زعموا من قبل آدم وهو ضعيف متروك وليس لدينا من اخبار آدم وذريته الا ما وقع فى المصحف الكريم وهو معروف بين الأئمة واتفقوا على ان الارض عمرت بنسله احقابا واجيالا بعد اجيال الى عصر نوح عليه السلام وانه كان فيهم انبياء مثل شيث وادريس وملوك فى تلك الاجيال معدودون وطوائف مشهورون بالنحل مثل الكلدانيين ومعناه الموحدون ومثل السريانيين وهم المشركون وزعموا ان امم الصابئة منهم وانهم من ولد صابئ بن لمك بن اخنوخ وكان نحلتهم فى الكواكب والقيام اهياكلها واستنزال روحانيتها وان من حزبهم الكلدانيين اى الموحدين وقد الف ابو اسحق الصابئ الكاتب مقالة فى انسابهم ونحلتهم وذكر اخبارهم ايضا داهر مؤرخ السريانيين والبابا الصابئ الحرانى وذكروا استيلاءهم على العالم وجملا من نواميسهم وقد اندرسوا وانقطع اثرهم وقد يقال ان السريانيين من اهل تلك الاجيال وكذلك النمرود والازدهاق وهو المسمى بالضحاك من ملوك الفرس وليس ذلك بصحيح عند المحققين واتفقوا على ان الطوفان الذى كان فى زمن نوح وبدعوته ذهب بعمران الارض اجمع بما كان من خراب المعمور وهلك الذين ركبوا معه فى السفينة ولم يعقبوا فصار اهل الارض كلهم من نسله وعاد ابا ثانيا للخليقة وهو نوح بن لامك ويقال لمك بن متوشلح بن اخنوخ ويقال اخنوخ ويقال اشنخ ويقال اخنخ وهو ادريس النبى فيما قاله ابن اسحق بن برد ويقال يرد بن مهلائيل ويقال ماهلايل ابن قاين ويقال قينن بن انوش ويقال يانش بن شيث بن آدم ومعنى شيث عطية الله هكذا نسبه ابن اسحق وغيره

من الائمة وكذا وقع فى التوراة نسبه وليس فيه اختلاف بين الائمة ونقل ابن اسحق ان خنوخ الواقع اسمه فى هذا النسب هو ادريس النبي وهو خلاف ما عليه الاكثر من النسابين فان ادريس عندهم ليس بجد لنوح ولا فى عمود نسبه وقد زعم الحكماء الاقدمون ايضا ان ادريس هو هرمس المشهور بالامامة فى الحكمة عندهم وكذلك يقال ان الصابئة من ولد صابئ بن لامك وهو اخو نوح وقيل ان صابئ متوشلخ جده * واعلم ان الخلاف الذى فى ضبط هذه الاسماء انما عرض فى مخارج الحروف فان هذه الاسماء انما اخذها العرب من اهل التوراة ومخارج الحروف فى لغتهم غير مخارجها فى لغة العرب فاذا وقع الحرف متوسطا بين حرفين من لغة العرب فترده العرب تارة الى هذا وتارة الى هذا وكذلك اشباع الحركات قد تحذفه العرب اذا نقلت كلام العجم فمن ههنا اختلف الضبط فى هذه الاسماء * واعلم ان الفرس و الهند لا يعرفون الطوفان وبعض الفرس يقولون كان ببابل فقط وان آدم هو كيومرت وهو نهاية نسبهم فيما يزعمون وان افريدون الملك فى اباآئهم هو نوح وانه بعث لازدهاق وهو الضحاك فلبسه الملك وقبله كما ذكروه فى اخبارهم وقد تترجح صحة هذه الانساب من التوراة وكذلك قصص الانبياء الاقدمين اذ اخذت عن مسلمى يهود اومن نسخ صحيحة من التوراة ويغلب على الظن صحتها وقد وقعت العناية فى التوراة بنسب موسى عليه السلام واسرائيل وشعوب الاسباط ونسب ما بينهم و بين آدم صلوات الله عليه والنسب و القصص امر لا يدخله النسخ فلم يبق تحرى النسخ الصحيحة والنقل المعتبر واما ما يقال من ان علماءهم بدلوا مواضع من التوراة بحسب اغراضهم فى دياناتهم فقد قال ابن عباس على ما نقل عنه البخارى فى صحيحه ان ذلك بعيد وقال معاذ الله ان تعمد امة من الامم الى كتابها المنزل على نبيها فتبدله او ما فى معناه قال وانما بدلوه و حرفوه بالتأويل ويشهد

لذلك قوله تعالى * وعندهم التوراة فيها حكم الله * ولو بدلوا من التوراة الفاظها لم يكن عندهم التوراة التى فيها حكم الله وما وقع فى القرآن الكريم من نسبة التحريف والتبديل فيها اليهم فانما المعنى به التأويل اللهم الا ان يطرقهـا التبديل فى الكلمات على طريق الغفلة وعدم الضبط وتحريف من لا يحسن الكتابة بنسخها فذلك يمكن فى العادة لا سيما وملكهم قد ذهب وجماعتهم انتشرت فى الآفاق واستوى الضابط منهم وغير الضابط والعالم والجاهل ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لذهـاب القدرة بذهاب الملك فتطرق من اجل ذلك الى صحف التوراة فى الغالب تبـديل وتحريف غير معتمد من علمائهم واحبارهم ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها اذا تحرى القاصد لذلك بالبحث عنه ثم اتفق النسابون ونقلة المفسرين على ان ولد نوح الذين تفرعت الامم منهم ثلثة « سام » و« حام » و« يافث » وقد وقع ذكرهم فى التوراة وان يافث اكبرهم وحام الاصغر وسام الاوسط وخرج الطبرى فى الباب احاديث مرفوعة بمثل ذلك وان سام ابو العرب ويافث ابو الروم وحام ابو الحبش والزنج وفى بعضها السودان وفى بعضها سام ابو العرب وفارس والروم ويافث ابو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وحام ابو القبط والسودان والبربر ومثـله عن ابن المسيب ووهب بن منبـه وهذه الاحاديث وان صحت فانما الانساب فيها مجملة ولا بد من نقل ما ذكره المحققون فى تفريع انسـاب الامم من هؤلاء الثلثة واحدا واحدا وكذلك نقل الطبرى انه كان لنوح ولد اسمه كنعان وهو الذى هلك فى الطوفان قال وتسميه العرب « يام » وآخر مات قبل الطوفان اسمه « عابر » وقال هشام كان له ولد اسمه « بوناطر » والعقب انما هو من الثلثة على ما اجمع عليه الناس وصحت به الاخبار ﴿ فاما سام ﴾ فمن ولده العرب على اختلافهم وابراهيم وبنوه صلوات الله عليهم باتفاق النسابين

واخلاف

والخلاف بينهم انما هو فى تفاريع ذلك او فى نسب غير العرب الى سام
فالذى نقله ابن اسحق ان سام بن نوح كان له من الولد خمسة
وهم «ارفخشد» و«لاوذ» و«ارم» و«اشوذ» و«غليم» وكذا
وقع ذكر هذه الخمسة فى التوراة وان بنى اشوذ اهل الموصل وبنى
غليم اهل خوزستان ومنها الاهواز ولم يذكر فى التوراة ولد لاوذ
وقال ابن اسحق وكان للاوذ اربعة من الولد وهم «طسم»
و«عمليق» و«جرجان» و«فارس» قال ومن العماليق امة جاسم
فمنهم بنو لف وبنو هزان وبنو مطر وبنو الازرق ومنهم بديل وراحل
وظفار ومنهم الكنعانيون وبرابرة الشام وفراعنة مصر * وعن
غير ابن اسحق ان عبد بن ضخم واميم من ولد لاوذ قال ابن اسحق
وكانت طسم والعماليق واميم وجاسم يتكلمون بالعربية وفارس
يجاورونهم الى المشرق ويتكلمون بالفارسية قال وولد ارم «عوص»
و«كاثر» و«عبيل» ومن ولد عوص عاد ومنزلهم بالرمال والاحقاف
الى حضرموت ومن ولد كاثر ثمود وجديس ومنزل ثمود بالحجر
بين الشام والحجاز * وقال هشام بن الكلبى عبيل بن عوص اخو
عاد وقال ابن حزم عن قدماء النسابين ان لاوذ هو ابن ارم بن
سام اخو عوص وكاثر * قال فعلى هذا يكون جديس وثمود اخوين
وطسم وعملاق اخوين ابناء عم لحام وكلهم بنو عم عاد قال
ويذكرون ان عبد بن ضخم ابن ارم وان اميم ابن عاد بن ارم * قال
الطبرى وفهم الله لسان العربية عاد وثمود وعبيل وطسم وجديس
واميم وعمليق وهم العرب العاربة وربما يقال ان من العرب العاربة
«يقطن» ايضا ويسمون ايضا العرب البائدة ولم يبق على وجه الارض
منهم احد قال وكان يقال عاد ارم فلما هلكوا قيل ثمود ارم ثم
هلكوا فقيل لسائر ولد ارم ارمان وهم النبط وقال هشام بن محمد
الكلبى ان النبط بنو نبيط بن ماش بن ارم والسريان بنو سريان

بن نبط وذكر ايضا ان فارس من ولد اشوذ بن سام وقال فيه
فارس بن طيراش بن اشوذ وقيل انهم من اميم بن لاوذ وقيل
ابن غليم وفى التوراة ذكر ملك الاهواز واسمه «كرد» لا عمرو من بنى
غليم والاهواز متصلة ببلاد فارس فلعل هذا القائل ظن ان اهل
الاهواز هم فارس والصحيح انهم من ولد يافث وقال ايضا ان البربر
من ولد عمليق بن لاوذ وانهم بنو تميلة من مارب بن فاران بن عمرو
بن عمليق والصحيح انهم من كنعان بن حام وذكر فى التوراة ولد ارم
اربعة عوص وكاثر وماش ويقال مشح والرابع حول ولم يقع
عند بنى اسرائيل فى تفسير هذا شئ الا ان الجرامقة من ولد كاثر
وقد قيل ان الكرد والديلم من العرب وهو قول مرغوب عنه
وقال ابن سعيد كان لاشوذ اربعة من الولد ايران ونبط
وجرموق وباسل فمن ايران الفرس والكرد والخزر ومن نبط
النبط والسريان ومن جرموق الجرامقة واهل الموصل ومن باسل الديلم
واهل الجبل قال الطبرى ومن ولد ارفخشد العبرانيون وبنو عامر بن
شالخ بن ارفخشد وهكذا نسبه فى التوراة وفى غيرها ان شالخ بن
قينن بن ارفخشد وانما لم يذكر قينن فى التوراة لانه كان ساحرا وادعى
الالوهية وعند بعضهم ان النمرود من ولد ارفخشد وهو ضعيف
وفى التوراة ان عابر ولد اثنين من الولد هما فالغ ويقطن وعند
المحققين من النسابة ان يقطن هو قحطان عربته العرب هكذا
ومن فالغ ابراهيم عليه السلام وشعوبه ومن يقطن شعوب كثيرة
ففى التوراة ذكر ثلثة من الولد له وهم المرذاذ ومعربة ومضاض
وهم جرهم وارم وهم حضور وسالف وهم اهل السلفات وسبأ وهم
اهل اليمن من حمير والتبابعة وكهلان وهدرماوت وهم حضرموت
هؤلاء خمسة وثمانية اخرى ننقل اسماءهم وهى عبرانية ولم
نقف على تفسير شئ منها ولا يعلم من اى البطون هم وهم

بيارح

« بـاراح » و« اوزال » و« دفلا » و « عوثال » و« افيمايل » و « ايوفير » و « حويلا » و « يوقاف » وعنـد النسـابين ان جرهم من ولد يقطن فلا ادرى من ابهم وقال هشـام بن الكلبي ان الهند والسند من نوفير بن يقطن والله اعلم ﴿ واما يافث ﴾ فمن ولده الترك والصين والصقالبة ويأجوج مأجوج باتفاق من النسابين وفى آخرين خـلاف وكان له من الولد عـلى ما وقع فى التوراة سبعة وهم « كومر » و « ياوان » و « ماذاى » و « ماغوغ » و « قطوبال » و « ماشخ » و « طيراش » وعدهم ابن اسحق هكذا وحذف ماذاى ولم يذكر كومر وتوغرما واشبان و ريفات هكذا فى نص التوراة ووقع فى الاسرائيليات ان توغرما هم الخزر وان اشبان هم الصقـالبة وان ريفات هم الافرنج ويقـال لهم برنسوس والخزر هم التركمان وشعوب الترك كلهم من بنى كومر ولم يذكروا من اى الثلاثة هم والظـاهر انهم من توغرما ونسبهم ابن سـعيد الى الترك بن عامور بن سويل بن يافث والظـاهر انه غلط وان عامور هو كومر صحف عليه وهم اجناس كثيرة منهم الطغرغر وهم التتر والخطا وكانوا بارض طمغاج والخرلخية والغز الذين كان منهم السلجوقية والهياطلة الذين كان منهم الخلج ويقال للهياطلة الصغد ايضا ومن اجناس الترك الغور والخزر والقفجاق ويقال الخفشاخ ومنهم يمك والعلان ويقال اللاز ومنهم الشركس و ازكش ومن ماغوغ عند الاسرائيليين يأجوج ومأجوج وقال ابن اسحق انهم من كومر ومن ماذاى الديلم ويسمون فى اللسـان العبرانى « ماهان » ومنهم ايضا همذان وجعلهم بعض الاسرائيليين من بنى همذان بن يافث وعد همذان ثامنا للسبعة المذكورين من ولده واما ياوان واسمه يونان فعنـد الاسرائيليين انه كان له من الولد اربعة وهم داورين والیشا وكيتم وترشيش وان كيتم من هؤلاء الاربعة هو

ابو الروم و الباقى يونان و ان ترشيش اهل طرطوس واما قطوبال فهم اهل الصين من المشرق واللمان المغرب ويقال ان اهل افريقية قبل البربر منهم و ان الافرنج ايضا منهم ويقال ايضا ان اهل الاندلس قديما منهم واما ماشخ فكان ولده عند الاسرائيليين بخراسان وقد انقرضوا لهذا العهد فيما يظهر وعند بعض النسابين ان الاشبان منهم واما طيراش فهم الفرس عند الاسرائيليين وربما قال غيرهم انهم من كومر وان الخزر والترك من طيراش وان الصقالبة وبرجان والاشبان من ياوان وان يأجوج ومأجوج من كومر وهى كلها مزاعم بعيدة عن الصواب وقال اهردشيوش مورخ الروم ان القوط واللطين من ماغوغ وهذا آخر الكلام فى انساب يافث والله اعلم * واما حام * فمن ولده السودان والهند والسند والقبط وكنعان باتفاق وفى آخرين خلاف وكان له على ما وقع فى التوراة اربعة من الولد وهم مصر ويقول بعضهم مصرايم وكنعان وكوش وقوط فمن ولد مصر عند الاسرائيليين فتروسيم وكسلوحيم ووقع فى التوراة فلشتين منهما معا ولم يتعين من احدهما وبنو فلشتين الذين كان منهم جالوت ومن ولد مصر عندهم كفتورع ويقولون هم اهل دمياط ووقع الانقلوس بن اخت قيطش الذى خرب القدس فى الجلوة الكبرى على اليهود وقال ان كفتورع هو قبطقاى ويظهر من هذه الصيغة انهم القبط لما بين الاسمين من الشبه ومن ولد مصر عنابيم وكان لهم نواحى اسكندرية وهم ايضا بفتوحيم ولوديم ولهابيم ولم يقع الينا تفسير هذه الاسماء * واما كنعان بن حام فذكر من ولده فى التوراة احد عشر منهم صيدون ولهم ناحية صيداء واموري وكرساش وكانوا بالشام وانتقلوا عندما غلبهم عليه يوشع الى افريقية فاقاموا بها ومن كنعان ايضا يبوسا وكانوا ببيت المقدس وهربوا امام داود

عليه السلام حين غلبهم عليه الى افريقية والمغرب واقاموا بها
والظاهر ان البربر من هؤلاء المتنقلين اولا وآخرا الا ان المحققين
من نسابهم على انهم من ولد مازيغ بن كنعان فلعل مازيغ ينتسب
الى هؤلاء ومن كنعان ايضا حيث الذين كان ملكهم عوج بن عناق
ومنهم عرقان واروادى وخوى ولهم نابلس وسبأ ولهم طرابلس
وضمارى ولهم حمص وحماة ولهم انطاكية وكانت تسمى حماة باسمهم
واما كوش بن حام فذكر له فى التوراة خمسة من الولد وهم سفنا
وسبأ وجويلا ورعما وسفخا ومن ولد رعما شاد وهم السند ودادان
وهم الهند وفيها ان النمرود من ولد كوش ولم يعينه وفى تفاسيرها ان
جويلا زويلة وهم اهل برقة واما اهل اليمن من ولد سبا واما قوط
فعند اكثر الاسرائيليين ان القبط منهم ونقل الطبرى عن ابن اسحق
ان الهند والسند والحبشة من بنى السودان من ولد كوش وان النوبة
وقزان وزغاوه والزنج منهم من كنعان وقال ابن سعيد اجناس
السودان كلهم من ولد حام ونسب ثلثة منهم الى ثلثة سماهم
من ولده غير هؤلاء الحبشة الى حبش والنوبة الى نوابة اونوى
والزنج الى زنج ولم يسم احدا من اباء الاجناس الباقية وهؤلاء
الثلثة الذين ذكروا لم يعرفوا من ولد حام فلعلهم من اعقابهم
او لعلها اسماء اجناس وقال هشام بن محمد الكلبى ان النمرود هو
ابن كوش بن كنعان وقال اهردشيوش مؤرخ الروم ان سبأ واهل
افريقية يعنى البربر من جويلا بن كوش ويسمى يضول وهذا والله
اعلم غلط لانه مران بضول فى التوراة من ولد يافث ولذلك ذكر
ان حبشة المغرب من دادان بن رعما من ولد مصر بن حام بنو قبط
بن لاب بن مصر * انتهى الكلام فى بنى حام * وهذا آخر الكلام فى
انساب امم العالم على الجملة والخلاف الذى فى تفاصيلها ذكره ابن
خلدون فى اماكنه والله ولى العون والتوفيق

﴿ ذكر طرف من تاريخ بعض الرسل والامم الماضية ﴾

اعلم ان للناس فى العالم مذاهب ثلثة « الحدوث » وهو مذهب اهل الملل والمجوس وغيرهم « والقدم المطلق » اى قدم اصول هذا العالم من الافلاك ومواد العناصر وانواع صورها على الاتصال بلا انقطاع وهو مذهب الفلاسفة والآباديين وهم قوم من اوائل الفرس يدعون ان مبدأ نوعهم وقدوة دينهم رجل اسمه « مه آباد » وانزل عليه كتاب اسمه « دساتير » بالفارسية و « القدم بالنوع والحدوث بالتشخص » وهو مذهب الهنود وهذه الاحتمالات بعينها تجرى فى نوع الانسان اذ اقمنا وجود هذا النوع على الاتصال مقام الوجود التشخصى والتجدد فى الاعيان مع الانقطاع مقام القدم النوعى وعلى تقدير الحدوث هذا النوع الموجود مختلف فى بدايته على اقوال لا يمكن الجمع بينها واصحاب هذا الآراء المسلمون واليهود والنصارى والمجوس والترك والافرنج قبل ظهور النصرانية فيهم والمنقح عند جميع اليهود والمسلمين ما صور فى كتابى تقويم التواريخ وتاريخ بيت المقدس للناصر مجيرالدين عبدالرحمن العلى الحنبلى العمرى صنفه فى آخر سنة تسعمائة وقد وقع فى الكتابين فى بعض المواضع تفاوت قليل تارة فى التعرض والترك وتارة فى الرقوم وانى قد جمعت ذلك مع زيادة فائدة على ما فيهما واشرت الى مواضع الاختلاف وجعلت مبدأ التاريخ على ما فى الكتابين هبوط آدم ابى البشر عليه السلام والظاهر انه وقت الخلقة والله اعلم ولكنهما اعتبراه من وقت الهبوط ولم يتعرضا لما بين الخلقة والهبوط من المدة وكذا صنع غيرهما فى غيرهما فاقول

﴿ هبوط آدم ابى البشر عليه السلام ﴾ كان وقت العصر يوم الجمعة ثامن شهر نيسان مطابق لعاشر المحرم فى جزيرة سرانديب وانما سمى آدم لانه خلق من اديم الارض وخلق الله جسده وتركه

اربعين ليلة وقيل اربعين سنة ملق بغير روح فلما نفخ فيه الروح سجد له الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين * وقال * انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * وكان سجودهم لآدم تحية لا عبادة وكان بوضع الجبهة على الارض كما هو ظاهر النظم القرآنى لا بالانحناء كما زعم كثير من اهل العلم والتفسير وعلم الله آدم الاسماء كلها حتى « القصعة والقصيعة » وخلق الله من ضلعه حواء زوجته وسميت بها لانها خلقت من شئ حى فقال الله * يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان واكلا من الشجرة المنهى عنها * فبدت لهما سوءآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة * وقال الله * اهبطوا بعضكم لبعض عدو * وقد اختلف اهل العلم فى الجنة التى كان فيها آدم قبل الهبوط هل هى على الارض او فوق السماء على قولين ثم اختلفوا فى اى موضع كانت من الارض على اقوال واستدل كل قائل بما بدا له من الحجج والادلة واطال فى ذلك كما ذكره الحافظ بن القيم فى « حادى الارواح الى بلاد الافراح » والحق البحت انه لم يرد فى تعيين تلك الجنة نص من الله ولا من رسوله فى الكتاب العزيز ولا فى السنة المطهرة حتى يجب المصير اليه والقول به فالاولى فى الباب التوقف والسكوت والحجة فى مثل هذا المقام وهذا المرام دلالة العبارة من القرآن والحديث دون اقتضائها واشارتها ولما هبط آدم عليه السلام منها الى الارض كان له ولدان « هابيل وقابيل » فقتل الثانى الاول * وتوفى آدم عليه السلام سنة تسعمائة وثلثين والظاهر انه اربعون سنة لان عمره الف سنة قمرية وتفاوتها قريب من ثلثين سنة شمسية فهو بالشمسية تسع وتسعون مدة المكث فى الجنة اربعون سنة والله اعلم * وكانت ولادة شيث لمضى مائتين وثلثين سنة من عمر آدم وهو وصى آدم

وتفسيره هبة الله والى شيث تنتهي انساب بني آدم كلهم وولد له انوش لمضى سنة ٤٣٥ من عمر آدم وتقول الصابئة انه ولد له ابن آخر اسمه صابئ بن شيث واليه تنسب الصابئة وولد له قينن لمضى سنة ٦٢٥ من عمر آدم وولد له مهلائيل لمضى سنة ٧٩٣ من عمر آدم * قال ابن الجوزي ان آدم عند موته كان قد بلغ عدة ولده وولد ولده اربعين الفا وولد لمهلائيل يرد وولد ليرد خنوخ ولمضى عشرين سنة من عمر خنوخ توفي شيث وعمره تسعمائة واثنتا عشرة سنة وكانت وفاته لمضى سنة الف ومائة واثنين واربعين لهبوط آدم عليه السلام وفي تقويم التواريخ بترك مائة واسم شيث عند الصابئة « عاذيمون » وولد لخنوخ متوشلخ وتوفي في زمنه انوش وكان له من العمر تسعمائة وخمسون سنة وولد لمتوشلخ لامخ ويقال له لامك ولمك وتوفي في زمنه قينن وله تسعمائة وعشر سنين واما خنوخ وهو ادريس فانه رفع لما صار له من العمر ثلثمائة وخمس وستون سنة رفعه الله الى السماء فكان ذلك لمضى ثلث عشرة سنة من عمر لامخ قبل ولادة نوح بمائة وخمس وسبعين سنة وسنة سبع وستين واربعمائة والف من هبوط آدم عليه السلام * ونبأ الله ادريس المذكور وانكشفت له الاسرار السماوية وله صحف منها « لا تروموا ان تحيطوا بالله خبرة فانه اعظم واعلى ان تدركه فطن المخلوقين الا من آثاره » واما متوشلخ بن ادريس فانه توفي لمضى ستمائة من عمر نوح وذلك عند ابتداء مجيء الطوفان وكان عمره ٩٦٩ وولد للامخ نوح وكان ولادته بعد ان مضى الف وستمائة واثنان واربعون سنة من هبوط آدم وتوفي في زمنه مهلائيل وكان له من العمر ٨٩٥ وايضا يرد وعمره ٩٦٢ ولما صار لنوح خمسمائة سنة من العمر ولد له سام وحام ويافث ولما مضى من عمر نوح ستمائة سنة كان الطوفان وذلك لمضى الفين ومائتين واثنين واربعين سنة من هبوط آدم

وعاش

وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فكانت جملة ذلك تسعمائة وخمسين سنة الف سنة الا خمسين عاما وهذا نص المصحف الكريم وكذا وقع فى التوراة بعينه * قال ابن الكثير فى الكامل ان الله تعالى ارسل نوحا الى قومه وقد اختلف فى دياناتهم واصح ذلك ما نطق به الكتاب العزيز بانهم كانوا اهل اوثان * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا * وصار نوح يدعوهم الى طاعة الله وهم لا يلتفتون وبقى لاياتى قرن منهم الا كان اخبث من الذى قبله فلما طال ذلك عليه شكاهم الى الله تعالى فاوحى اليه * انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن * فلما يئس منهم دعا عليهم فقال * رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * فاوحى اليه ان يصنع الفلك وصنع السفينة من خشب الساج فلما فار التنور وكان هو الآية بين نوح وبين ربه حمل نوح من امر الله بحمله وكان منهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقيل حمل ايضا ستة اناسى وقيل ثمانين رجلا احدهم جرهم كلهم من بنى شيث وتخلف عنه ابنه يام وكان كافرا وارتفع الماء وطمى وجعلت الفلك تجرى بهم فى موج كالجبال وعلا الماء على رؤوس الجبال خمس عشرة ذراعا فهلك ما على وجه الارض من حيوان ونبات وكان بين ان ارسل الله الماء وبين ان غاض ستة اشهر وعشر ليال وقيل ان ركوب نوح فى الفلك كان لعشر ليال مضت من رجب وكان ذلك ايضا لعشر ليال خلت من آب وخرج من السفينة يوم عاشورا من المحرم وكان استقرار السفينة على الجودى من ارض الموصل * قال ابن الاثير واما المجوس فلا يعرفون الطوفان وكان بعضهم يقربه ويزعم انه كان فى اقليم بابل وما قرب منه وان مساكن ولد خيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك اليهم وكذلك جميع الامم المشرقية من الهند والفرس والصين لا يعرفون

به وبعض الفرس يعترف به ويقول لم يكن عاما ولم يتعد عقبة حلوان والصحيح ان جميع اهل الارض من ولد نوح لقوله تعالى * وجعلنا ذريته هم الباقين * فجميع الناس من ولد سام وحام ويافث اولاد نوح فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج والفرنج والقبط من ولد حام بن نوح ولما مضت سنة ثلثمائة وخمسين للطوفان توفى نوح سنة اثنين وتسعين وخمسمائة والفين لهبوط آدم وعمره تسعمائة وخمسون سنة وهذا على ان المراد بقوله تعالى * فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما * جميع عمره عليه السلام والمتبادر من السياق والسباق انه ما بين البعثة والطوفان والله اعلم * وولد لسام ارفخشد بعد الطوفان بسنتين وولد له قينن لمضى سنة ١٣٧ للطوفان وولد له شالخ لمضى سنة ٢٧٦ من الطوفان وولد له عابر لمضى سنة ٤٦٦ للطوفان وولد له فالغ لمضى سنة ٥٤٠ للطوفان ثم ولد لفالغ رعو وعند مولده تبلبلت الالسن وقسمت الارض وتفرقت بنو نوح وذلك لمضى سنة ٦٧٠ للطوفان وولد لرعو ساروغ بعد مضى سنة ٨٠٢ وولد له ناحور لمضى سنة ٩٣٢ للطوفان وولد له تارخ لمضى احدى عشرة والف سنة للطوفان وولد له ابراهيم الخليل عليه السلام وذلك لمضى الف واحدى وثمانين سنة للطوفان وسنة ثلث وعشرين وثلثمائة وثلاثة آلاف من هبوط آدم عليه السلام * ومن الغريب الواقع فى التوراة ان عمر ابراهيم كان يوم وفاة نوح ثمانيا وخمسين سنة فيكون لقى نوحا وخالطه واخذ عنه وهو على رأى بعضهم اب لجميع الشعوب من بعده فلذلك كان الاب الثالث للخليقة من بعد آدم ونوح وعلى هذا جملة السنين من الطوفان الى ولادة ابراهيم ماءتان وسبع وتسعون سنة وعمر نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسون سنة

﴿ واما سبب تبلبل الالسن ﴾ فقد ذكر ابو عيسى ان بنى نوح الذين نشوا بعد الطوفان اجتمعوا على بناء

حصن يتحرزون به خوفا من مجيء الطوفان مرة ثانية والذى وقع رأيهم عليه ان يبنوا صرحا شامخا يبلغ رأسه السماء فجعلوا له اثنين وسبعين برجا وجعلوا على كل برج كبيرا منهم يستحث على العمل فانتقم الله منهم وبلبل السنتهم الى لغات شتى ولم يوافقهم عابر على ذلك واستمر على طاعة الله تعالى فبقاه الله تعالى على اللغة العبرانية ولم ينقله عنها ولما افترقت بنو نوح صار اولد سام العراق وفارس وما يلى ذلك الى الهند وصار لولد حام الجنوب مما يلى مصر على النيل وكذلك مغربا الى اقصاه وصار اولد يافث مما يلى بحر الخزر وكذلك مشرقا الى جهة الصين وكانت شعوب اولاد نوح الثلثة عند تبلبل الالسن اثنين وسبعين شعبا «هود» و«صالح» وهما نبيان ارسلا بعد نوح وقبل ابراهيم الخليل اما هود فقيل انه عابر بن شالح وارسل الى عاد وكانوا اهل اصنام ثلثة وكان عاد وثمود جبارين طوال القامات كما قال تعالى * واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة * وبقى هود بعد هلاك عاد كذلك حتى مات وقبره بحضرموت وقيل بالحجر من مكة * واما صالح فارسله الله الى ثمود وهو ابن عبيد بن اسف بن ماشج وكان مسكن ثمود بالحجر فلم يؤمن به الا قليل وعقروا الناقة فاهلكهم الله تعالى * فاصبحوا فى ديارهم جاثمين * وصار صالح الى فلسطين ثم انتقل الى الحجاز يعبد الله الى ان مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة وولد ابراهيم بالاهواز وقيل ببابل وهى العراق وكان نمرود عاملا على سواد العراق وما اتصل به للضحاك وقيل كان ملكا مستقلا براسه فاخذ ابراهيم ورماه فى نار عظيمة سنة ثمان وستين وثلثمائة وثلثة آلاف من هبوط آدم عليه السلام فكانت النار عليه بردا وسلاما وفى تاريخ القدس سنة تسع وثلثين وفيها هجرة ابراهيم من بابل الى فلسطين وفى تقويم التواريخ سنة ثلث وتسعين وفيها

خروج « كاوة الحداد » على الضحاك وسلطنته افريدون الفارسى * وكان ابراهيم فى اواخر ايام بيوراسب المسمى بالضحاك وفى اول ملك افريدون * وكان بناء الكعبة المعظمة على يده الكريمة فى سنة ثلث وعشرين واربعمائة وثلثة آلاف وفيها ولادة اسحق عليه السلام وكانت ولادة اسماعيل قبل هذا باربعة عشر عاما اعنى سنة تسع منها وقد اختلف فى الذبيح هل هو اسحق ام اسمعيل وفداه الله بكبش ولكل من اهل العلم وجهة هو موليها وقد بينا ما هو الحق فى تفسيرنا « فتح البيان فى مقاصد القران » ومن زعم ان الذبيح اسحق يقول كان موضع الذبح بالشام على ميلين من « ايليا » وهى بيت المقدس ومن يقول انه اسمعيل يقول ان ذلك كان بمكة ثم ان ابراهيم ومن آمن معه فارقوا قومهم وهاجروا الى حران واقاموا بها مدة ثم سار ابراهيم الى مصر وصاحبها فرعون ووهبه هاجر ثم سار من مصر الى الشام واقام بين الرملة وايليا وولدت له هاجر اسمعيل ومعناه بالعبرانى مطيع الله فحزنت سارة لذلك فوهبها الله اسحق وماتت هاجر بمكة وقدم اليه ابوه ابراهيم وبنيا الكعبة وهى بيت الحرام * ولوط هو ابن اخى ابراهيم هاران بن آزر وكان قد آمن بعمه ابراهيم وهاجر معه الى مصر وعاد الى الشام وارسله الله الى اهل سذوم وكان ما كان وقصته فى القرآن الكريم وارسل الله اسمعيل الى قبائل اليمن والى العماليق وعاش مائة وسبعا وثلثين سنة ومات بمكة ودفن عند قبر امه هاجر بالحجر وكانت وفاته بعد وفاة ابيه ابراهيم بثمان واربعين سنة واستمر البيت على ما بناه ابراهيم الى ان هدمته قريش سنة خمس وثلثين من مولد رسول الله صلعم وبنوه وكان بناؤه بعد مضى مائة سنة من عمر ابراهيم بمدة فتكون بالتقريب بين ذلك وبين الهجرة الفان وسبعمائة ونحو ثلث وتسعين سنة * ولادة يعقوب عليه

السلام سنة ثلث و ثمانين و اربعمائة و ثلثة آلاف و يقال له اسرائيل
و كان بنوه اثنى عشر رجلا هم آباء الاسباط وهم روبيل ثم شمعون
ثم لاوى ثم يهوذا ثم يساخر ثم زبولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم
دان ثم نفتالى ثم كاذ ثم اشار * وتوفى ابراهيم عليه السلام سنة
ثمان وتسعين و اربعمائة وثلثة آلاف * ايوب عليه السلام و هو
رجل عده المؤرخون من امة الروم لانه من ولد العيص بن اسحق
و كان نبيا فى عهد يعقوب فى قول بعضهم و عاش ثلثا وتسعين
سنة ومن ولد ايوب ابنه بشر و بعث الله بشرا بعد ايوب وسماه
ذا الكفل وكان مقامه بالشام * يوسف بن يعقوب لما صار له من العمر
ثمانى عشرة سنة كان فراقه لابيه و بقيا مفترقين احدى و عشرين
سنة ثم اجتمعا فى مصر و بقيا مجتمعين سبع عشرة سنة وعاش يوسف
مائة وعشر سنين وكان مولده لمضى سنة ٢٥١ من مولد ابراهيم ووفاته
لمضى سنة ٣٦١ من مولد ابراهيم و يكون وفاة يوسف قبل مولد
موسى باربع وستين سنة محققا واما قصة فراقه من ابيه وشغف
زليخا به حبا فحسب ما ذكر الله فى كتابه العزيز وهو احسن
القصص فى القرآن وكان وفاة يوسف بمصر ودفن بها حتى كان
من موسى وفرعون ما كان فلما سار موسى من مصر ببنى اسرائيل
الى التيه نبش يوسف وحمله معه فى التيه حتى مات موسى فلما قدم
يوشع ببنى اسرائيل الى الشام دفنه بالقرب من نابلس وقيل عند
الخليل عليه السلام * شعيب بعثه الله الى اصحاب الايكة واهل
مدين وقد اختلف فى نسبه فقيل من ولد ابراهيم الخليل و قيل من ولد
بعض المؤمنين بابراهيم وكان الايكة من شجر ملتف فلم يؤمنوا فاهلكهم
الله بسحابة امطرت عليهم نارا يوم الظلة واهلك اهل مدين بالزلزلة *
موسى هو ابن عمران بن قاهاث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق ارسله
الله تعالى نبيا بشريعة بنى اسرائيل وكان من امره ما حكاه الله

سبحانه فى كتابه العزيز فى غير موضع وهارون اخوه وكان اكبر منه بثلث سنين وقارون ابن عم موسى وكان قد رزقه الله مالا عظيما يضرب به المثل على طول الدهر وكان وفاة موسى سنة ثمان وستين وثمانمائة وثلثة آلاف من هبوط آدم فى التيه فى سابع آذار لمضى الف وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان فى ايام منوجهر الملك وكان موته بعد هارون اخيه باحد عشر شهرا وكان مولد موسى لمضى سنة ٤٤٥ من مولد ابراهيم وكان بين وفاة ابراهيم ومولد موسى مائتان وخمسون سنة وولد لمضى الف وخمسمائة وست سنين من الطوفان وكان عمره حين خرج من مصر ثمانين سنة واقام فى التيه اربعين سنة فيكون عمره مائة وعشرين سنة وكانت جملة مقام بنى اسرائيل بمصر من حين دخلوا بها حتى اخرجهم موسى مائتين وخمس عشرة سنة واول من قام فى بنى اسرائيل بعد موسى طالوت * وقد كثر الغلط فى بيان حكام بنى اسرائيل وملوكهم بعد عهده ولكونه باللغة العبرانية فتعسر النطق بالفاظه على الصحة ولم اجد فى نسخ التواريخ ما اعتمد على صحته لان كل نسخة تخالف الاخرى اما فى اسمائهم واما فى عددهم واما فى مدد استيلائهم ولليهود الكتب الاربعة والعشرون وهى عندهم متواترة قديمة لم تعرب الى الآن بل هى باللغة العبرانية * قال ابو الفدا فاحضرت منها سفرى بنى اسرائيل وملوكها واحضرت انسانا عارفا باللغة العبرانية والعربية وتركته يقرأها واحضرت منها ثلث نسخ وكتبت منها ما ظهر عندى صحته وضبطت الاسماء بالحروف والحركات حسب الطاقة انتهى ﴿ ولادة داود ﴾ هو من ولد هوذا بن يعقوب بن اسحق سنة ثلث وثلثين وثلثمائة وثلثة آلاف من هبوط آدم وكان مقامه بجيرون فلما بلغ سنة ثمان وثلثين من عمره انتقل الى القدس وفتح فى الشام فتوحات كثيرة من ارض فلسطين

وبلد عمان ومآب وحلب ونصيبين وبلاد الارمن وغير ذلك وملك داود اربعين سنة وتوفي وله سبعون سنة في اواخر سنة خمس وثلثين وخمسمائة لوفاة موسى واوصى بالملك الى سليمان وأوصاه بعمارة بيت المقدس وفي تقويم التواريخ وفيها اى في سنة مولد داود غلبة افراسياب على الفرس وفيه اختلاف وفي تاريخ الطبرى ان غلبة افراسياب على منوچهر كان في زمن موسى وكان كيقباذ في زمن داود عليه السلام ولعل ذلك هو الصحيح ﴿ولادة سليمان﴾ سنة احدى وتسعين وثلثمائة واربعة آلاف من هبوط آدم وملك بعد ابيه وعمره اثنا عشرة سنة في سنة ثلث وثلثين واربعمائة واربعة آلاف وفيها توفي داود عليه السلام وآتاه الله من الحكمة والملك ما لم يؤته لاحد سواه على ما اخبر الله به في محكم كتابه العزيز وهذا الذي ذكر من وفاة داود وخلافة سليمان خلاف ما في الكتابين ففيهما ان وفاة داود سنة ثلث واربعمائة بعد اربعة آلاف ووفاة سليمان عليه السلام سنة ثلث واربعين منها والذي اوجب ذلك ما صح في حديث الميثاق فاكمل الله تعالى لداود مائة سنة ولآدم الف سنة ومن الثابت ان سليمان ولى الخلافة بعد ابيه اربعين سنة والله اعلم * وفي السنة الرابعة من ملك سليمان وهي سنة ٥٣٩ لوفاة موسى ابتدأ سليمان في عمارة بيت المقدس واقام فيها سبع سنين وفرغ في السنة الحادية عشرة من ملكه فيكون الفراغ منه في اواخر سنة ٥٤٦ لوفاة موسى وكان ارتفاع البيت ثلثين ذراعا وطوله ستين ذراعا في عرض عشرين ذراعا وعمل خارج البيت سورا محيطا به امتداده خمس مائة ذراع وفي السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس ملكة اليمن ومن معها واطاعه جميع ملوك الارض واستمر سليمان على ذلك حتى توفي وعمره اثنان وخمسون سنة فكانت مدة ملكه اربعين سنة فيكون وفاة سليمان في اواخر

سنة ٥٧٥ لوفاة موسى ﴿ تولى بخت نصر على بابل ﴾ في سنة ثنتين وخمسين وتسعمائة لوفاة موسى وذلك على حكم ما اجتمع لنا من مدد ولايات حكام بنى اسرائيل والفترات التى كانت بينهم واما ما اختاره المؤرخون فقالوا ان من وفاة موسى الى ابتداء ملك بخت نصر تسعمائة وثمانيا وسبعين سنة وثمانية واربعين يوما وهو يزيد على ما اجتمع لنا من المدد المذكورة فوق ست وعشرين سنة وهو تفاوت قريب وكان هذا النقص انما حصل من اسقاط اليهود كسورات المدد المذكورة فانه من المستبعد ان يملك الشخص عشرين سنة او تسع عشرة سنة مثلا بل لا بد من اشهر وايام مع ذلك فلما ذكروا لكل شخص مدة صحيحة سالمة من الكسر نقصت جملة السنين القدر المذكور اعنى ستا وعشرين سنة وكسورا وكان ابتداء ولاية بخت نصر فى سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام

﴿ ظهور طبقة الكيانين ﴾

واولهم كيقباد سنة ثنتين وعشرين بعد اربعة آلاف وستمائة كما فى تقويم التواريخ وابتداء ملك بخت نصر احدى واربعين وثمانمائة واربعة آلاف وفى تاريخ بيت المقدس ان بخت نصر كان اميرا للهراسب الفارسى الذى فوض اليه السلطنة كيخسرو وابتداء ملكه سنة سبع واربعين منها تخريب بيت المقدس على يده سنة سبع وستين وثمانمائة واربعة آلاف وفى تقويم التواريخ بزيادة سنة واحدة وفيها ابتداء ملك كشتاسب بن لهراسب سنة سبع وتسعمائة واربعة آلاف وكشتاسب عند اليهود يسمى كورش ﴿ تعمير بيت المقدس على يد كورش ﴾ سنة سبع وثلثين وتسعمائة واربعة آلاف وفيها كان ظهور زردشت

ومتابعة كشتاسب كما فى تقويم التواريخ وعند صاحب تاريخ القدس الاصح ان كورش هو بهمن بن اسفنديار ولد كشتاسب قال ابو الفدا صاحب حماة يكون انقضاء ملوك بنى اسرائيل وخراب بيت المقدس على يد بخت نصر سنة عشرين من ولايته تقريبا وهى السنة التاسعة والتسعون وتسعمائة لوفاة موسى وهى ايضا سنة ثلث وخمسين واربعمائة مضت من عمارة بيت المقدس وهى مدة لبثه على العمارة واستمر بيت المقدس خرابا سبعين سنة ثم عمر وعمره بعض ملوك الفرس واسمه عند اليهود كيرش واختلف فيه من هو فقيل دارا بن بهمن وقيل هو بهمن المذكور وهو الاصح ويشهد لصحة ذلك كتاب اشعيا ولما عادت عمارة بيت المقدس تراجعت اليه بنو اسرائيل من العراق وغيره وكانت عمارته فى اول سنة تسعين لابتداء ولاية بخت نصر * قال ابو عيسى ان بنى اسرائيل لما تراجعوا الى القدس بعد عمارته صار لهم حكام منهم وكانوا تحت حكم ملوك الفرس واستمروا حتى ظهر الاسكندر فى سنة ٤٣٥ لولاية بخت نصر وغلبت اليونان على الفرس ودخلت حينئذ بنو اسرائيل تحت حكم اليونان واقام اليونان من بنى اسرائيل ولاة عليهم وكان يقال للاولى عليهم هرذوس واستمر بنو اسرائيل على ذلك حتى خرب بيت المقدس الخراب الثانى وتشتت منه بنو اسرائيل ﴿ يونس بن متى عليه السلام ﴾ ومتى ام يونس ولم يشتهر نبى بامه غير عيسى ويونس عليهما السلام كذا ذكره ابن الاثير فى الكامل وقد قيل انه من بنى اسرائيل وانه من سبط بنيامين وكانت بعثته بعد يوثم بن عزيا وهو احد ملوك بنى اسرائيل وكانت وفاة يوثم فى سنة خمس عشرة وثمانمائة لوفاة موسى وبعث الله يونس الى اهل نينوى وهى قبالة الموصل بينهما دجلة وكانوا يعبدون الاصنام فنهاهم واوعدهم العذاب فى يوم معلوم ان لم يتوبوا وضمن ذلك عن ربه عز وجل

فلما اظلهم العذاب آمنوا فكشفه الله عنهم والتقمه الحوت وسار به
الى الابلة وكان من شأنه ما اخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز ﴿ ارميا
بن خلقيا عليه السلام ﴾ نبي من انبياء بنى اسرائيل كان بعهد صدقيا
وهو آخر ملوك بنى يهوذا ببيت المقدس ولما توغلوا فى الكفر والعصيان
وعد بنى اسرائيل بخت نصر وهم لا يلتفتون اليه فلما رأى انهم
لا يرجعون عما هم فيه فارقهم واختفى حتى غزاهم بخت نصر وخرب
القدس حسب ما تقدم ذكره وكان من قصته ما اخبر الله به فى الكتاب
بقوله * او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها الآية *
وقد قيل ان صاحب القصة هو العزير والاصح انه ارميا كذا فى
تاريخ ابن سعيد المغربى والله اعلم ﴿ ولادة اسكندر اليونانى ﴾
سنة ستين ومائتين وخمسة آلاف من هبوط آدم وفيها وفاة افلاطون
الحكيم الالهى ثم غلبة اسكندر على الفرس سنة ثنتين وثمانين ومائتين
وخمسة آلاف ووفاة اسكندر سنة تسع وثمانين منها ﴿ زكريا من ولد
سليمان بن داود عليهما السلام ﴾ وكان نبيا ذكره الله فى كتابه العزيز
وكان نجارا وهو الذى كفل مريم ام عيسى وكانت مريم بنت
عمران بن ماثان من ولد سليمان وكانت ام مريم اسمها حنه وكان
زكريا مزوجا اخت حنه واسمها ايشاع فكانت زوج زكريا خالة مريم
وارسل الله تعالى جبريل فبشر زكريا بيحيى ثم ارسل جبريل فنفخ
فى جيب مريم فحملت بعيسى وولد يحيى قبل المسيح بستة اشهر
ثم ولدت مريم عيسى فلما علمت اليهود ان مريم ولدت من غير بعل
اتهموا زكريا بها وطلبوه فهرب واختفى فى شجرة عظيمة فقطعوا
الشجرة وقطعوا زكريا معها وشق فيها نصفين وقيل المشقوق
فى الشجرة انما هو شعيا النبي وكان عمر زكريا حينئذ نحو مائة سنة
وكان قتله بعد ولادة المسيح لمضى ثلثمائة وثلث سنين للاسكندر
فيكون مقتل زكريا بعد ذلك بقليل * واما يحيى ابنه فانه

نبى

نبي صغير ودعا الناس الى عبادة الله ولبس يحيى الشعر واجتهد في العبادة حتى نحل جسمه وذبح يحيى لما نهى هردس عن بنت اخ له ان يتزوجها وقيل اغتصب امرأة اخيه وتزوجها ولم يكن ذلك في شرعهم مباحا فانكر ذلك عليه وقتل يحيى وقد ذكر في قتله اسباب كثيرة وهذا اقربها الى الصحة واختلف هل كان ابوه حيا عند قتله فقيل مات قبله وقيل بعده وكذلك اختلف في دفنه فقيل دفن ببيت المقدس وهو الصحيح وكان قتله قبل رفع المسيح بمدة يسيرة بعد مضي ثلثين سنة من عمر عيسى وكان رفع عيسى بعد نبوته بثلث سنين والنصارى تسمي يحيى يوحنا المعمدان لكونه عمد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام قال في تقويم التواريخ ولادة يحيى وعيسى سنة اربع وثمانين وخمسمائة وخمسة آلاف من هبوط آدم عليه السلام ومريم معناه العابدة وولدته في بيت لحم وهي قرية قريبة من القدس سنة اربع وثلثمائة لغلبة الاسكندر ثم ان مريم سارت به الى مصر وسار معها ابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار وكان حكيما وزعم بعضهم ان يوسف كان قد تزوج مريم لكنه لم يقربها وهو اول من انكر حملها ثم علم وتحقق براءتها وسار معها الى مصر واقاما هناك اثنتي عشرة سنة ثم عاد عيسى وامه الى الشام ونزلا الناصرة وبها سميت النصارى واقام بها عيسى حتى بلغ ثلثين سنة فاوحى الله اليه وارسله الى الناس وكان يلبس الصوف والشعر ويأكل من نبات الارض وكان الحواريون اثني عشر رجلا وسألوه المائدة فانزل الله اليه سفرة حمراء مغطاة بمنديل فيها سمكة مشوية وحواليها البقول ما خلا الكراث وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل ومعها خمسة ارغفة على بعضها زيتون وعلى باقيها رمان وتمر فأكل منها خلق كثير ولم تنقص ولم يأكل منها ذو عاهة الا برئ وكانت تنزل يوما وتغيب يوما اربعين

ابله ثم رفع الله تعالى المسيح اليه والقى شبهه على الذى دلهم عليه وكان رفعه الى السماء سنة سبع عشرة وستمائة وخمسة آلاف من هبوط آدم عليه السلام وفى تاريخ القدس كل من الولادة والوفاة بعد هذه السنين قال ابن الاثير فى الكامل اختلف العلماء فى موته قبل رفعه فقيل رفع ولم يمت وقيل بل توفاه الله ثلث ساعات وقيل سبع ساعات ثم احياه وتأول قائل هذا قوله تعالى ﴿انى متوفيك﴾ وكان رفعه لمضى ثلثمائة وست وثلثين سنة من غلبة الاسكندر على دارا وكان بين رفعه ومولد النبى صلعم خمسمائة وخمس واربعون سنة تقريبا ، كانت ولادة المسيح ايضا لمضى ثلث وثلثين سنة من اول ملك اغسطس ولمضى احدى وعشرين سنة من غلبته على قلوبطرا ملكة اليونان وقيل غير ذلك ولكن هذا هو الاقوى وعاش المسيح الى ان رفع ثلثا وثلثين سنة فكان رفعه فى اواخر السنة الاولى من ملك غانيوس واما مريم امه فعاشت نحو ثلث وخمسين سنة لانها حملت بالمسيح لما صار لها ثلث عشرة سنة وعاشت معه مجتمعة ثلثا وثلثين سنة وكسرا وبقيت بعد رفعه ست سنين

﴿ ذكر خراب بيت المقدس ﴾

الخراب الثانى وهلاك اليهود وزوال دولتهم زوالا لا رجوع بعده كان ابتداء عمارته الثانية لمضى الف وسبع وستين سنة لوفاة موسى ولمضى تسع وثمانين سنة من ابتداء ملك بخت نصر والذى عمره هو ملك الفرس اردشير بهمن واسمه عند بنى اسرائيل كيرش وقيل كورش وقيل كيرش ملك آخر غير بهمن وكان اسم هرذوس الذى قصد قتل المسيح فيلاطوس فرفع الله عيسى وكان منه ومنهم ما كان ثم ملك طيطوس وفى السنة الاولى من ملكه قصد بيت المقدس واوقع

بالبهود

باليهود وقتلهم واسرهم عن آخرهم الا من اختفى ونهب القدس وخربه وخرب بيت المقدس واحرق الهيكل واحرق كتبهم وخلا القدس من بني اسرائيل كان لم يغن بالامس ولم تعد لهم بعد ذلك رئاسة ولا حكم وكان ذلك بعد رفع المسيح بنحو اربعين سنة وثلث مائة وست وسبعين سنة من غلبة الاسكندر وثمان مائة واحدى عشرة سنة مضت لابتداء ملك بخت نصر وفى تقويم التواريخ سنة سبع وخمسين وستمائة وخمسة آلاف من هبوط آدم وفى تاريخ بيت المقدس بعده بسنتين فيكون لبث بيت المقدس على عمارته الاولى الى حين خربه بخت نصر اربعمائة وثلثا وخمسين سنة ثم لبث على التخريب سبعين سنة ثم عمر ولبث على عمارته الثانية الى حين خربه طيطوس الرومى مرة ثانية سبعمائة واحدى وعشرين سنة * قال الحسن بن احمد المهلبى فى « المسالك والممالك » ثم تراجع بيت المقدس الى العمارة قليلا قليلا واعتنى به بعض ملوك الروم وسماه ايليا ومعناه بيت الرب فعمره ورم شعثه واستمر عامرا وهى عمارته الثالثة حتى سارت هيلانة ام قسطنطين الى القدس فى طلب خشبة المسيح التى تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها ولما وصلت الى القدس بنت كنيسة قامة على القبر الذى تزعم النصارى ان عيسى دفن به وخربت هيكل بيت المقدس الى الارض وامرت ان يلقى فى موضعه قامات البلد وزبالته فصار موضع الصخرة مزبلة وبقى الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفتح القدس فدله بعضهم على موضع الهيكل فنظفه عمر من الزبايل وبنى به مسجدا وبقى ذلك المسجد الى ان تولى الوليد بن عبد الملك الاموى فهدم ذلك المسجد وبنى على الاساس القديم المسجد الاقصى وفيه الصخرة وبنى هناك قبابا ايضا سمى بعضها قبة الميزان وبعضها قبة المعراج وبعضها قبة السلسلة والامر على ذلك الى يومنا هذا

هكذا نقله المهلبي العزيزي المذكور والعهدة عليه فيكون عمارة الوليد هي عمارته الخامسة ﴿ الفرس ﴾ وهذه الامة من اقدم امم العالم واشدهم قوة وآثارا في الارض وكانت لهم في العالم دولتان عظيمتان طويلتان الاولى منهما الكينية وهي التي غلب عليها الاسكندر والثانية الساسانية الكسروية وهي التي غلب عليها المسلمون واما قبل هاتين الدولتين فبعيد واخباره متعارضة ولا خلاف بين المحققين انهم من ولد سام بن نوح وارض ايران هي بلاد الفرس ولما عربت قيل لها عراق وقيل انهم من ولد ايران بن افريدون وهم ينسبون الفرس الى كيومرت ومعناه ابن الطين كانت ملوك الفرس من اعظم ملوك الارض في قديم الزمان ودولتهم وترتيبهم لايماثلهم في ذلك غيرهم وهم اربع طبقات ﴿ الاولى ﴾ يقال لهم الفيشداذية ومعناها اول سيرة العدل وعدتها تسعة وهم «اوشهنج» و«طهمورث» و«جمشيد» و« بيوراسب وهو الضحاك» و«افريدون بن اثفيان» و «منوجهر» و« فراسياب» و «زد» و« كرشاسف» وهذه الطبقة قديمة وقد نقل عن مدد ملكهم وحروبهم امورا يأباها العقل ويمجها السمع ﴿ والثانية ﴾ يقال لهم الكيانية وهم الذين في اول اسمائهم لفظة « كي » وهي لفظة للتنويه قيل معناه الروحاني وقيل الجبار وعدة الكيانية تسعة ايضا وهم « كيقباذ » و« كيكاوس » و« كيخسرو » و « كيلهراسب » و « كيشتاسف » و« كي ازدشير » و« بهمن » و « خماني بنت ازدشير » و « دارا الاول » و « دارا الثاني » وهو الذي قتله الاسكندر واستولى على ملكه ﴿ والثالثة ﴾ هم بعض ملوك الطوائف ويقال لهذه الطبقة الاشغانية وعدتهم احد عشر وهم « اشغان اشغان » ويقال « اشك بن اشكان » و « سابور بن اشغان » و « جور بن اشغان » و « بيزن الاشغاني » و « جوذرز الاشغاني » و « نرسي

الاشغانى » و « هرمز الاشغانى » و « اردوان الاشغانى » و « خسرو الاشغانى » و « بلاش الاشغانى » و « اردوان الاصغر الاشغانى » ﴿ الرابعة ﴾ وهم الاكاسرة لان كل واحد منهم يقال له كسرى ويقال لهم ايضا الساسانية نسبة الى جدهم ساسان وملك منهم عدة من النساء بعد الهجرة واستولى عليهم غيرهم من الفرس وكان اولهم ازدشير بن بابك و آخرهم يزدجرد الذى قتل فى ايام عثمان بن عفان رضى الله عنه ومدة ملكهم فى العالم على ما نقل ابن سعيد من « كتاب تاريخ الامم » لعلى بن حمزة الاصفهانى وذلك من زمن كيومرث ابيهم الى مهلك يزدجرد اربعة آلاف سنة وماًتا سنة ونحو احدى وثمانين سنة وكيومرث عندهم هو اول ملك نصب فى الارض وزعمون فيما قال المسعودى انه عاش الف سنة والفرس كلهم متفقون على ان كيومرث هو آدم الذى هو اول الخليقة وان اوشهنك هو مهلايل ملك الهند وبالجملة وكان اوشهنك فاضلا محمود السيرة والسياسة بنى بابل والسوس ونزل الهند وعقد على راسه التاج وجلس على السرير وجمشيد معناه شعاع القمر فجم هو القمر و الشيد هو الشعاع وكذلك خورشيد لان خور اسم الشمس وملك جمشيد الاقاليم السبعة و بيوراسب كان يقال له الدهاك ومعناه عشر آفات فلما عرب قيل الضحاك وملك الارض كلها وكان ابراهيم الخليل عليه السلام فى اواخر ايام الضحاك و اول ملك افريدون ويقال ان افريدون هو نوح والتحقيق انه من ولد جمشيد بينهما تسعة آباء وانه ملك خمسمائة سنة وانه الذى محا آثار ثمود واختلف فى الضحاك اختلافا كثيرا فيزعم كل من الفرس واليونان والعرب انه منهم والفرس يجعلونه قبل الطوفان لانهم يعترفون بالطوفان وخرج فى ايامه باصبهان رجل يقال له « كابى » وكان حدادا فدعا الناس الى مجاهدة الضحاك فى سنة ٣٣٩٣ وكان ما كان حتى ملك

افريدون قيل هو ذو القرنين المذكور فى القرآن الكريم وكان له ثلاثة
اولاد فقسم الارض بينهم اثلاثا احدهم « ايرج » جعل له العراق
والهند والحجاز وجعله صاحب التاج والسرير وفوض اليه الولاية
على اخويه و الثانى « شرم » وجعل له الروم وديار مصر و المغرب
و الثالث « طوج » وجعل له الصين والترك والمشرق جميعه ومنوچهر
هو ابن ايرج وكانت امه من ولد اسحق عليه السلام ثم استبد وحمل
الفرس على دين ابراهيم وفى ايامه ظهر موسى عليه السلام وكان
فرعون مصر عاملا لمنوچهر ومطيعا له وافريدون اول من تسمى بكى
ومعناه التنزيه اى مخلص متصل بالروحانيات وقيل معناه البهاء لانه
يغشاه نور من يوم قتل الضحاك وقيل معناه مدرك الثار وكان فى
زمان لهراسف بخت نصر وجعله اصبهذا على العراق والاهواز والروم
وهو الذى خرب القدس وحضر مع بخت نصر دانيال النبى من
بنى اسرائيل والاصح انه لم يكن ملكا مستقلا بنفسه بل كان نائبا
للهراسف ثم غزا بخت نصر العرب وكان فى زمن معد بن عدنان
فقصده طوائف من العرب مسالمين فاحسن اليهم وانزلهم شاطئ
الفرات وبنوا موضع معسكرهم وسموه الانبار واستمروا كذلك مدة
حيوة بخت نصر ورأى رؤيا لم يطق احد من العلماء والسحرة
والكهنة ان ينبئه بذلك حتى سأل دانيال فعبرها فخر بخت نصر ساجدا
لدانيال وامر له بالخلع وان يقرب له القرابين وتفسير بخت نصر
بالعربية عطارد وهو ينطق * قال ابن العميد ملك من بعد كورش ابنه
قبوسيوس وغزا مصر واستولى عليها وتسمى بخت نصر الثانى
وظهر فى ايام كى بشتاسف زرادشت وهو صاحب كتاب المجوس
فصدقه ودخل فى دينه وكان فيما زعم اهل الكتاب من اهل فلسطين
خادما لبعض تلامذة ارميا النبى عليه السلام وعند علماء الفرس انه
من نسل منوچهر الملك وان نبيا من بنى اسرائيل بعث الى كشتاسف

وهو

وهو ببلخ فكان زرادشت وجاماسب العالم وهو من نسل منوچهر ايضا يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبي بالعبرانية وكان جاماسب يعرف اللسان العربي ويترجمه لزرادشت وقال علماء الفرس ان زرادشت جاء بكتاب ادعاه وحيا قال المسعودي ويسمى ذلك الكتاب « نستاه » وهو كتاب الزمزمة ويدور على ستين حرفا من حروف المعجم وفسره زرادشت وسمى تفسيره « زند » ثم فسر التفسير ثانيا وسماه « زنديه » وهذه اللفظة هي التي عربتها العرب زنديق واقسام هذا الكتاب عندهم ثلثة قسم في اخبار الامم الماضية وقسم في حدثان المستقبل وقسم في نواميسهم وشرائعهم مثل ان المشرق قبلة وان الصلوات في الطلوع والزوال والغروب وانها ذات سجدات ودعوات وجدد لهم زرادشت بيوت النيران التي كان منوچهر اخمدها ورتب لهم عيدين « النيروز » في الاعتدال الربيعي و « المهرجان » في الاعتدال الخريفي وامثال ذلك من نواميسهم ولما انقرض ملك الفرس الاول احرق الاسكندر هذه الكتب ولما جاء ازدشير جمع الفرس على قراءة سورة منها تسمى « استا » وجاماسب العالم من اهل آذربيجان وهو اول موبذان كان في الفرس قاله المسعودي وكان ازدشير بهمن كريما متواضعا علامته على كتبه بقلمه من ازدشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لامركم وتفسير بهمن بالعربية الحسن النية وكان بهمن متزوجا بابنته خماني وذلك حلال على دين المجوس فتوفي بهمن وهي حامل منه بدارا وساست خماني الملك بعده احسن سياسة ثم ملك دارا وولد له ابن سماه دارا باسم نفسه وهو الذي صار ملكه الى الاسكندر بن فيلبس وكان ابوه احد ملوك اليونان وكانوا طوائف فلما ملك الاسكندر غزاهم واجتمع له ملكهم ثم غزا دارا ملك الفرس وقتله ثم غزا الهند وتناول اطراف الصين ثم بنى الاسكندرية وذلت عليه الملوك وحملت اليه الهدايا والخراج من

كل ناحيـة وراسله ملوك الارض من افريقيـة والمغرب والافرنجة والصقالبة والسودان ثم ملك بلاد خراسان والترك واستولى عـلى الملوك بقتال على خمسة وثلثين ملكا وعاد الى بابل فمات بها وقيـل هلك فى ناحية السواد وقيل بشهرزور وكان عمره ستا وثلثين سنة وكان ملكه نحو ثلث عشرة سنة وكان مرضه الخوانيق وقيل اغتيل بالسم وهذا هو صاحب ارسطاطاليس وتلميذه وكان اشقر ازرق ومر فى طريقه عـلى بيت المقدس واكرم بنى اسرائيل قيل انه بنى السد عـلى يأجوج ومأجوج والصحيح انه لم يكن منه ذلك بل ذو القرنين الذى ذكره الله فى القران وهو ملك قديم كان على زمن ابراهيم وقيل انه افريدون وقيل غيره وقـد غلط من ظن ان بانى السد هو الاسكندر الرومى وذو القرنين الصعب بن الرائش وهو الذى مكن الله له فى الارض وعظم ملكه وبنى السد على يأجوج ومأجوج وهو من حمير قاله ابن عباس وقد تقدم الكلام فى تحقيق ذلك * ولما مات الاسكندر الرومى عرض الملك على ابنه فابى واختار النسك فانقسمت الممالك بين ملوك الطوائف واليونان واستمر بهم الحال على ذلك نحو خمسمائة واثنتى عشرة سنة حتى قام ازدشير بن بابك وجمع ملك الفرس وكانت عدة طوائف الملوك تزيد على تسعين ملكا ولم تؤرخ فى مبتدأ امرهم اسماؤهم ولا مدد ملكهم فانهم كانوا ملوكا صغارا فى الاطراف وبقى الامر على ذلك حتى اشتهرت الملوك الاشغانية من بينهم وملك اشغا وهو اولهم لمضى مائتين وست واربعين سنة لغلبة الاسكندر ثم ملك بعده ابنه سابور وكان مولد المسيح فى سنة بضع واربعين سنة خلت من ملكه وقال هرمز يوم ملك « يا معشر الناس اجتنبوا الذنوب كيلا تذلوا بالمعاذير » وانقضى ملك اردوان الاصغر وهو آخر هـذه الطبقة لمضى خمسمائة واثنتى عشرة سنة لغلبة الاسكندر واول الاكاسرة اردشير بن بابك وهو

من ولد ساسان بن بهمن المذكور سابقا وكان بين قيامه و بين الهجرة النبوية اربعمائة واثنان وعشرون سنة وكان رصد بطليموس قبله بسبع وسبعين سنة و جميع الاكاسرة الذين كان آخرهم يزدجرد بن شهريار من ولد ازدشير المذكور وظهر فى ايام سابور « مانى » الزنديق النقاش صاحب القول بالنور والظلمة وادعى النبوة واتبعه خلق كثير وهم المسمون بالمانوية والثنوية قال فى تقويم التواريخ ظهور المانى المتنبي فى سنة احدى وعشرين وثمانمائة وخمسة آلاف يعنى من هبوط آدم عليه السلام * واما ظهور « بله واصان » فكان فى سنة عشر وسبعمائة وخمسة آلاف كما فى التقويم

﴿ انتباه اصحاب الكهف من نومهم ﴾

كان فى سنة ست وثلثين وستة آلاف * وكان لسابور المذكور عناية عظيمة بجمع كتب الفلاسفة لليونانيين ونقلها الى اللغة الفارسية ويقال ان فى زمانه اخترع العود وهو آلة اللهو التى يضرب بها و فى ايام صبا سابور بن هرمز وهو السابور الثانى طمعت العرب فى بلاده فلما بلغ غلب على العرب وقتل اناسا من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس وسمى ذا الاكتاف وقتل النصارى واخرب الكنائس واحرق الانجيل و فى ايام قباذ بن فيروز ظهر « مردك » الزنديق المجوسى وادعى النبوة وامر الناس بالتساوى فى الاموال وان يشتركوا فى النساء لانهم اخوة لاب وام آدم وحواء ودخل قباذ فى دينه وكان ظهوره من هبوط آدم عليه السلام لسنة ثمانى عشرة ومائة وستة آلاف ثم ملك « انوشيروان بن قباذ » ولما تولى كان صغيرا فلما استقل وجلس على السرير اعاد آل المنذر الى

الجبرة واطرد الحارث عنها وقتل مزدك بين يديه واحرق جثته ونادى باباحة دماء المزدكية فقتل منهم فى ذلك اليوم عالما كثيرا واباح دماء المانوية ايضا وقتل منهم خلقا كثيرا وثبتت ملة المجوسية القديمة وفتح الاسكندرية وتوجه الى عدن فسكر هنالك ناحية من البحر بين جبلين بالصخور وعمد الحديد وكان مكرما للعلماء محبا للعلم وفى ايامه ترجم كتاب « كليلة ودمنة » وترجم من لسان الهنود وحله بضرب الامثال ويحتاج الى فهم دقيق قال الطبرى وفى ايامه رأى الموبذان ان الابل اصعاب تقود الخيل العراب وقد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فافزعه ذلك وسياتى تفصيله * وفى زمانه ولد عبد الله ابو النبى صلعم لاربع وعشرين سنة من ملكه وكذلك ولد النبى صلعم فى السنة الثانية والاربعين من ملكه وذلك عام الفيل ومات انوشيروان فى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة للاسكندر لمضى سبعة اشهر من السنة المذكورة ثم قام ابنه هرمز ثم سمل پرويز ابنه عينيه وقتله وغزا الروم وجمع فى مدة ملكه من الاموال ما لم يجتمع لغيره من الملوك وكان يشتو بالمدائن ويصيف بهمدان وكان له اثنا عشر الف امرأة والف فيل وخمسون الف دابة وبنى بيوت النيران وتزوج « شيرين » المغنية وبنى لها قصر شيرين بين حلوان وخانقين ثم قتل على يدى ابنه شيرويه وكانت ام شيرويه مريم بنت ملك الروم * ولمضى اثنين وثلثين سنة وخمسة اشهر وخمسة عشر يوما من ملك پرويز هاجر النبى صلعم من مكة الى المدينة وكان له من العمر ثلث وخمسون سنة فيكون لرسول الله صلعم سبع سنين فى ايام انوشيروان واثنتا عشرة سنة فى ايام هرمز بن انوشيروان وسنة ونصف بالتقريب فى الفترة التى كانت بين امساك هرمز وبين استقرار ابنه پرويز واثنتان وثلثون سنة ونصف بالتقريب من ملك پرويز ومجموع ذلك ثلث وخمسون سنة وعلى ذلك

فتكون

فتكون السنة الثالثة والثلثون من ملك پرويز هى السنة الخامسة والثلثون وتسعمائة للاسكندر بالتقريب وفى ايامه افتتح هرقل عظيم الروم بغزو بلاد كسرى وفى مناوبة هذا الغلب بين فارس والروم نزلت الآيات من اول سورة الروم قال الطبرى وادنى الارض التى اشارت اليه الآية هى اذرعات بصرى التى كانت بها هذه الحروب ثم غلبت الروم سبع سنين من ذلك العهد واخبر المسلمون بذلك الوعد الكريم لما اهمهم من غلب فارس الروم لان قريشا كانوا يتشيعون لفارس لانهم غير دائنين بكتاب والمسلمون يودون غلب الروم لانهم اهل كتاب وفى كتب التفسير بسط ما وقع فى ذلك بينهم وپرويز هذا هو الذى قتل النعمان بن المنذر ملك العرب * واتفق صاحب التقويم وتاريخ القدس على ان ولادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانت فى سنة ثلث وستين ومائة وستة آلاف والله اعلم من هبوط آدم عليه السلام * قال الشيخ رفيع الدين بن احمد ولى الله المحدث الدهلوى لا يخفى ان هذه السنين سنون شمسية والسنون المأخوذة من مولد النبى صلعم قرية وجمعها فى الحساب لا يخلو عن مسامحة بل المناسب اما ارجاع ما بعد المولد الى الشمسية او ارجاع ما قبله الى القمرية * فاعلم ان من هبوط آدم عليه السلام الى المولد الشريف اذا اخذت قرية صارت ستة آلاف وثلثمائة واحدى وخمسين سنة قرية ومائتين وتسعة وعشرين يوما وهو قريب من سبعة اشهر ومن المولد الشريف الى آخر سنة من الهجرة المقدسة ثلث وخمسون والف ومائتان فمن هبوط آدم عليه السلام الى آخر تلك السنة سبعة آلاف وستمائة واربع وستون سنة قرية واشهر وايضا فمن المولد الشريف الى آخر السنة المذكورة الف ومائتان وثمانى عشرة سنة شمسية وستون يوما بالتقريب وهو قريب من شهرين فمن هبوط آدم عليه السلام الى آخر السنة المذكورة سبعة آلاف وثلثمائة واحدى وسبعون سنة

شمسية فاحفظ فان جهور اهل التاريخ ومنهم صاحبا تاريخ القدس والخليل وتقويم التواريخ قد خلطا الامر وغفلا عن التمييز والله الهادى انتهى وسيأتى لذلك مزيد ايضاح ان شاء الله تعالى * ولما ملك شيرويه وكان ردى المزاج كثير الامراض صغير الخلق قتل اخوته السبعة عشر ثم ندم على قتلهم وصار يبكى ليلا ونهارا ويرمى التاج عن رأسه ثم هلك وملك اردشير بن شيرويه وكان ابن سبع سنين وقتل وملك شهربران ولم يكن من اهل بيت المملكة ثم قتل وولوا الملك بوران بنت كسرى پروز فاحسنت السيرة ثم هلكت بعد سنة واربعة اشهر وملك بعدها خشنشدة من بنى عم كسرى پروز وكان ملكه اقل من شهر وقتل ثم ملكت ارزمى دخت بنت كسرى پروز وكانت من احسن النساء صورة فخطبها فرخ هرمز فقتلته فجمع رستم بن فرخ المذكور عسكره وقتلها ثم ولوا مكانها كسرى بن مهر وقتلوه بعد ايام ولم يجدوا من يملكونه من بيت المملكة فولوا رجلا يقال له فيروز بن خستان يزعم انه من نسل انوشيروان ثم قتلوه ثم ملك فرخ زاد خسرو من اولاد انوشيروان وملك ستة اشهر وقتلوه ثم ملك يزدجرد بن شهريار من نسل اردشير بن بابك وكان ملكه كالخيال بالنسبة الى ملك آبائه وغزت المسلمون بلادهم وكان عمره الى ان قتل بمرو عشرين سنة وكان مقتله فى خلافة عثمان رضى الله عنه فى سنة احدى وثلثين للهجرة وهو آخر من ملك منهم وزال ملكهم بالاسلام زوالا الى الابد وهذه هى سياقة الخبر عن دولة الفرس عند المحققين * قال الطبرى فجميع سنى العالم من آدم الى الهجرة على ما يزعمه اليهود اربعة آلاف سنة وستمائة واثنان واربعون سنة وعلى ما يدعيه النصارى فى توراة اليونانيين ستة آلاف سنة غير ثمانى سنين وعلى ما يقوله الفرس الى مقتل يزدجرد اربعة آلاف ومائة وثمانون سنة ومقتل يزدجرد عندهم

لثلثين من الهجرة واما عند اهل الاسلام فبين آدم ونوح عشرة قرون والقرن مائة سنة وبين نوح وابراهيم كذلك وبين ابراهيم وموسى كذلك ونقله الطبرى عن ابن عباس ومحمد بن عمرو بن واقد الاسلامى عن جماعة من اهل العلم وقال ان الفترة بين عيسى وبين محمد صلعم ستمائة سنة ورواه عن سلمان الفارسى وكعب الاحبار قال ابن خلدون والله اعلم بالحق فى ذلك والبقاء لله الواحد القهار

« ذكر فراعنة مصر »

هم ملوك القبط بالديار المصرية وكانوا اهل ملك عظيم فى الدهور الخالية والازمان السالفة وكانوا اخلاطا من الامم ما بين قبطى ويونانى وعمليقى الا ان جمهرتهم قبط واكثر ما تملك مصر الغرباء وكانوا صابئية يعبدون الاصنام وصار بعد الطوفان بمصر علماء بضروب من العلوم خاصة بعلم الطلسمات والنيرنجات والكيمياء وكانت مدينة منف هى كرسى المملكة حتى ملك الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى عليه السلام وكان من العمالقة وهو الاظهر وقيل انه فرعون يوسف وطال عمره الى ايام موسى وذكر القرطبى ان الوليد المذكور من القبط وهو الذى ادعى الربوبية وكان من شانه وشان موسى ما حكاه الله سبحانه فى كتابه العزيز ولما هلك ملكت القبط بعده دلوكة المشهورة بالعجوز من بنات ملوك القبط وانتهى الدهر اليها وطال عمرها ولما قتل بخت نصر فرعون مصر بقيت خرابا اربعين سنة حتى انقرضت دولة بنى بخت نصر فتوالت ولاة الفرس عليها فكان منهم طخارست وفى ايامه كان بقراط الحكيم حتى غلب عليها الاسكندر و« الخطط » للمقريزى اجمع التواريخ لمصر وليس ذكر ملوك اليونان وملوك الروم من غرضنا فى هذا المقام واما « ملوك العرب قبل الاسلام » فاول من نزل اليمن قحطان

بن عابر بن شالخ المقدم الذكر ثم ملك بعده ابنه يعرب وهو اول من نطق بالعربية على ما ذكر ثم ابنه يشجب ثم ابنه عبد شمس وسمي سبأ وهو الذي بنى السد بارض مارب وفجر اليه سبعين نهرا وساق اليه السيول من امد بعيد ثم ابنه حمير بن سبأ الى ان ملكت بلقيس بنت الهدهاد عشرين سنة وتزوجها سليمان بن داود عليهما السلام الى ان ملك ذونواس وكان من لا يتهود القاه في اخدود مضطرم نارا فقيل له صاحب الاخدود ثم ملك بعده ذوجدن وهو آخر ملوك حمير وكانت مدة ملكهم على ما قيل الفين وعشرين سنة قال صاحب تواريخ الامم ليس في جميع التواريخ اسقم من تاريخ ملوك حمير لما يذكر فيه من كثرة عدد سنيهم مع قلة عدد ملوكهم فانهم يزعمون ان ملوكهم ستة وعشرون ملكا ملكوا في مدة الفين وعشرين سنة ثم ملك اليمن بعدهم من الحبشة اربع ومن الفرس ثمانية ثم صارت اليمن للاسلام * وكان اول من ملك على العرب بارض الحيرة مالك بن فهم من ولد يعرب بن قحطان وكان ملكه قبل الاكاسرة ثم ملكه اللخميون واولهم عمرو بن عدى الى ان ملكه المنذر بن النعمان وسمته العرب المغرور واستمر مالكا للحيرة الى ان قدم اليها خالد بن الوليد واستولى على الحيرة وكانت ملوك غسان عمالا للقياصرة على عرب الشام واصل غسان من اليمن من ولد كهلان بن سبأ واول من ملك منهم « جفنة بن عمرو » وآخرهم « جبلة بن الايهم » وهو الذي اسلم في خلافة عمر بن الخطاب وقد اختلف في مدة ملك الغسانية فقيل اربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة وقيل بين ذلك * واما جرهم فهم صنفان الاولى وكانوا على عهد عاد فبادوا ودرست اخبارهم وهم من العرب البادية واما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان فملك يعرب اليمن واخوه جرهم الحجاز وهم الذين اتصل بهم اسمعيل وتزوج منهم واول ملوك كندة

حجر بن عمرو وقيل له آكل المرار وآخرهم الحارث ومن ملوك العرب «عمرو بن لحى» ملك الحجاز وهو اول من جعل الاصنام على الكعبة وعبدها فاطاعته العرب وعبدوها معه واستمرت العرب على تلك العبادة حتى جاء الاسلام ومنهم زهير بن حباب وزهير بن جذيمة والحارث بن ظالم وقيس بن زهير ولهم ايام ذكرها المؤرخون واطالوا فى بيانها ومنها «يوم ذى قار» وكان فى سنة اربعين من مولد رسول الله صلعم وقيل فى عام وقعة بدر والاول اولى قال ابن خلدون ان جميع العرب يرجعون الى ثلثة انساب وهى «عدنان» و «قحطان» و «قضاعة» فاما عدنان فهو من ولد اسمعيل بالاتفاق الا الآباء الذين بينه وبين اسمعيل فليس فيه شئ يرجع الى يقينه وغير عدنان من ولد اسمعيل قد انقرضوا فليس على وجه الارض منهم احد واما قحطان فقيل من ولد اسمعيل وهو ظاهر كلام البخارى فى قوله باب نسبة اليمن الى اسمعيل واما قضاعة فقيل انها من حمير قاله ابن اسحق والكلبى وطائفة وقيل غير ذلك والنسب البعيد يحيل الظنون ولا يرجع فيه الى يقين

﴿ ذكر الامم ﴾

الامة الجماعة هو فى اللفظ واحد وفى المعنى جمع وكل جنس من الحيوان امة وفى الحديث * لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها *

﴿ امة السريان ﴾ هى اقدم الامم وكلام آدم وبنيه بالسريانى وملتهم هى ملة الصابئين ويذكرون انهم اخذوا دينهم عن شيث وادريس ولهم كتاب يسمونه «صحف شيث» ولهم صلوات سبع وصوم ثلثين يوما واعياد عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة بيوت اشرافها ويعظمون مكة ولهم بظاهر حران مكان يحجونه ويعظمون اهرام مصر ويزعمون ان احدهما قبر شيث والآخر قبر ادريس

والآخر قبرصابئ بن ادريس * قال ابن حزم والدين الذى انحله الصابئون اقدم الاديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا الى ان احدثوا فيه الحوادث فبعث الله تعالى اليهم ابراهيم بالدين الذى نحن عليه الآن * قال الشهرستانى وهم يقاتلون الحنيفية ومدار مذهبهم التعصب للروحانيين كما ان مدار مذهب الحنفاء التعصب للبشر والجسمانيين ﴿ امة القبط ﴾ وهم من ولد حام بن نوح وكان سكناهم بديار مصر فاختلط بهم طوائف كثيرة وكانوا فى سالف الدهر صابئية وكانت ملوكهم تلقب الفراعنة يعبدون الهياكل والاصنام وهذه الامة اقدم امم العالم واطولهم امدا فى الملك واختصوا بملك مصر وما اليها ملوكها من لدن الخليقة الى ان صحبهم الاسلام بها فانتزعها المسلمون من ايديهم ولعهدهم كان الفتح وربما غلب عليهم جميع من عاصرهم من الامم حين يستفحل امرهم مثل العمالقة والفرس والروم واليونان فيستولون على مصر من ايديهم ثم يتقلص ظلهم فراجع القبط ملكهم هكذا الى ان انقرضوا فى مملكة الاسلام ﴿ امة الفرس ﴾ ومساكنهم وسط المعمور يقال انها ارض فارس منها كرمان والاهواز واقاليم يطول ذكرها وجميع ما دون جيحون من تلك الجهات يقال له ايران وهى ارض الفرس واما ما وراء جيحون فيقال له توران وهو ارض الترك وقد اختلف فى نسب الفرس فقيل انهم من ولد فارس بن ارم بن سام وقيل من ولد يافث وهم يقولون انهم من ولد كيومرث وهو عندهم الذى ابتدأ منه النسل مثل آدم عندنا ويذكرون ان الملك لم يزل فيهم من كيومرث الى غلبة الاسلام خلا تقطع حصل فى مدد يسيرة لا يعتد به مثل تغلب الضحاك وفراسياب التركى وملوك الفرس عند الامم اعظم ملوك العالم وكانت لهم العقول الوافرة والاحلام الراجحة وكان لهم من ترتيب المملكة ما لم يلحقهم فيه احد من

الملوك وهم فرق كثيرة فنهم الديلم وهم سكان الجبال ومنهم الجيل وارضهم هى ساحل بحر طبرستان ومنهم الكرد ومنازلهم جبال شهرزور وقيل ان الكرد من العرب ثم تنبطوا وقيل انهم اعراب العجم وكان للفرس ملة قديمة يقال لها الكيومرثية اثبتوا الها قديما وسموه «يزدان» والها مخلوق من الظلمة وسموه «اهرمن» والاول عندهم هو الله والثانى ابليس واصل دينهم تعظيم النور والتحرز من الظلمة ولهذا عبدوا النيران حتى ظهر زرادشت من قرية من قرى آذربيجان فصارت الفرس على دينه ولهم فى خلق زرادشت وولادته كلام طويل لا فائدة فيه وقال بالله يسمى «ارمزد» بالفارسى وانه خالق النور والظلم وهو واحد لا شريك له ولهم اعياد ورسوم منها النوروز والتيركان والمهرجان والفروردجان والكنبهارات زعم زرادشت ان فى كل يوم خلق الله نوعا من الخليقة من سماء وارض وماء ونبات وحيوان وانس فتم خلق العالم فى ستة ايام ﴿امة اليونان﴾ وهم نجموا من رجل اسمه «اللن» ولد سنة اربع وسبعين لمولد موسى عليه السلام ولم يعلموا قبل ذلك وكانوا اهل شعر وفصاحة ثم صارت فيهم الفلسفة فى زمان بخت نصر * قال الشهرستانى ان ابيدقليس كان فى زمن داود النبى عليه السلام وكذلك فيثاغورس كان فى زمن سليمان وهذا يخالف ما سبق فان بخت نصر بعد سليمان باكثر من اربعمائة سنة وبلاد اليونان كانت على الخليج القسطنطينى من شرقيه وغربيه الى البحر المحيط وهو بين بحر الروم وبحر القلزم واسم القلزم فى القديم بحر نيطش وهم فرقتان الاغريقيون واللطينيون قيل انهم من ولد يافث وهو الصحيح باتفاق من المحققين وقيل من جملة الروم من ولد العيص بن يعقوب النبى وكانت ملوكهم من اعظم الملوك ودولتهم من افخر الدول ولم يزالوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم ولم يبق لهم ذكر وكانت لهم الدولتان العظيمتان

الاسكندر والقياصرة من بعده الذين صبحهم الاسلام وهم ملوك بالشام وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم مثل العلوم المنطقية والطبيعية والالهية والرياضية وكانوا يسمون العلم الرياضى جوهرا مطربا وهو المشتمل على علم الهيأة والهندسة والحساب واللحون والايقاع وغير ذلك وكان العالم بها يسمى فيلسوفا وتفسيره محب الحكمة ومن فلاسفتهم «تاليس الملطى» وكان فى زمن بخت نصر واخذ عن لقمان و«ابيد قليس» و«فيثاغورس» وكانا فى زمن داود وسليمان عليهما السلام وزعم فيثاغورس انه سمع حفيف الفلك ووصل الى مقام الملك وقال ما سمعت شيئا الذ من حركات الافلاك ولا رايت شيئا ابهى من صورتها و«بقراط الحكيم» ونجم فى سنة ١٩٦ لبخت نصر فيكون قبل الهجرة بالف ومائة وبضع وسبعين سنة و«سقراط» اقام فى غار ونهى الناس عن الشرك وعبادة الاوثان حتى قتل فى الحبس بالسم و«افلاطون الالهى» قام مقام سقراط حين اغتيل وجلس على كرسيه و«ارسطوطاليس» كان تلميذا لافلاطون وكان افلاطون كبير حكماء الخليقة غير منازع كان يعلم الحكمة وهو ماش تحت الرواق المظلل له من حر الشمس فسمى تلاميذه بالمشائين فى زمن الاسكندر وكان ملكه لعهد اربعة آلاف وثمانمائة من عهد الخليقة ولعهد اربعمائة او نحوها من بناء رومة وبين الاسكندر والهجرة تسعمائة واربع وثلثون سنة فيكون افلاطون قبل ذلك بمدة يسيرة وكذلك سقراط قبله بمدة يسيرة ايضا فبالتقريب يكون بين سقراط والهجرة نحو الف سنة وبين افلاطون والهجرة اقل من الف سنة و«طيماوس» هو من مشايخ افلاطون ومن تلامذة ارسطو الاسكندر الذى ملك غالب المعمور من الغرب الى الشرق واستولى على بلاد فارس وتخطاها الى بلاد السند فملكها ثم زحف الى بلاد الهند فغلب على اكثرها وحاربه «فور» ملك الهند فانهزم

واخذه الاسكندر اسيرا بعد حروب طويلة وغلب على جميع طوائف الهنود وملك بلاد الصين والسند واقام يتعلم على ارسطو خمس سنين وبلغ فيها احسن المبالغ ونال من الفلسفة مالم ينله سائر تلاميذه ومنهم « برقلس » وكان بعد ارسطو وصنف كتابا اورد فيه شبها فى قدم العالم ومنهم « طيموخارس » حكيم رياضى عالم بهيأة الفلك رصد الكواكب فى زمانه ذكره بطليوس فى المجسطى وكان قبل بطليوس باربعمائة وعشرين سنة و « فرفوريوس » من اهل مدينة صور على البحر الرومى بالشام كان بعد زمان جالينوس فسر مشكلات كتب ارسطو و « فلوطيس » نقل تصانيف ارسطو من الرومى الى السريانى قال ولا اعلم ان شيئا منها خرج الى العربى و « فولس الاجانطى » ويعرف بالقوابلى كان خبيرا بطب النساء كثير المعانات له وكان مقامه بالاسكندرية و « اسلون المتعصب » يقرى فلسفة افلاطون وينتصر لها و « مقسطراطيس » شرح كتب ارسطو واخرجها الى العربى و « منطر الاسكندرى » كان اماما فى علم الفلك واجتمع هو وافطيمن بالاسكندرية واحكما آلات الرصد ورصدا الكواكب وحققاها وكانا قبل بطليوس بنحو خمسمائة واحدى وسبعين سنة و « مورطس » له رياضة وحيل صنف كتابا فى الآلة المسماة « بالارغن » وهى آلة تسمع على ستين ميلا و « مغنس » من اهل حمص من تلامذة بقراط وله كتاب البول وغيره و « متروديطوس » كان طبيبا ركب معجونا يسمى باسمه وكان معتنيا بتجربة الادوية واما « بطليوس وجالينوس » فزمانهما متأخر عن زمان اليونان وكانا فى زمن الروم واحدهما قريب من الآخر وكان بطليوس مقدما على جالينوس بقليل وكان بين رصد بطليوس ورصد المأمون سبعمائة وتسعون سنة وكان رصد المأمون بعد سنة مائتين للهجرة فيكون بين الهجرة ورصد بطليوس

اربعمائة و تسعون سنة بالتقريب و بين جالينوس و الهجرة اكثر من اربعمائة سنة بقليل و ذلك كله بالتقريب * قال ابن خلدون و من حكماء اليونانيين « انكيثاغورس » كان مع حكمته مبرزا فى علم الطب وبعث به بهمن ملك الفرس الى ملك اليونان فامتنع من ايفاده عليه ضنانة به و كان من تلامذته جالينوس لعهد عيسى عليه السلام ومات بصقلية ودفن بها « اقليدس » صاحب كتاب الاستقصاآت المسمى باسمه وكان فى ايام ملوك البطالسة و لم يكن بعد ارسطو ببعيد وليس هو مخترع كتاب اقليدس بل هو جامعه ومحرره ومحققه ومنهم « ابرخس » رصد الكواكب وحققها وكان بين رصده ورصد بطليوس مائتان وخمس وثمانون سنة فارسية بالتقريب ﴿ امة اليهود ﴾ هم بنو اسرائيل يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل و كان لاسرائيل اثنا عشر ابنا وهم الاسباط وجميع بنى اسرائيل هم اولاد الاسباط وامة اليهود اعم منهم لان كثيرا من اجناس العرب و الروم و الفرس وغيرهم صاروا يهودا ولم يكونوا من بنى اسرائيل وانما بنو اسرائيل هم الاصل فى هذه الملة وغيرهم دخيل فيها واما اسم اليهود فيقال هاد الرجل اى رجع وتاب و انما لزمهم هذا الاسم لقول موسى * انا هدنا اليك * اى رجعنا * وقال البيرونى فى الآثار الباقية ليس ذلك بشئ وانما سمى هؤلاء باليهود نسبة الى يهوذا احد الاسباط وابدلت المعجمة بالمهملة قلت وهذا هو الصواب لان القرآن عربى والتوراة عبرانية وافترقت اليهود فرقا كثيرة ﴿ امة النصارى ﴾ وهم امة المسيح عليه السلام ولهم فى تجسد الكلمة مذاهب شتى منهم من قال اشرقت على الجسد اشراق النور على الجسم المشف ومنهم من قال انطبعت فيه انطباع النقش فى الشمعة ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء واتفقت النصارى على ان المسيح قتله اليهود وصلبوه

وافترقت على اثنين وسبعين فرقة كبارهم ثلث فرق. الملكانية والنسطورية واليعقوبية * والبطاركة للنصارى بمنزلة الائمة اصحاب المذاهب للمسلمين والمطارنة مثل القضاة والاساقفة مثل المفتين والقسيسون بمنزلة القراء والجاثليق بمنزلة الامام الذى يؤم فى الصلوة والشمامسة بمنزلة المؤذنين وقومة المساجد ومن اعيادهم الشعانين وجمعة الصلبوت وعيد الفصح ويوم الاحد والسلاقا وعيد البنديقسطى والدنح وعيد الصليب والميلاد * واما الانجيل فهو كتاب يتضمن اخبار المسيح من ولادته الى وقت خروجه من هذا العالم كتبه اربعة نفر من اصحابه وهم « متى » كتبه بفلسطين بالعبرانية و « مرقوس » كتبه ببلاد الروم باللغة الرومية و « لوقا » كتبه بالاسكندرية باللغة اليونانية و « يوحنا » كتبه بافسس باليونانية ايضا * ومن الامم الداخلة فى دين النصارى امة الروم كانوا صابئة حتى تنصر قسطنطين وحملهم عليه حتى تنصروا عن آخرهم * واما امم النصارى فهى الارمن والروم والبلغار وكان اصل الكرج والجراكسة نصارى الا انهم الآن مسلمون واما المسلمون القاطنون فى جهات الروم ايلى فاصلهم نصارى ويوجد فى سورية وحلب وبغداد وغيرها من الممالك العثمانية نصارى ولغتهم العربية وبقية النصارى فى بلاد اوربا وامريكا وغيرهما وهم امم مختلفة منهم الجرمانيون والانكليز اعنى البربطانيين والفرنساويون والطليانيون والروس وغيرهم والانكليزيون هم المستولون الآن على سلطنة الهند ﴿ امة الهند ﴾ فرق كثيرة ذكرها الشهرستانى فى « الملل والنحل » منهم الباسومية والبهودية وعبدة الاصنام وعباد النار ومنهم البراهمة اصحاب الفكرة

وهم اهل العلم بالفلك والنجوم على طريقة تخالف طريقة منجمى الروم والعجم وللهند ممالك منها مملكة قنوج وهى منقطعة عن البحر ولاهلها اصنام يتوارثون عبادتها و يزعمون ان لها نحو مائتى الف سنة قاله ابو الفدا وهى اليوم خاوية على عروشها كان لم تغن بالامس ولنعم ما قيل

* ورايت معالم دارسة * رسمته مزاولة السبل *
* وسالت رسوم الاربع ما * فعلت بك سابقة الازل *
* فاجابت قال الله لنا * وسؤالك من جهة الغفل *
* تلك الايام نداولها * لا مكث لهن على رجل *

وكانت هذه البلدة هى موطن آبائنا منذ ثلثمائة سنة تقريبا حتى خرجنا منها منذ اعوام ثم لم نعد ونزلنا ببلدة بهوپال وبها نعيش فى هذه الايام وهى سنة احدى وتسعين ومائتين والف هجرية وجزائر بحر الهند فى نهاية الكثرة وهى فى البحر قبالة هذه الممالك ولها ملوك وطوائف وايام ومحاربات قد اكثر المصنفون فيها الكلام وقد ذكرنا طرفا من حالها وخبر قنوج فى كتابنا * حجج الكرامة فى آثار القيامة * فان شئت ان تطلع على معظم ماجرياتها وتعلها فارجع اليه تجده كتابا لم يؤلف مثله قبل ذلك الزمان وبالله التوفيق وهو المستعان ﴿ امة السند ﴾ وهم غربى الهند منها على جانب البحر ويقال لها بلاد اللان ومنها فى البر الى جانب الجبل وكل من ملك السند يقال لها رتبيل ومن المدن الاول ملتان والمنصورة ومن الثانى قشمير وكان المسلمون غالبين عليها ثم صارت هى والهند فى ايدى الكفار من البرطانية النصرانية منذ مائة عام بل ازيد من ذلك ﴿ امم السودان ﴾ قيل هم من ولد حام واديانهم مختلفة فمنهم مجوس ومنهم من يعبد الحيات ومنهم صاحب اوثان وقد روى عن جالينوس انهم يختصون

بعشر خصال وهى تفلفل الشعر وخفة اللحى وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحدد الاسنان ونتن الجلد وسواد اللون وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب ومن اعظم امهم «الحبش» وبلادهم تقابل الحجاز وبينهما البحر وهى بلاد طويلة عريضة وخصيانهم افخر الخصيان ومنهم «النوبة» يقال ان لقمان الحكيم الذى كان مع داود عليه السلام من النوبة ومنهم ذو النون المصرى وبلال بن حمامة مؤذن النبى صلعم ومنهم «البجا» وهم شديدوا السواد عراة يعبدون الاوثان وهم اهل امن وحسن مرافقة للتجار ومنهم «الدمادم» وبلادهم على النيل فوق بلاد الزنج وهم تتر السودان خرجوا عليهم وقتلوا فيهم كما جرى للتتر مع المسلمين وهم مهملون فى اديانهم ومنهم الزنج وهم اشد السودان سوادا يعبدون الاوثان واهل باس وقساوة ومنهم «التكرور» وهم على غربى النيل كفار ومسلمون ومنهم «الكانم» وهم على مذهب مالك ومدينة غانة هى من اعظم مدن السودان وهى فى اقصى جنوب المغرب ﴿ امم الصين ﴾ هى بلاد طويلة عريضة من المشرق الى المغرب اكثر من مسيرة شهرين طولا وعرضا من بحر الصين فى الجنوب الى سد يأجوج ومأجوج فى الشمال وقيل ان عرضها اكثر من طولها حتى يشتمل على الاقاليم السبعة واهل الصين احسن الناس سياسة واكثرهم عدلا واحذق الناس فى الصناعات وهم قصار القدود عظام الرؤوس اهل مذاهب مختلفة مجوس واهل اوثان واهل نيران ومدينتهم الكبرى يقال لها جدان والصين الاقصى ويقال له صين الصين هو نهاية العمارة من جهة المشرق وليس وراءه غير البحر المحيط ومدينته العظمى يقال لها السيلى ﴿ بنى كنعان ﴾ هم اهل الشام وانما سمى الشام شاما لسكنى سام بن نوح به وسام اسمه بالعبرانية شام بالمعجمة وقيل تشاءمت به بنو كنعان هو ابن حام بن نوح وسار منهم طائفة الى المغرب وهم البربر ﴿ امة البربر ﴾

اختلف فيهم اختلافا كثيرا فقيل انهم من ولد حام وهم يزعمون انهم من ولد قيس عيلان وصنهاجة منهم تزعم انها من ولد افريقس الحميرى وزناتة منهم تزعم انها من لخم والاصح انهم من ولد كنعان بن مازيغ بن حام ولما قتل ملكهم جالوت وكان كل من ملك بنى كنعان يلقب جالوت الى ان قتل داود جالوت آخر ملوكهم تفرقت بنو كنعان وقصدت منهم طائفة بلاد المغرب وسكنوا تلك البلاد وهم البربر وقبائل البربر كثيرة جدا منهم كتامة وصنهاجة والمصامدة وبرغواطة وهم مثل العرب فى سكنى الصحارى ولهم لسان غير العربى قال ابو سعيد ولغاتهم ترجع الى اصول واحدة وتختلف فروعها حتى لا تفهم الا بترجمان * امة عاد * هم من ولد عاد من ولد سام بن نوح وبلادهم الاحقاف متصلة باليمن واول من ملك منهم شداد قال الزمخشرى ان شدادا هو الذى بنى مدينة ارم فى صحارى عدن وشيدها بصخور الذهب واساطين الياقوت والزبرجد يحاكى بها الجنة لما سمع وصفها طغيانا منه وعتوا ويقال ان بانى ارم هذه هو ارم بن عاد وذكر ابن سعيد عن البيهقى هو ارم بن شداد بن عاد الاكبر انتهى * والصحيح انه ليس هناك مدينة اسمها ارم وانما هذا من خرافات القصاص وانما ينقله ضعفاء المفسرين وارم المذكورة فى قوله تعالى * ارم ذات العماد * القبيلة لا البلد وكانوا ذوى قوة وبطش وكان لهم فى الارض آثار عظيمة حتى قال لهم هود عليه السلام * اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين * وقد كثر الاختلاف فى ذكرهم وجميع ما ذكروا من ذلك مضطرب غير قريب للصحة * امة العمالقة * هم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بهم يضرب المثل فى الطول والجسمان نزلوا بصنعاء من اليمن ثم تحولوا الى الحرم وكان منهم جماعة بالشام واهل عمان البحرين وهم الذين قاتلهم

موسى ثم يوشع فافناهم وكان منهم فراعنة مصر والكنعانيون ومن ملك يثرب وخيبر وتلك النواحي ﴿ امم العرب ﴾ العرب الجاهلية اصناف ولهم مذاهب مختلفة ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل وقسمهم المؤرخون الى ثلثة اقسام بائدة وعاربة ومستعربة « اما البائدة » فهم العرب الاول الذين ذهبت عنا تفاصيل اخبارهم لتقادم عهدهم وهم عاد وثمود وجرهم الاولى وكانت على عهد عاد فبادوا ودرست اخبارهم واما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان وثبت ان قحطان كان يتكلم بالعربية ولقنها عن الاجيال قبله فكانت لغة بنيه ولذلك سموا العرب المستعربة ولم يكن في اباء قحطان من لدن نوح عليه السلام اليه من يتكلم بالعربية وكذلك كان اخوه قانع وبنوه انما يتكلمون بالعجمية الى ان جاء اسمعيل بن ابراهيم فتعلم العربية من جرهم فكانت لغة بنيه وهم اهل الطبقة الثالثة المسمون بالعرب التابعة للعرب ولم يبق من ذكر العرب البائدة الا القليل « واما العرب العاربة » فهم عرب اليمن من ولد قحطان وهذه الامة اقدم الامم من بعد قوم نوح واعظمهم قدرة واشدهم قوة وآثارا في الارض واول اجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه لان اخبار القرون الماضية من قبلهم يمتنع اطلاعنا عليها لتطاول الاحقاب ودروسها الا ما يقصه علينا الكتاب ويؤثر من الانبياء بوحي الله اليهم وما سوى ذلك من الاخبار الازلية منقطع الاسناد ولذلك كان المعتمد عند الاثبات في اخبارهم ما نطق به آية القرآن في قصص الانبياء الاقدمين او ما ينقله زعماء المفسرين في تفسيرها من اخبارهم وذكر دولهم وحروبهم ينقلون ذلك عن السلف من التابعين الذين اخذوا عن الصحابة او سمعوه ممن هاجر الى الاسلام من احبار اليهود وعلمائهم اهل التوراة اقدم الصحف المنزلة فيما علمناه وما سوى ذلك من حطام المفسرين واساطير القصص وكتب بدء الخليقة فلا نعول على شئ

منه وان وجد لمشاهير العلماء تأليف مثل « كتاب الياقوتية » للطبرى و « البدء » للكسائى فانما نحوا فيها منحى القصاص وجروا على اساليبهم ولم يلتزموا فيها الصحة ولا ضمنوا لنا الوثوق بها فلا ينبغى التعويل عليها ونترك وشانها واخبار هذا الجيل من العرب وان لم يقع لها ذكر فى التوراة الا ان بنى اسرائيل من بين اهل الكتاب اقرب اليهم عصرا واوعى لاخبارهم فلذلك يعتمد نقل المهاجرة منهم لاخبار هذا الجيل * ثم ان هذه الامم على ما نقل كان لهم ملوك ودول « واما العرب المستعربة » فهم ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام ومن العاربة بنو جرهم وكانت مساكنهم بالحجاز ومنهم بنو سبأ واسم سبأ عبد شمس فلما اكثر الغزو والسبى سمى سبأ وكان له عدة اولاد منهم حمير وكهلان وجميع قبائل عرب اليمن وملوكها التبابعة من ولد سبأ المذكور وجميع تبابعة اليمن من ولد حمير بن سبا خلا عمران واخيه مزيقيا فانهما من ولد كهلان بن سبأ بنى حمير بن سبأ ومنهم التبابعة ملوك اليمن ومنهم قضاعة وكان مالكا لبلاد الشحر ومن قضاعة بنو كلب نزلوا فى الجاهليـة دومة الجندل وتبوك واطراف الشام ومنهم حارثة ابو زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله صلعم ومنهم بلى وبهراء وجهينة وكانت منازلهم باطراف الحجاز الشمالى من جهة بحر جدة وبنو سليخ وبنو نهد وبنو عذرة وشعبا بنى كهلان وصار منهم احياء كثيرة والمشهور منها سبعة وهى الازد وطيئ ومذحج وهمدان وكندة ومراد وانمار ومن الازد الغسانية والاوس والخزرج اهل يثرب والمسلمون منهم هم الانصار وخزاعة وبارق ودوس وعتيك وغافق فهؤلاء بطون الازد وحصـل لخزاعة سدانة البيت والرئاسة والاكثر انها يمانيـة وما زالت فيهم حتى اخذها قصى بن كلاب وارسل بها الى مكة وقال معشر قريش هذه مفاتيح بيت ابيكم اسمعيل قد رددتها عليكم من

غير عار ولا ظلم وظهر قصى على خزاعة واخرجها من مكة ومن خزاعة بنو المصطلق الذين غزاهم رسول الله صلعم وسكنت بنو دوس احدى الشروات المطلة على تهامة وكانت لهم دولة باطراف العراق ومن الدوس ابو هريرة واختلف فى اسمه والاكثر ان اسمه عمير بن عامر واما عتيك وغافق فقبيلتان مشهورتان فى الاسلام وهم من ولد الازد ومن الازد بنو الجلندى ملوك عمان والجلندى لقب لكل من ملك منهم عمان وانتهى ملك عمان فى الاسلام الى جيفر وعبد ابنى الجلندى واسلما مع اهل عمان على يد عمرو بن العاص ونزلت طيئ بنجد الحجاز فى جبلى اجأ وسلمى فعرفا بجبل طيئ الى يومنا هذا ومن بطون طيئ جديلة ونبهان وبولان وسلامان وهى سدوس بضم السين ومن طيئ زيد الخيل وسماه رسول الله صلعم زيد الخير وحاتم طيئ المشهور بالكرم ومن بطون مذحج ايضا النخع ومنهم الاشتر النخعى واسمه مالك بن حارث صاحب رسول الله صلعم ثم على بن ابى طالب ومن النخع سنان بن انس قاتل الحسين وعنس وهى قبيلة الاسود الكذاب الذى ادعى النبوة باليمن وعنس ايضا رهط عمار بن ياسر صاحب رسول الله صلعم ولهمدان من بنى كهلان صيت فى الجاهلية والاسلام وبلاد كندة باليمن تلى حضرموت ومنهم حجر بن عدى صاحب على بن ابى طالب وهو الذى قتله معاوية صبرا ومنهم القاضى شريح ومن كندة السكاسك والسكون ومن السكون معاوية بن خديج قاتل محمد بن ابى بكر رضى الله عنه وحصين بن نمير السكونى الذى صار صاحب جيش يزيد نوبة وقعة الحرة بظاهر مدينة الرسول صلعم وبنو مراد بلادهم الى جانب زبيد من جبال اليمن والانمار فرعان وهما بجيلة وخثعم وبجيلة هى رهط جرير بن عبد الله البجلى صاحب رسول الله صلعم « بنى عمرو بن سبأ » ومنهم لخم بن عدى

ومن لخم بنو الدار رهط تميم الدارى صاحب رسول الله صلعم والمناذرة ملوك الحيرة وكانت دولتهم من اعظم دول ملوك العرب وجذام بنى اشمر ويقال انهم الاشعريون وهم رهط ابى موسى الاشعرى واسمه عبدالله بن قيس ¤ بنو عاملة ¤ هم من القبائل اليمانية خرجت الى الشام عند سيل العرم ونزلوا بالقرب من دمشق فى جبل هناك يعرف بجبل عاملة ¤ العرب المستعربة ¤ هم ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل وقيل انهم المستعربة لان اسمعيل لم تكن لغته عربية بل عبرانية ثم دخل فى العربية فمن سكنى اسمعيل مكة الى الهجرة الفان وسبعمائة وثلث وتسعون سنة وكان هناك قبائل جرهم فتزوج اسمعيل منهم امرأة وولدت له اثنى عشر ولدا ذكرا منهم قيذار ومات هاجر ودفنت بالحجر ثم لما مات اسمعيل بمكة دفن معها بالحجر ايضا وقد اختلف المؤرخون اختلافا كثيرا فى امر الملك على الحجاز بين جرهم وبين اسمعيل فمن قائل كان الملك على الحجاز فى جرهم ومفتاح الكعبة وسدانتها فى يد ولد اسمعيل ومن قائل ان قيذار توجته اخواله جرهم وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز واما سدانة البيت الحرام ومفاتيحه فكانت مع بنى اسمعيل بغير خلاف حتى انتهى ذلك الى نابت من ولد اسمعيل فصارت السدانة بعده لجرهم ويدل على ذلك قول عامر بن الحارث الجرهمى من قصيدته التى منها

* وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والامر ظاهر *
* كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر *
* بلى نحن كنا اهلها فابادنا * صروف الليالى والجدود العواثر *

ثم ولد لقيذار ابنه حل وحمل نبت ويقال نابت وقيل نبت ابن اسمعيل وفيه خلاف كثير ثم لنبت سلامان ثم ولد له الهميسع وولد له اليسع وله ادد وله اد ثم ولد لاد عدنان وولد له معد ولمعد نزار ولنزار اربعة منهم مضر على عمود النسب النبوى وثلثة خارجون عنه اولهم

اياد

اياد ومنه كعب بن مامة ويضرب بجوده المثل وقس بن ساعدة
ويضرب بفصاحته المثل والثانى ربيعة الفرس ومن ربيعة اسد وضبيعة
ولاسد جديلة وعنزة ومن جديلة وائل ومن وائل بكر وتغلب
ومن بكر بنو شيبان ومرة وطرفة والمرقشان الاكبر والاصغر وبنو
حنيفة ومنهم مسيلمة الكذاب ومن اسد بنو عنزة وهم اهل خيبر
ومن عنزة القارظان ومن ربيعة النمر ولجيم والعجل وبنو عبد
القيس ومن اسد السدوس واللهازم والثالث انمار ومضى الى اليمن
فتناسل بنوه بتلك الجهات وحسبوا من العرب اليمانية ثم ولد لمضر
الياس على عمود النسب وولد له خارجا عنه قيس عيلان وعيلان
فرسه اوكلبه وقيل بل هو اخو الياس وقد جعل الله لقيس
المذكور من الكثرة امرا عظيما فمن ولده قبائل هوازن الذين كان
رسول الله صلعم فيهم رضيعا وبنو كلاب ومنهم اصحاب حلب وعقيل
ومنهم ملوك الموصل المقلد وقرواش وغيرهما وبنو عامر وصعصعة
وخفاجة وما زالت لخفاجة امرة العراق من قديم والى الآن
وبنو ربيعة وجشم وبكر وبنو هلال وثقيف وقيل ان ثقيفا
من اياد وقيل من بقايا ثمود وهم اهل الطائف وبنو نمير وباهلة ومازن
وغطفان وبنو عبس واشجع وسليم وبنو ذبيان وبنو فزارة والنابغة
وعدوان نزلوا الطائف قبل ثقيف ثم ولد لالياس مدركة على عمود
النسب وولد له خارجا عنه طابخة وبعضهم ينسب مدركة وطابخة
الى امهما خندف واسمها ليلى بنت حلوان وصار من طابخة قبائل منهم
بنو تميم والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة ثم ولد لمدركة خزيمة على
عمود النسب وله خارجا عن النسب هذيل ومنه جميع قبائل الهذليين
منهم ابن مسعود صاحب رسول الله صلعم وولد لخزيمة كنانة على
عمود النسب وخارج النسب الهون واسد ومن الهون عضل ودبش
وبقان لهما القارة ومن اسد الكاهلية ودودان وغيرهما وولد

لكنانة على عمود النسب النضر وكان له عدة اخوة لبسوا على عمود النسب وهم ملكان وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك ومن عبد مناة بنو غفار رهط ابي ذر وبنو بكر ومنه الدئل وبنو ليث وبنو الحارث وبنو مدلج وبنو ضمرة ومن عمرو العمريون ومن عامر العامريون ومن مالك بنو فراس ومن بطون كنانة الاحابيش وغلط من ظن انهم من الحبشة واما النضر فقيل انه قريش والصحيح ان قريشا هم بنو فهر الذي سنذكره وولد النضر مالك على عمود النسب ولم يشتهر له ولد غيره ثم ولد لمالك فهر على عمود النسب وهو قريش فكل من كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس قرشيا وقيل سمي قريشا لشدته تشبيها له بدابة من دواب البحر يقال لها القرش تاكل دواب البحر وتفهرهم وقيل ان قصى بن كلاب لما استولى على البيت وجمع اشتات بني فهر سموا قريشا لانه قرشهم اي جمعهم حول الحرم وعلى هذا يكون اسما لبني فهر لا لفهر نفسه وولد لفهر غالب على عمود النسب وولد له خارجا عنه ولدان وهما محارب والحارث فمن الاول بنو محارب ومن الثاني بنو الخلج ومنهم ابو عبيدة بن الجراح احد العشرة المبشرة ثم ولد لغالب لوى على عمود النسب وخارج النسب تيم الادرم وهو الناقص الذقن ثم ولد للوى ستة اولاد وهم كعب على عمود النسب واخوته الخمسة خارجون عن عمود النسب وهم سعد وخزيمة والحارث وعامر واسامة ولكل ولد ينسبون اليه خلا الحارث منهم ثم ولد لكعب مرة على عمود النسب وخارجا عنه هصيص وعدى فمن الاول بنو جمح ومنهم امية بن خلف عدو رسول الله صلعم وبنو سهم ومنهم عمرو بن العاص ومن الثاني بنو عدى ومنهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد من العشرة ثم ولد لمرة على عمود النسب كلاب وخارج النسب تيم ويقظة فمن الاول ابو بكر

الصديق

الصديق وطلحة من العشرة ومن الثانى بنو مخزوم ونسب خالد
بن الوليد وابى جهل بن هشام ثم ولد لكلاب قصى على عمود
النسب وولد له خارجا عنه زهرة ومنه بنو زهرة ونسب سعد بن ابى
وقاص احد العشرة ونسب آمنة ام رسول الله صلعم ونسب عبد
الرحمن بن عوف وكان قصى عظيما فى قريش وهو الذى ارتجع
مفاتيح الكعبة من خزاعة وهو الذى جمع قريشا واثل مجدهم ثم
ولد لقصى عبد مناف على عمود النسب والخارج عنه عبد الدار
وعبد العزى فمن الاول بنو شيبة الحجبة ومن الثانى النضر بن
الحارث وكان شديد العداوة لرسول الله صلعم وقتله رسول الله صلعم
صبرا يوم بدر ومنهم الزبير بن العوام احد العشرة وخديجة بنت
خويلد زوج النبى صلعم وورقة بن نوفل وولد لعبد مناف على عمود
النسب هاشم وخارجا عنه عبد شمس والمطلب ونوفل فمن الاول
امية ومنه بنو امية ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن ابى سفيان
وسعيد بن العاص وعتبة بن ربيعة وعقبة بن ابى معيط وقتله رسول
الله صلعم صبرا يوم بدر ومن المطلب المطلبيون ومنهم الامام
الشافعى ومن نوفل النوفليون ثم ولد لهاشم عبد المطلب على
عمود النسب ولم يعلم له ولد غيره وولد لعبد المطلب على عمود
النسب عبد الله وولد له خارجا عنه جميع اعمام رسول الله صلعم
وهم حمزة والعباس وابو طالب وابو لهب والغيداق ومنهم من
يقول هو حجل والحارث والمقوم وضرار والزبير وقثم درج صغيرا
وعبد الكعبة ومنهم من يقول ان الذى عبد الكعبة هو المقوم ثم ولد
لعبد الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عام الفيل
قال ابن الاثير فى الكامل ان الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير فلما صار
الملك الى ابرهة منهم بنى كنيسة عظيمة وقصد ان يصرف حج
العرب اليها ويبطل الكعبة الحرام فجاء شخص من العرب واحدث

فى تلك الكنيسة فغضب ابرهة لذلك وسار بجيشه ومعه الفيل وقيل كان معه ثلثة عشر فيلا ليهدم الكعبة فلما وصل الى الطائف بعث الاسود بن مقصود الى مكة فساق اموال اهلها واحضرها الى ابرهة وارسل ابرهة الى قريش وقال لهم لست اقصد الحرب بل جئت لاهدم الكعبة فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه هذا بيت الله فان منع عنه فهو بيته وحرمه وان خلا بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع ثم انطلق عبد المطلب مع رسول ابرهة اليه فلما استؤذن لعبد المطلب قالوا لابرهة هذا سيد قريش فاذن له ابرهة واكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله فى حاجته فذكر عبد المطلب اباعره التى اخذت له فقال ابرهة انى كنت اظن انك تطلب منى ان لا اخرب الكعبة التى هى دينك فقال عبد المطلب انا رب الاباعر فاطلبها والبيت رب يمنعه فامر ابرهة برد اباعره عليه فاخذها وانصرف الى قريش ولما قارب ابرهة مكة وتهيأ لدخولها بقى كلما قبل فيله مكة وكان اسم الفيل محمودا ينام ويرمى نفسه الى الارض ولم يسر فاذا قبلوه غير مكة قام يهرول وبينما هم كذلك اذ ارسل الله عليهم طيرا ابابيل امثال الخطاطيف مع كل طائر ثلثة احجار فى منقاره ورجليه فقذفتهم بها وهى مثل الحمص والعدس فلم يصب احدا منهم الا هلك وليس كلهم اصابت ثم ارسل الله تعالى سيلا فالقاهم فى البحر والذى سلم منهم ولى هاربا مع ابرهة الى اليمن يبتدر الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل واصيب ابرهة فى جسده وسقطت اعضاؤه ووصل الى صنعاء كذلك ومات ولما جرى ذلك خرجت قريش الى منازلهم وغنموا من اموالهم شيئا كثيرا ولما هلك ابرهة ملك بعده ابنه يكسوم ثم اخوه مسروق ومنه اخذت العجم اليمن انتهى الكلام وهو آخر التواريخ القديمة ولا نذكر من التواريخ الاسلامية هنا الا مولد رسول الله صلعم وذكر الهجرة النبوية لان

اهل العلم من المسلمين قد اكثروا الجمع والتاليف فيها وهى كثيرة شهيرة متيسرة لكل احد فى كل بلد من بلاد الاسلام وقد ذكرنا طرفا منها فى كتاب حجج الكرامة فى آثار القيامة ﴿ مولد رسول الله صلعم ﴾ اما ابوه فهو عبد الله وكانت ولادته قبل الفيل بخمس وعشرين سنة وكان ابوه قد بعثه يمتار له تمر بيثرب فمات بها ولرسول الله صلعم شهرين وقيل كان حملا وولد بعد مهلكه باشهر قلائل ودفن فى دار الحارث بن ابراهيم بن سراقة العدوى وهم اخوال عبد المطلب وقيل دفن بدار النابغة ببنى النجار وكان ابوه يحبه لانه كان احسن اولاده واعفهم وجميع ما خلفه عبد الله خمسة اجمال وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها ام ايمن وهى حاضنة رسول الله صلعم واما آمنة ام رسول الله صلعم فهى بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فولدت رسول الله صلعم يوم الاثنين لعشر وقيل لاثنتى عشرة ليلة خلون من ربيع الاول من عام الفيل وكان قدوم الفيل فى منتصف المحرم من تلك السنة وهى السنة الثانية والاربعون من ملك كسرى انوشيروان وهى سنة احدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الاسكندر على دارا وهى سنة الف وثلثمائة وست عشرة لبخت نصر وكفله جده عبد المطلب وكفالة الله من ورائه والتمس له الرضاعة فاسترضع فى بنى سعد من بنى هوازن ارضعته حليمة بنت ابى ذؤيب وكان اهله يتوسمون فيه علامات الخير والكرامات من الله قال البيهقى وفى اليوم السابع من ولادة رسول الله صلعم ذبح جده عبد المطلب عنه ودعا له قريشا فلما اكلوا قالوا يا عبد المطلب ارأيتك ابنك هذا الذى اكرمتنا على وجهه ما سميته قال سميته محمدا قالوا فيم رغبت به عن اسماء اهل بيته قال اردت ان يحمده الله تعالى فى السماء وخلقه فى الارض وروى ايضا بسنده المتصل بالعباس قال ولد رسول الله صلعم مختونا مسرورا قال فاعجب جده وحظى

عنده وقال ليكونن لابنى هذا شان و روى ايضا عن هانى المخزومى قال لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلعم ارتجس ايوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت بحيرة ساوة و راى الموبذان وهو قاضى الفرس فى منامه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما اصبح كسرى افزعه ذلك واجتمع بالموبذان فقص عليه ما رآى. فقال كسرى اى شئ يكون هذا فقال الموبذان وكان عالما بما يكون حدث من جهة العرب امر فكتب كسرى الى النعمان بن المنذر اما بعد فوجه الى برجل عالم بما اريد ان اساله عنه فوجه بعبد المسيح بن عمرو بن حنان الغسانى فاخبره كسرى بما كان من ارتجاس الايوان وغيره فقال له علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال كسرى فاذهب اليه وسله وأتنى بتاويل ما عنده فسار عبد المسيح حتى قدم على سطيح وقد اشفى على الموت فسلم عليه وحياه ففتح سطيح عينيه ثم قال يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وخمدت نار فارس وفاض وادى السماوة وغاضت بحيرة ساوة فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك و ملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه و قدم عبد المسيح على كسرى واخبره بقول سطيح فقال الى ان يملك منا اربعة عشر ملكا كانت امور فملك منهم عشرة فى اربع سنين وذكر فى العقد ان سطيحا كان على زمن نزار بن معد وكان من حديثه شق الملكين بطنه و استخراج العلقة السوداء من قلبه وغسلهم احشاءه وقلبه بالثلج وذلك لرابعة من مولده وكان شانه فى رضاعه وصباه و شبابه ومرباه عجبا ثم استمر على اكمل الزكاء والطهارة فى اخلاقه وكان يعرف بالامين ثم بدى بالرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق

الصبح

الصحيح * واما شرفه صلعم وشرف اهل بيته فروى البيهقي عن ابن عباس قال قال له رسول الله صلعم * والذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله * وروى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم * ان الله خلق السموات سبعا فاختار العلى منها فاسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بنى هاشم * وعن عائشة قالت قال رسول الله صلعم * قال لى جبرئيل قلبت الارض مشارقها ومغاربها فلم اجد رجلا افضل من محمد ولم اجد بنى اب افضل من بنى هاشم * وفى الباب احاديث كثيرة صحيحة شهيرة لا يسعها هذا المقام * واما نسبه صلعم فقد تقدم ذكر بنى اسمعيل الذين هم على عمود نسب رسول الله صلعم والخارجين عن عمود النسب * واما نسبه صلعم سردا فهو ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ونسبه الى عدنان متفق عليه من غير خلاف صحيح باتفاق النسابين وعدنان من ولد اسمعيل من غير خلاف ورجحه ابن سيد الناس وصححه وقال ابن خلدون باتفاق من النسابين انتهى * ولكن الخلاف فى عدة الاباء الذين بين عدنان واسمعيل عليه السلام فعد بعضهم بينهما نحو اربعين رجلا وبعضهم سبعة * قال البيهقى وكان شيخنا ابو عبدالله الحافظ يقول نسبة رسول الله صلعم صحيحة الى عدنان وما وراء عدنان فليس فيه شئ يعتمد عليه انتهى * وقال ابن خلدون ان الاباء بينه وبين اسمعيل غير معروفة وتنقلب فى غالب الامر مختلطة مختلفة بالقلة والكثرة فى

العدد فاما نسبته اليه فصحيحة فى الغالب انتهى * وفى سبائك الذهب لابى الفوز محمد امين السويدى البغدادى وقد انتسب النبى صلعم الى عدنان هذا كما روى ذلك البيهقى وابن عساكر عن انس وهو المتفق عليه بين النسابين واما النسب من عدنان الى آدم عليه السلام فقد وقع الاختلاف فيه قال الحافظ شرف الدين الدمياطى من بعد ان ساق هذا النسب هكذا ساقه ابو على محمد بن اسعد النسابة و قال هـذا اصح الطرق واحسنها واوضحها وهى رواية شيوخنا فى النسب * ثم اختلف فى كراهة رفع النسب من عـدنان الى آدم فذهب بن اسحق وابن جرير وغيرهما الى جوازه وعليه البخـارى وغيره من العلماء وذهب جمع من اهل العلم الى كراهـة ذلك و منهم مالك فانه لما سئل عن الرجل يرفع نسبه الى آدم كرهـه وقال من يخبره به وقد وردت آثار تفيد منع رفع النسب من عدنان الى آدم منها ما ورد عنه صلعم انه قال * لا تجاوزوا معد بن عدنان * وعن ابن عباس قال ان النبى صلعم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين اوثلثا وعن عمر بن الخطـاب قال انما ننتسب الى عدنان و ما فوق ذلك لا ندرى ما هو وقد تقدم الكلام فى ذلك وعضد ذلك باتفاق النسابين على بعد المـدة بين عدنان واسمعيل بحيث يستحيل فى العادة ان يكون بينهما اربعة آباء او خمسة او عشرة اذ المدة اطول من هذا كله بكثير * قال ابوالفدا وسبب هذا الاختلاف ان قدماء العرب لم يكونوا اصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من حفظ بعض وقال ابن خلدون ولعل الخلاف انما جاء من قبل اللغة لان الاسماء ترجمت من العبرانية انتهى * وقال ابن الجوزى ان اليهود اختلفوا اختلافا متفاوتا بين آدم ونوح وفيما بين الانبياء من السنين وهـذا هو سبب الاختلاف انتهى * ومواطن بنى عدنان مختصة بنجد وكلها

بادية رحالة الا قريشا بمكة ولم يشاركهم فى ذلك احد من العرب الاطبئ من كهلان ثم افترقت بنو عدنان فى تهامة الحجاز ثم فى العراق و الجزيرة ثم تفرقوا بعد الاسلام فى الاقطار * وكان له صلعم من الاولاد خمسة « القاسم » و « الطيب » و « الطاهر » و « عبدالله » و « ابراهيم » و من الاناث اربع « رقية » و « زينب » و « ام كلثوم » و « فاطمة » و اوصافه الغر صلعم اكثر من ان يحيط بها وصف ولم يبق له صلعم عقب الا من فاطمة رضى الله عنهـا وكان رسول الله صلعم يحبها حبا شديدا و كان لها ولدان الحسن و الحسين وهما ريحانتا رسول الله صلعم وسيدا شباب اهل الجنة و ولد الحسين بالمدينة لخمس خلون من شعبان لسنة اربع من الهجرة وقال صلعم * حسين منى وانا من حسين احب الله من احب الحسين * وفضائله كثيرة لا يسعها المقام وولد له « على » ويلقب بزين العابدين بالمدينة فى ايام جده على بن ابى طالب قبل وفاته بسنتين وتوفى سنة اربع وتسعين ودفن بالبقيع وله من العمر سبع وخمسون سنة ومات مسموما سمه الوليد بن عبد الملك وولد له « محمد الباقر » بالمدينة قبل قتل جده الحسين بثلث سنين وامه فاطمة بنت الحسن وله من العمر ثمانية وخمسون سنة مات بالسم فى زمن ابراهيم بن الوليد ودفن بالبقيع فى قبة العباس و ولد له « جعفر الصادق » بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر توفى فى سنة مائة وثمانية واربعين وله من العمر ثمانية وسبعون سنة قيل مات مسموما فى زمن المنصور ودفن بالبقيع وولد له « موسى الكاظم » بالابواء سنة مائة وثمانية وعشرين وامه حميدة البربرية وكانت وفاته سنة مائة وثلث وثمانين من الهجرة وله من العمر خمس وخمسون سنة ودفن بمقابر قريش وولد له « على الرضا » وتوفى بطوس قرية من قرى خراسان فى آخر صفر سنه مائتين وثلثين وله من العمر خمسة وخمسون

سنة و ولد له « محمد الجواد » بالمدينة المنورة تاسع شهر رمضان سنة تسع و تسعين و مائة و امه ام ولد و زوجه المأمون ابنته ام الفضل وسيره الى المدينة توفى ببغداد و دفن فى مقابر قريش بالقرب من جده موسى الكاظم و ولد له « على الهادى » و توفى يوم الاثنين سنة مائتين و اثنين و خمسين و دفن بسر من رآى وله من العمر اربعون سنة و اليه ينتهى نسب محرر هذه السطور و يبلغ منه الى رسول الله صلعم بالترتيب المذكور و سرده هكذا ولد لعلى الهادى جعفر الزكى على عمود النسب و ولد له على الاشقر المختار و ولد له عبد الله و ولد لعبد الله السيد محمد البغدادى و ولد له السيد محمود و ولد لمحمود السيد محمد البخارى و ولد لمحمد المذكور السيد جعفر و ولد لجعفر السيد على موبد البخارى و ولد له السيد حسين ابو عبد الله الملقب بالسيد جلال اعظم البخارى و ولد له السيد احمد الكبير و ولد له السيد ابو عبد الله حسين المعروف بمخدوم جهانيان جهان كشت المتوفى بارض ملتان من اقاليم السند المدفون بقرية اچ و ولد له السيد محمود الملقب بناصر الدين و ولد له السيد حامد الكبير و ولد له السيد ابو الفتح ركن الدين سجاد و ولد له السيد جلال الثالث البخارى و ولد له السيد راجو شهيد صاحب السجادة ببلدة قنوج و ولد له السيد جلال الرابع و ولد له السيد تاج الدين و ولد له السيد كبير و ولد له السيد على اصغر و ولد له السيد لطف الله و ولد له السيد عزيز الله و ولد له السيد لطف الله المسمى باسم جده و ولد له السيد على الملقب بنواب اولاد علیخان بهادر انور جنك المتوفى بارض حيدر آباد من بلاد دكن و ولد له و الذى « السيد العلامة حسن » المعروف بسيد اولاد حسن القنوجى المتوفى بقنوج سنة ثلث و خمسين و مائتين و الف وله من الفضائل العلمية و الفواضل العملية و الآيات و الكرامات

ما يغني شهرته عن الذكر والضبط وولد له هذا العبد « صديق بن حسن » عفا الله عنه

﴿ ذكر تجديد قريش عمارة الكعبة وماكان من اجتماع ﴾
﴿ العرب على الاسلام بعد الاباية والحرب ﴾

قيل لما مات اسمعيل ولي البيت بعده ابنه نابت ثم صارت ولاية البيت الى جرهم ثم الى خزاعة ثم الى قريش وكانت الكعبة قصيرة البناء فارادت قريش رفعها فهدموها ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الحجر الاسود فاختصموا فيه لان كل قبيلة ارادت ان ترفعه الى موضعه ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل من باب الحرم فكان رسول الله صلعم اول داخل فحكموه فامرهم ان يضعوا الحجر في ثوب وان يمسك كل قبيلة بطرف من اطرافه وان يرفعوه الى موضعه ففعلوا ذلك واخذه رسول الله صلعم عند وصوله الى موضعه فوضعه بيده الكريمة موضعه ثم اتموا بناء الكعبة وكانت تكسى القباطي ثم كسيت البرود واول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف وكان عمر النبي صلعم حين رضيت قريش بحكمه خمسا وثلثين سنة قبل مبعثه بخمس سنين ولما استقر امر قريش بمكة على ما استقر وافترقت قبائل مضر في ادنى مدن الشام والعراق وما دونهما من الحجاز فكانوا ظعونا واحياء وكان جميعهم بمسغبة وفي جهد من العيش بحرب بلادهم وحرب فارس والروم على تلول العراق والشام واربابهما ينزلون حاميتهم بثغورها ويجهزون كتائبهم بتخومها ويولون على العرب من رجالاتهم وبيوت العصائب منهم من يسومهم القهر ويحملهم على الانقياد حتى يؤتوا جباية السلطان الاعظم واتاوة ملك العرب ويؤدوا ما عليهم من الدماء والطوائل من يسترهن ابناءهم

على السلم وكف العادية ومن انتجاع الارباب وميرة الاقوات والعساكر من وراء ذلك توقع بمن منع الخراج وتستاصل من يروم الفساد وكان امر مضر راجعا فى ذلك الى ملوك كندة بنى حجر آكل المرار منذ ولاه عليهم تبع حسان ولم يكن فى العرب ملك الا فى آل المنذر بالحيرة للفرس وفى آل جفنة بالشام للروم وفى بنى حجر هؤلاء على مضر والحجاز وكانت قبائل مضر مع ذلك بل وسائر العرب اهل بغى والحاد وقطع ارحام وتنافس فى الردى واعراض عن ذكر الله فكانت عبادتهم الاوثان والحجارة واكلهم العقارب والخنافس والحيات والجعلان واشرف طعامهم اوبار الابل اذا امروها فى الحرارة فى الدم واعظم عزهم وفادة على آل المنذر وآل جفنه وبنى جعفر ونجعة من ملوكهم وانما كان تنافسهم الموءودة والسائبة والوصيلة والحامى فلما تأذن الله بظهورهم واشرأبت الى الشرف هوادى ايامهم وتم امر الله فى اعلاء امرهم وهبت ريح دولتهم وملة الله فيهم تبدت تباشير الصباح من امرهم واونس الخير والرشد فى خلالهم وابدل الله بالطيب الخبيث من احوالهم وشرهم واستبدلوا بالذل عزا وبالمآثم متابا وبالشر خيرا وبالضلالة هدى وبالمسغبة شبعا وريا وايالة وملكا واذا اراد الله امرا يسر اسبابه فكان لهم من العز والظهور قبل المبعث ما كان وتنافست العرب فى الخلال وتنازعوا فى المجد والشرف حسب ما هو مذكور فى ايامهم واخبارهم وكان حظ قريش من ذلك اوفر على نسبة حظهم من مبعثه وعلى ما كانوا ينتحلونه من هدى آبائهم ثم القى الله فى قلوبهم التماس الدين وانكار ما عليه قومهم من عبادة الاوثان حتى تلاوموا فى عبادة الاحجار والاوثان وتواصوا بالنفر فى البلدان بالتماس الحنيفية دين ابراهيم نبيهم ثم تحدث الكهان والحزاة قبل النبوة وانها كائنة فى العرب وان ملكهم سيظهر وتحدث اهل الكتاب بما فى التوراة والانجيل من بعث محمد وامته

وظهرت

وظهرت كرامة الله بقريش ومكة فى اصحاب الفيل ارهاصا بين يدى مبعثه ثم ذهب ملك الحبشة من اليمن على يد ابن ذى يزن ثم رجمت الشياطين عن استماع خبر السماء فى امره واصغى الكون لاستماع انبائه

﴿ ذكر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

لما بلغ صلعم اربعين سنة بعثه الله الى الاسود والاحمر رسولا ناسخا بشريعته الشرائع الماضية والاديان الخالية فكان اول ما ابتدى به من النبوة الرؤيا الصادقة وحبب الله اليه الخلوة وكان يجاور فى جبل حراء من كل سنة شهرا فلما كانت سنة مبعثه خرج الى حراء فى رمضان للمجاورة فيه ومعه اهله حتى اذا كانت الليلة التى اكرمه الله سبحانه وتعالى فيها جاء جبريل عليه السلام فقال له اقرأ قال له ما انا بقارى ثم قال له جبريل ثانيا وثالثا اقرأ قال فما اقرأ قال * اقرأ باسم ربك الذى خلق * الى قوله * علم الانسان ما لم يعلم * فقرأها وقال ورقة بن نوفل لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى بن عمران وانه نبى هذه الامة ثم تواتر الوحى اليه اولا فاولا * وكان اول الناس من النساء اسلاما خديجة ومن الرجال ابو بكر ومن الصغار على بن ابى طالب ومن الموالى زيد بن حارثة وكانت دعوة رسول الله صلعم الى الاسلام سرا ثلث سنين ثم امره الله باظهار الدعوة حتى اسلم عمر بن الخطاب وكان ما كان * ولله الامر من قبل ومن بعد وكان امر الله قدرا مقدورا * يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد * وكتب السنة المطهرة ودواوين الاسلام وتواريخه كابى الفدا وابن خلدون والخميس تغنى عن بيان احواله صلعم لانها اشتملت على جميع ما كان من مولده الى وفاته صلعم وليس هذا موضع تفاصيلها

﴿ ذكر تاريخ الهجرة النبوية ﴾

وهى ابتداء التاريخ الاسلامى اما لفظ التاريخ فانه محدث فى لغة العرب لانه معرب من ماه و روز كما تقدم و بذلك جاءت الرواية روى ابن سليمان عن ميمون بن مهران انه رفع الى عمر بن الخطاب فى خلافته رضى الله عنه صك محله شعبان فقال اى شعبان اهذا هو الذى نحن فيه ام الذى هو آت ثم جمع وجوه الصحابة وقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما نضبط به ذلك فقالوا يجب ان يعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استحضر عمر الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حسابا نسميه ماه روز ومعناه حساب الشهور والايام فعربوا الكلمة فقالوا مؤرخ ثم جعلوا اسمه التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه اولا لتاريخ دولة الاسلام واتفقوا على ان يكون المبدأ سنة هذه الهجرة وكانت الهجرة من مكة الى المدينة شرفهما الله تعالى و قد تصرم من شهور هذه السنة وايامها المحرم وصفر وثمانية ايام من ربيع الاول فلما عزموا على تاسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوما وجعلوا مبدأ التاريخ اول المحرم من هذه السنة ثم احصوا من اول يوم فى المحرم الى آخر يوم من عمر النبى صلعم فكان عشر سنين و شهرين واما اذا حسب عمره من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش بعدها تسع سنين واحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما

﴿ التواريخ القديمة ﴾

المشهورة من السنين بين الهجرة وبين آدم على مقتضى التوراة اليونانية واختيار المؤرخين ستة آلاف و مائتان وست عشرة سنة وعلى مقتضى التوراة اليونانية واختيار المنجمين حسب ما اثبتوا فى

الزيجات خمسة آلاف وتسعمائة وسبع وستون سنة وعلى مقتضى التوراة العبرانية واختيار المؤرخين اربعة آلاف وسبعمائة واحدى واربعون سنة واما على اختيار المنجمين ينقص عنه مائتان وتسع واربعون سنة وعلى مقتضى التوراة السامرية واختيار المؤرخين خمسة آلاف ومائة وسبع وثلثون سنة واما على اختيار المنجمين فينقص ما ذكر وكذلك جاء الامر فى جميع التواريخ التى قبل بخت نصر فبين الهجرة وبين الطوفان على اختيار المنجمين ثلثة آلاف وتسعمائة واربع وسبعون سنة وكان الطوفان لستمائة سنة مضت من عمر نوح وعاش نوح بعده ثلثمائة وخمسين سنة وعلى اختيار المنجمين ثلثة آلاف وسبعمائة وخمس وعشرون سنة حسب ما قرره ابو معشر وكوشيار وغيرهما فى الزيجات والتقاويم وبين الهجرة وتبلبل الالسن على اختيار المؤرخين ثلثة آلاف وثلثمائة واربع سنين واما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعا واربعين سنة حسب ما تقدم ذكره وبين الهجرة وبين مولد ابراهيم الخليل على اختيار المؤرخين الفان وثمانمائة وثلث وتسعون سنة واما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعا واربعين سنة وبين الهجرة وبين بناء الكعبة على يد ابراهيم الخليل وولده اسمعيل الفان وسبعمائة ونحو ثلث وتسعين سنة وكان ذلك بعد مضى مائة سنة من عمر ابراهيم وهو القريب والله اعلم * وبين الهجرة وبين وفاة موسى على اختيار المؤرخين الفان وثلثمائة وثمان واربعون سنة واما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعا واربعين سنة وبين الهجرة وبين عمارة بيت المقدس على اختيار المؤرخين الف وثمانمائة وقريب سنتين وكان فراغه لمضى احدى عشرة سنة من ملك سليمان ولمضى خمسمائة وست واربعين سنة لوفاة موسى واما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعا واربعين سنة وبين الهجرة وبين ابتداء ملك بخت نصر الف وثلثمائة

وتسع وستون سنة وليس فيه خلاف وبين الهجرة وبين خراب بيت المقدس الف وثلثمائة وخمسون سنة وكان لمضى تسع عشرة سنة لبخت نصر واستمر خرابا سبعين سنة ثم عمر وبين الهجرة وبين غلبة الاسكندر على دارا ملك الفرس تسعمائة واربع وثلثون سنة وكانت ايضا ابتداء ملكه على الفرس وبقى الاسكندر بعد غلبته على دارا نحو سبع سنين وبين الهجرة وبين فيلبس تسعمائة وسبع وعشرون سنة وهو اخو الاسكندر اصغر منه باثنتى عشرة سنة وملك بعده على مقدونية كما ذكره بطليموس وبين الهجرة وبين غلبة اغسطس على قلوبطرا ملكة مصر ستمائة واثنان وخمسون سنة وكانت بسنة اثنتى عشرة من ملك اغسطس وبين الهجرة وبين مولد المسيح عليه السلام ستمائة واحدى وثلثون سنة وكانت بسنة اربع وثلثمائة لغلبة الاسكندر ولاحدى وعشرين سنة مضت من غلبة اغسطس على قلوبطرا وبين الهجرة وبين الخراب الثانى لبيت المقدس خمسمائة وثمان وخمسون سنة وكان لمضى اربعين سنة من رفع المسيح عليه السلام وهو تاريخ لسنة اليهود الى الآن وبين الهجرة وبين اول ملك ادريانس خمسمائة وسبع سنين وبين الهجرة وبين قيام ازدشير بن بابك اربعمائة واثنان وعشرون سنة وهو ايضا تاريخ انقراض ملوك الطوائف وبين الهجرة وبين اول ملك دوقلطيانس ثلثمائة وتسع وثلثون سنة وهو آخر عبدة الاصنام من ملوك الروم وبين الهجرة وبين مولد رسول الله صلعم ثلث وخمسون سنة وشهران وثمانية ايام وبين الهجرة وبين مبعث رسول الله صلعم ثلث عشرة سنة وشهران وثمانية ايام وبين الهجرة وبين وفاة رسول الله صلعم تسع سنين واحد عشر شهرا واثنان وعشرون يوما وهى بعد الهجرة وقد وضع

ابو

ابو الفدا فى المختصر زائجة تتضمن ما بين الهجرة وبين التواريخ القديمة المشهورة من السنين وذكر ما ذكرنا هنا والله اعلم

﴿ ذكر اختلاف التواريخ القديمة ﴾

ينبغى لمتأمل التواريخ القديمة ان يعلم ان الاختلاف فيها بين المؤرخين كثير جدا * قال ابن الاثير فى ذكر ولادة المسيح عليه السلام ان ولادته كانت بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر عند المجوس * واما عند النصارى فكانت ولادته بعد ثلثمائة وثلث سنين من غلبة الاسكندر وهذا تفاوت فاحش وكذلك عند ابى معشر وكوشيار وغيرهما من المنجمين ان بين الطوفان وبين الهجرة ثلثة آلاف وسبعمائة وخمسا وعشرين سنة وهو الثابت فى الزيجات مثل الزيج المأمونى وغيره * واما المحققون من المؤرخين فيقولون ان بين الطوفان وبين الهجرة ثلثة آلاف وتسعمائة واربعا وسبعين سنة فيكون التفاوت بينهما مائتين وتسعا واربعين سنة * وسبب هذا الاختلاف ان من هبوط آدم الى وفاة موسى لا يعلم الا من التوراة والتوراة مختلفة على ثلث نسخ كما سنقف على ذلك ان شاء الله تعالى * واما ما بين وفاة موسى الى ابتداء ملك بخت نصر فيعلم من المنجمين قال ابو عيسى ويعلم من قرانات زحل والمشترى فى المثلثات وهم ايضا مختلفون فى ذلك ويعلم ايضا من سفر قضاة بنى اسرائيل وهو ايضا غير محصل * واما ما يؤخذ عن المؤرخين قبل الاسلام فهو ايضا مضطرب لانهم كانوا يؤرخون من ابتداء ملك كل من يملك منهم فكثرت ابتداآت تواريخهم * قال حمزة الاصفهانى وفسدت تواريخهم بسبب ذلك فسادا لا مطمع فى اصلاحه مع ما انضم الى ذلك من بعد العهد وتغير

اللغات كتقدم الكتب المؤلفة في هذا الفن فصار تحقيق التواريخ القديمة بسبب ذلك متعذرا او في غاية التعسر

﴿ ذكر نسخ التوراة التي عليها مدار التواريخ القديمة ﴾

وهي ثلث «الاولى السامرية» وهي تنبئ ان من هبوط آدم الى الطوفان الفا وثلثمائة وسبع سنين وكان الطوفان ستمائة سنة خلت من عمر نوح وعاش آدم تسعمائة وثلثين سنة باتفاق فيكون نوح على حكم هذه التوراة قد ادرك من عمر آدم فوق مائتي سنة فنوح قد ادرك جميع آبائه الى آدم وهذا غاية المنكر وتنبئ هذه النسخة ان من انقضاء الطوفان الى ولادة ابراهيم الخليل عليه السلام تسعمائة وسبعا وثلثين سنة وان من ولادة ابراهيم الى وفاة موسى خمسمائة وخمسا واربعين سنة فمن آدم الى وفاة موسى حينئذ الفان وسبعمائة وتسع وثمانون سنة واما ما بين وفاة موسى وبين الهجرة ففيه مذهبان احدهما اختيار المؤرخين والآخر اختيار المنجمين فاذا ضممنا الى ذلك ما بين وفاة موسى والهجرة كان بين هبوط آدم وبين الهجرة على حكم اختيار المؤرخين وحكم توراة السمرة خمسة آلاف ومائة وسبع وثلثون سنة واما على اختيار المنجمين فتنقص عن هذه الجملة مائتين وتسعا واربعين سنة فقد ظهر لك فساد هذه التوراة من كونها تقتضي ادراك نوح آدم وعيشه معه المدة الطويلة «الثانية العبرانية» وهي ايضا فاسدة وذلك انها تنبئ ان ما بين هبوط آدم وبين الطوفان الف وخمسمائة وست وخمسون سنة وبين الطوفان وبين ولادة ابراهيم مائتان واثنتان وتسعون سنة وعاش نوح بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة باتفاق فالتوراة العبرانية تنبئ ان نوحا ادرك من عمر ابراهيم الخليل ثمانيا

وخمسين

وخمسين سنة وهذا ايضا غاية المنكر فان نوحا لم يدرك ابراهيم اصلا ولا يجوز ذلك لان قوم هود امة نجمت بعد قوم نوح وامة صالح نجمت بعد امة هود وابراهيم وامته بعد امة صالح ومما يدل على ذلك قوله تعالى مخبرا عن هود فيما يعظ به قومه وهم قوم عاد * واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة * وكذلك اخبر الله تعالى عن صالح فيما يعظ به قومه وهم ثمود * واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا * فقد ظهر فساد هذه التوراة العبرانية بذلك وهى التوراة التى بيد اليهود الى زماننا هذا وعليها اعتمادهم * ولنستوف ماتنبئ به من جملة سنى العالم قد تقدم انها تنبئ ان بين هبوط آدم وبين الطوفان الفا وخمسمائة وستا وخمسين سنة وبين الطوفان وبين ولادة ابراهيم مائتين واثنين وتسعين سنة وبين ولادة ابراهيم وبين وفاة موسى خمسمائة وخمسا واربعين سنة باتفاق ومابين وفاة موسى وبين الهجرة فيه المذهبان المذكوران فعلى اختيار المؤرخين ومقتضى العبرانية يكون بين آدم وبين الهجرة اربعة آلاف وسبعمائة واحدى واربعون سنة واما على اختيار المنجمين فتنقص من هذه الجملة مائتين وتسعا واربعين سنة فيكون من آدم الى الهجرة على ذلك اربعة آلاف واربع مائة واثنان وتسعون سنة وجملة سنى هذه التوراة تنقص عن التوراة اليونانية وهى التى عليها العمل الفا واربعمائة وخمسا وسبعين سنة وهذه الجملة هى القدر الذى نقصه اليهود من الماضى من سنى العالم فنقصوا من قبل الطوفان ستمائة وستا وثمانين سنة ومن بعد الطوفان سبعمائة وتسعا وثمانين سنة الجملة الف واربعمائة وخمس وسبعون سنة وصورة ما اعتمده اليهود فى ذلك انهم نقلوا من عمر كل واحد من آدم وبنيه مائة سنة من

قبل ميلاد ابنه الى بعد الميلاد فلم تتغير جملة عمر ذلك الشخص ونقصت
مدة الزمان فان آدم لما صار له مائتان وثلثون سنة ولد له شيث وعاش
آدم تسعمائة وثلثين سنة باتفاق فاخذ اليهود مائة سنة من عمر آدم
قبل ان يولد له شيث جعلوها بعد مولد شيث فلم تتغير جملة عمر آدم
وجعلوه انه ولد شيث لمضى مائة وثلثين سنة من عمره وكذلك اعتمدوا
فى كل من بعده فنقص من سنى العالم القدر المذكور قالوا والذى دعا
اليهود الى ذلك ان التوراة وغيرها من كتب بنى اسرائيل بشرت
بالمسيح وانه يجئ فى اواخر الزمان وكان مجئ المسيح فى الالف
السادس فى توسط الزمان لا فى آخره بناء على ان عمر الزمان جميعه
سبعة آلاف سنة « والثالثة التوراة اليونانية » وهى التى اختارها
المحققون من المؤرخين وليس فيها ما يقتضى الانكار من جهة الماضى
من عمر الزمان وهى توراة نقلها اثنان وسبعون حبرا قبل ولادة
المسيح بقريب ثلثمائة سنة لبطليموس اليونانى الذى كان بعد الاسكندر
ولذلك اعتمدنا على هذه التوراة دون غيرها والذى تنبئ به هذه التوراة
ان ما بين هبوط آدم والطوفان الفان ومائتان واثنتان واربعون سنة
وما بين الطوفان وكان ستمائة سنة مضت من عمر نوح وبين مولد
ابراهيم الخليل الف واحدى وثمانون سنة وبين مولد ابراهيم
ووفاة موسى خمسمائة وخمس واربعون سنة باتفاق فى نسخ التوراة
جميعها وبين وفاة موسى وبين ابتداء ملك بخت نصر فيه خلاف بين
المنجمين والمؤرخين والذى اختاره المؤرخون ان بين وفاة موسى وبين
ابتداء ملك بخت نصر تسعمائة وثمانيا وسبعين سنة ومائتين وثمانية
واربعين يوما واما ما بين ابتداء ملك بخت نصر وبين الهجرة فهو الف
وثلثمائة وتسع وستون سنة ومائة وسبعة عشر يوما وليس فيه خلاف
لان بطليموس اثبته فى المجسطى وارخ به رصده فيكون بين الهجرة
وبين هبوط آدم ستة آلاف سنة ومائتان وست عشرة سنة وهذا

القدر هو المختار وعليه بنى ابو الفدا كتابه « المختصر في احوال البشر » واما الذى اختاره المنجمون واثبتوه فى الزيجات من المدة بين وفاة موسى وبين بخت نصر فانها تنقص عما ذكرناه مائتين وتسعا واربعين سنة واقترح ابو الفدا جدولا يتضمن ما بين التواريخ المشهورة من المدد و قال ينبغى ان تعلم ان المحققين من المنجمين والمؤرخين قد اختلفوا فى المدة التى بين وفاة موسى وابتداء ملك بخت نصر اختلافا كثيرا فذهب ابو عيسى و المحققون من المؤرخين الى ان بينهما تسعمائة وثمانيا وسبعين سنة ومائتين وثمانية واربعين يوما وهو الذى اخترناه واثبتناه فى جدولنا و جعلنا الايام المذكورة على سبيل الجبر سنة فصار المثبوت فى الجدول تسعمائة وتسعا وسبعين سنة و اما ابو معشر و كوشيار وغيرهما من كبار المنجمين فانهم اثبتوا فى الزيجات ان بين وفاة موسى وابتداء ملك بخت نصر سبعمائة وعشرين سنة وذلك ينقص عما اختاره ابو عيسى وغيره من المحققين مائتين وتسعا واربعين سنة واذا نقص ما بين وفاة موسى وبخت نصر المدة المذكورة نقص ما بين الطوفان والهجرة قطعا فلذلك تجد فى الزيج المأمونى وغيره من الزيجات ان بين الطوفان و بين الهجرة ثلثة آلاف وسبعمائة وخمسا و عشرين سنة وتجد مابين الطوفان وبين الهجرة فى جدولنا هذا ثلثة آلاف وتسعمائة و اربعا و سبعين سنة فيكون ما فى الجدول ازيد عما فى الزيجات بمائتين وتسع واربعين سنة و اما بمقتضى سفر قضاة بنى اسرائيل وسفر ملوكهم اذا جمعنا مدد ولايتهم فان بين وفاة موسى وبين ملك بخت نصر بمقتضى ذلك اثنين وخمسين وتسع مائة سنة و اما من بخت نصر الى الهجرة فلم يختلف فيه لان بطليموس اثبته فى المجسطى واما تاريخ فيلبس فهو مشهور كما تقدم فيما سبق وقد ارخ به بطليموس فى المجسطى غالب ارصاده ولكنا تركناه للاختصار لقربه من تاريخ الاسكندر

لانه متقدم على تاريخ الاسكندر باثنتى عشرة سنة فاذا زدت على تاريخ الاسكندر اثنتى عشرة سنة خرج فيلبس واما ازدشير بن بابك فبين ملكه وبين الاسكندر خمسمائة واثنتا عشرة سنة تقريبا وبينه وبين الهجرة اربعمائة واثنتان وعشرون سنة انتهى كلامه * وهذا غاية الجمع والبيان فى احوال التواريخ القديمة للزمان من هبوط آدم عليه السلام الى الهجرة النبوية ولعلك لا تجد اكثر منه واوضح مجموعا فى كتاب بسيط وسفر وسيط ومرقوم محيط وان وجدت شيئا من ذلك بعد جهد بالغ وجدت ماذكرناه فى صحف جمة لا فى مقالة صغيرة فخذه وكن من الشاكرين

﴿ ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

اذا احطت علما بما ذكرنا من تاريخ الهجرة واختلاف التواريخ المتقدمة فاعلم انه لما قدم رسول الله صلعم من حجة الوداع اقام بالمدينة حتى مضت سنة عشر والمحرم من سنة احدى عشرة ومعظم صفر وابتدأ برسول الله صلعم مرضه فى اواخر صفر قبل لليلتين بقيتا منه وهو فى بيت زينب بنت جحش وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه وهو فى بيت ميمونة بنت الحارث فجمع نساءه واستأذنهن فى ان يمرض فى بيت احداهن فاذن له ان يمرض فى بيت عايشة فانتقل اليها وفى اثناء مرضه خرج بين الفضل بن العباس وعلى بن ابى طالب حتى جلس على المنبر فحمد الله ثم قال * ايها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منى ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه ومن اخذت له مالا فهذا مالى فلياخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلى فانها ليست من شانى * ثم نزل وصلى الظهر ثم رجع الى المنبر فعاد الى مقامه

فادعى عليه رجل ثلثة دراهم فاعطاه عوضها ثم قال * الا ان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة * ثم صلى على اصحاب احد واستغفر لهم ثم قال * ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده * فبكى ابو بكر ثم قال فديناك بانفسنا ثم اوصى بالانصار وكان فى ايام مرضه يصلى بالناس وانما انقطع ثلثة ايام فلما اذن بالصلوة اول ما انقطع قال مروا ابا بكر فليصل بالناس وتزايد به مرضه حتى توفى يوم الاثنين ضحوة النهار وقيل نصف النهار لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فعلى هذه الرواية يكون يوم وفاته موافقا ليوم مولده ولما مات ارتد اكثر العرب الا اهل المدينة ومكة والطائف فانه لم يدخلها ردة وقيل دفن يوم الثلثاء ثانى يوم موته وقيل ليلة الاربعاء وهو الاصح وقيل بقى ثلثا لم يدفن وكان الذى تولى غسله على بن ابى طالب والعباس والفضل وقثم ابنا العباس واسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلعم فكان العباس وابناه يقلبونه واسامة وشقران يصبان الماء وعلى يغسله وعليه قميصه وهو يقول بابى انت وامى طبت حيا وميتا ولم يرمنه مايرى من ميت وكفن صلعم فى ثلثة اثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة ادرج فيها ادراجا وصلوا عليه ودفنوه تحت فراشه الذى مات عليه وحفر له ابو طلحة الانصارى ونزل فى قبره على والفضل وقثم واختلف فى مدة عمره صلعم فالمشهور انه ثلث وستون سنة وقيل خمس وستون سنة وقيل ستون سنة والمختار انه بعث لاربعين سنة واقام بمكة يدعو الى الاسلام ثلث عشرة سنة وكسرا واقام بالمدينة بعد الهجرة قريب عشر سنين فذلك ثلث وستون سنة وكسور وقد رثاه جمع من الصحابة والصحابيات بمراث كثيرة * وكان بين كتفيه خاتم النبوة وهو بضعة ناشزة حولها شعر مثل بيضة الحمامة تشبه جسده وقيل كان لونه احمر قال

ابو هريرة خرج رسول الله صلعم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وكان يأتى على آل محمد الشهر والشهران لاتوقد فى بيت من بيوته نار وكان قوتهم التمر والماء وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع قيل كانت غزواته تسع عشرة وقيل ستا وعشرين وقيل سبعا وعشرين غزوة وآخر غزواته غزوة تبوك ووقع القتال منها فى تسع وهى « بدر » و « احد » و « الخندق » و « قريظة » و « المصطلق » و « خيبر » و « الفتح » و « حنين » و « الطائف » وباقى الغزوات لم يجر فيها قتال واما السرايا والبعوث فقيل خمس وثلثون وقيل ثمان واربعون ودواوين الاسلام وكتب السنة المطهرة قد اشتملت على تفاصيل احواله صلعم وماجرياته بما هو معروف عند علماء هذا الشان وليس هذا موضع ذكرها واوصافه اجل من ان تحصر او تحيطه الدفاتر صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

﴿ ذكر طرف من هيأة الافلاك ﴾

اعلم ان الكواكب اجسام كريات والذى ادرك منها الحكماء بالرصد الف كوكب وتسعة وعشرين كوكبا وهى على قسمين سيارة وثابتة فالسيارة سبعة وهى « زحل » و « المشترى » و « المريخ » و « الشمس » و « الزهرة » و « عطارد » و « القمر » وقد نظمها المقريزى فى بيت واحد وهو

* زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت بعطارد الاقمار *

ويقال لهذه السبعة الخنس وقيل انها التى عناها الله تعالى بقوله * فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس * والتى عناها الله بقوله * فالمدبرات امرا * وقيل لها الخنس لاستقامتها فى سيرها ورجوعها وقيل

لها الكنس لانها تجرى فى البروج ثم تكنس اى تستتر كما يكنس الظبي وقيل الكنس والخنس منها خمسة وهى ما سوى الشمس والقمر سميت بذلك من الانخناس وهو الانقباض وفى الحديث * الشيطان يوسوس للعبد فاذا ذكر الله خنس * اى انقبض ورجع فيكون الخنس على هذا فى الكواكب بمعنى الرجوع وسميت بالكنس من قولهم كنس الظبي اذا دخل الكناس وهو مقره فالكنس على هذا فى الكواكب بمعنى اختفائها تحت ضوء الشمس ويقال لهذه الكواكب المتحيرة لانها ترجع احيانا عن سمت مسيرها بالحركة الشرقية وتتبع الغربية فى رأى العين فيكون هذا الارتداد لها شبه التحير وهذه الاسماء التى لهذه الكواكب يقال انها مشتقة من صفاتها «فزحل» مشتق من زحل فلان اذا اعيا سمى بذلك لبطء سيره ويقال انه المراد فى قوله تعالى * والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب * و«المشترى» سمى بذلك لحسنه كانه اشترى الحسن لنفسه وقيل لانه نجم الشراء والبيع ودليل الربح والمال فى قولهم و«المريخ» مأخوذ من المرخ وهو شجر يحتك بعض اغصانه ببعض فيورى نارا سمى بذلك لاحمراره وقيل المريخ سهم لاريش له اذا رمى به لا يستوى فى ممره وكذا المريخ فيه التواء كثير فى سيره ودلالته بزعمهم تشبه ذلك و«الشمس» لما كانت واسطة بين ثلثة كواكب علوية لانهم من فوقها وثلثة سفلية لانهم من تحتها سميت بذلك لان الواسطة التى فى المخنقة تسمى شمسة و«الزهرة» من الزاهر وهو الابيض النير من كل شئ و«عطارد» وهو النافذ فى كل الامور ولذلك يقال له ايضا الكاتب فانه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب و«القمر» مأخوذ من القمرة وهى البياض والاقمر الابيض ويقال لزحل كيوان وللمشترى تير والبرجيس ايضا وللمريخ بهرام وللشمس مهر وللزهرة اناهيذ وسدحت ايضا

وناهيذ ايضا ولعطارد هرمس وللقمر ماه وقد جمعهـا المقريزى فى ثانى هذين البيتين

* لا زلت تبقى وترقى للعلى ابدا * ما دام للسبعة الافلاك احكام *
* مهر وماه وكيوان وتير معا * وهرمس واناهيـذ وبهرام *

ويقال لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة سميت بذلك اثباتها فى الفلك بموضع واحد وقيل ابطء حركتها فانها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ست وثلثين الف سنة شمسـية مرة واحدة ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الافلاك يخصه والافلاك اجسام كريات مشفات بعضها فى جوف بعض وهى تسعة اقربها الينـا فلك القمر وبعده فلك عطـارد ثم بعده فلك الزهرة وبعده فلك الشمس وفوقه فلك المريخ ثم فلك المشترى وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى فى السماء سوى السبعة السيـارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع ويسمى الاطلس وفلك الافلاك وفلك الكل * وقد اختلف فى الافلاك فقيل هى السموات وقيل بل السموات غيرها وقيل بل هى كرية وقيل غير ذلك وقيل الفلك الثامن هو الكرسى والفلك التاسع هو العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالدولاب ويدور فى كل اربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة ودورانه يكون ابدا من المشرق الى المغرب ويدور بدورانه جميع الافلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دورانا حركته قسرية لادارة التاسـع لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليل والنهار فالنهار مدة بقاء الشمس فوق افق الارض والليـل مدة غيبوبة الشمس تحت افق الارض وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثنى عشر قسما كحجم البطيخة كل قسم منها يقـال له برج وهى «الحمل» و«الثور» و«الجوزاء»

و « السرطان » و « الاسد » و « السنبلة » و « الميزان » و « العقرب » و « القوس » و « الجدى » و « الدلو » و « الحوت » وكل برج من هذه البروج الاثنى عشر ينقسم ثلثين قسما يقال لكل قسم منهـا درجة وكل درجة من هذه الثلثين مقسومة ستين قسما يقـال لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه الستين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا الى الثوالث و الروابع و الخوامس الى الثوانى عشر وما فوقها من الاجزاء وكل ثلثة بروج تسمى فصلا فالزمان على ذلك اربعـة فصول وهى « الربيع » و « الصيف » و « الخريف » و « الشتاء » و جهات الاقطار اربعة « الشرق » و « الغرب » و « الشمال » و « الجنوب » و الاركان اربعة « النار » و « الهواء » و « الماء » و « التراب » والطبـائع اربعة « الحرارة » و « البرودة » و « الرطوبة » و « اليبوسة » والاخلاط اربعة « الصفراء » و « السوداء » و « البلغم » و « الدم » و الرياح اربعة « الصبا » و « الدبور » و « الشمال » و « الجنوب » فالبروج منها ثلثة ربيعية صاعدة فى الشمال زائدة النهار على الليـل وهى « الحمل » و « الثور » و « الجوزاء » و ثلثـة صيفية هابطة فى الشمال آخذة الليل من النهار وهى « السرطان » و « الاسد » و « السنبلة » و ثلثة خريفية هابطة فى الجنوب زائدة الليل على النهار وهى « الميزان » و « العقرب » و « القوس » و ثلثـة شتوية صاعدة فى الجنوب آخذة النهار من الليل وهى « الجدى » و « الدلو » و « الحوت » والفلك المحيـط كما تقـدم يدور ابدا من المشرق الى المغرب فوق الارض و من المغرب الى المشرق تحتهـا فيكون دائما نصف الفلك وهو سـتة بروج بمائة وثمانين درجة فوق الارض و نصفه الآخر وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة تحت الارض وكلما طلعت من افق المشرق درجة من درجات الفلك التى عدتها ثلثمائة وستون درجة غرب نظيرها فى افق المغرب من البرج السابع فلا يزال دائما سـتة

بروج طلوعها بالنهار وستة بروج طلوعها بالليل والافق عبارة
عن الحد الفاصل من الارض بين المرئى والخفى من السماء والفلك
يدور على قطبين شمالى وجنوبى كما يدور الحق على قطبى المخروطة
ويقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين متساويين بعدهما
من كلا القطبين سواء وتسمى هذه الدائرة دائرة معدل النهار فهى
تقاطع فلك البروج ودائرة فلك البروج تقاطع دائرة معدل النهار وتميل
نصفها الى الجانب الشمالى بقدر اربع وعشرين درجة تقريبا وهذا
النصف فيه قسمة البروج الستة الشمالية وهى من اول الحمل الى آخر
السنبلة ويميل نصفها الثانى عنها الى الجنوب بمثل ذلك وفيه قسمة
البروج الستة الجنوبية وهى من اول برج الميزان الى آخر برج الحوت
وموضع تقاطع هاتين الدائرتين اعنى دائرة معدل النهار ودائرة فلك
البروج من الجانبين هما نقطتا الاعتدالين اعنى رأس الحمل ورأس
الميزان ومدار الشمس والقمر وسائر النجوم على محاذاة دائرة فلك
البروج دون دائرة معدل النهار وتمر الشمس على دائرة معدل النهار
عند حلولها بنقطتى الاعتدالين فقط لانها موضع تقاطع الدائرتين
وهذا هو خط الاستواء الذى لا يختلف فيه الزمان بزيادة الليل على
النهار ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه الى كلا الجانبين
الشمالى والجنوبى سواء فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثنى عشر برجا
فى مدة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم بالتقريب وهذه هى
مدة السنة الشمسية وتقيم فى كل برج ثلاثين يوما وكسرا من يوم
وتكون ابدا بالنهار ظاهرة فوق الارض وبالليل بخلاف ذلك واذا
حلت فى البروج الستة الشمالية التى هى «الحمل» و«الثور»
و«الجوزاء» و«السرطان» و«الاسد» و«السنبلة» فانها تكون
مرتفعة فى الهواء قريبة من سمت رؤوسنا وذلك من فصل الربيع
وفصل الصيف واذا حلت فى البروج الجنوبية وهى «الميزان»

و « العقرب » و « القوس » و « الجدى » و « الدلو » و « الحوت » كان فصل الخريف و فصل الشتاء وانحطت الشمس و بعدت عن سمت الرؤوس وزعم وهب بن منبه ان اول ما خلق الله تعالى من الازمنة الاربعة الشتاء فجعله باردا رطبا وخلق الربيع فجعله حارا رطبا وخلق الصيف فجعله حارا يابسا وخلق الخريف فجعله باردا يابسا * و اول الفصول عند اهل زماننا الربيع ويكون فصل الربيع عند ما تنتقل الشمس من برج الحوت وقد اختلف القدماء فى البداية من الفصول فمنهم من اختار فصل الربيع وخيره اول السنة ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفى ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفى ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوى فاذا حلت اول جزء من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الاودية ومدت الانهار فيما عدا مصر ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلألأ الزهر واورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض ونتجت البهائم ودرت الضروع واخرجت الارض زخرفها وازينت وصارت كصبية شابة قد تزينت للناظرين ولله در الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد اليمرى رحمه الله حيث يقول

* واستنشقوا لهوا الربيع فانه * نعم النسيم و عنده الطاق *
* يغذى الجسوم نسيمه وكانه * روح حواها جوهر شفاف *

وقال ابن قتيبة ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذى يتبع الشتاء ويأتى فيه النور والورد ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف فى ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعد ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذى تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذى تدعوه

العامة الصيف ومن العرب من يسمى الفصل الذى يعتدل وتدرك فيه الثمار وهوالخريف الربيع الاول ويسمى الفصل الذى يتلوه الشتاء ويأتى فيه الكمام والنور الربيع الثانى وكلهم مجمعون على ان الربيع هو الخريف فاذا حلت الشمس آخر برج الجوزاء واول برج السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وابتدأ نقص النهار و زيادة الليل وانصرم فصل الربيع ودخل فصل الصيف واشتد الحر وحمى الهواء وهبت السمائم ونقصت المياه الا بمصر و يبس العشب و استحكم الحب و ادرك حصاد الغلال ونضجت الثمار وسمنت البهائم واشتدت قوة الابدان ودرت اخلاف النعم وصارت الارض كانها عروس فاذا بلغت آخر برج السنبلة واول برج الميزان تساوى الليل و النهار مرة ثانية واخذ الليل فى الزيادة و النهار فى النقصان وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف فبرد الهواء وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت الانهار وغارت العيون واصفر ورق الشجر وصرمت الثمار و درست البيادر واختزن الحب واقتنى العشب واغبر وجه الارض الا بمصر وهزلت البهائم وماتت الهوام وانجحرت الحشرات و انصرف الطير والوحش يريد البلاد الدافئة واخذ الناس يخزنون القوت للشتاء وصارت الدنيا كانها امرأة كهلة قد ادبرت واخذ شبابها يولى ولله در الامام ابو الحسن احمد بن على الازدى المهلبى حيث يقول

لله فصل الخريف المستلذ به * برد الهواء لقد ابدى لنا عجبا
اهدى الى الارض من اوراقه ذهبا * والارض من شانها ان تهدى الذهبا

﴿ وقال ايضا ﴾

* لله فصل الخريف فصلا * رقت حواشيه فهو رائق *
* فالماء يجرى من قلب سال * والدمع يبدو بوجه عاشق *
* فبرد هذا ولون هذا * بلذه ذائق و وامق *

﴿ وقال ايضا ﴾

* اتى فصل الخريف بكل طيب * وحسن معجب قلبا وعينا *
* ارانا الدوح مصفرا نضارا * وصافى الماء مبيضا لجينا *
* فاحسن كل احسان الينا * وانعم كل انعام علينا *

﴿ وقال آخر يذم الخريف ﴾

* خذ فى التدثر فى الخريف فانه * مستوبل ونسيمه خطاف *
* يجرى مع الاجسام جرى حياتها * كصديقها ومن الصديق يخاف *

﴿ وقال آخر ﴾

* ياعائبا فصل الخريف وغائبا * عن فضله فى ذمه لزمانه *
* لاشئ الطف منه عندى موقعا * ابدا يعرى الغصن من قمصانه *
* وتراه يفرش تحته اثوابه * فاعجب لرأفته وفرط حنانه *
* والذ ساعات الوصال اذا دنا * وقت الرحيل وحان حين اوانه *

فاذا حلت الشمس آخر برج القوس واول برج الجدى تناهى طول الليل وقصر النهار واخذ النهار فى الزيادة والليل فى النقصان وانصرم فصل الخريف وحل فصل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات اكثر النبات وغارت الحيوانات فى جوف الارض وضعف قوى الابدان وعرى وجه الارض من الزينة ونشأت الغيوم وكثرت الانداء واظلم الجو وكلح وجه الارض الا بعصر وامتنع الناس من التصرف وصارت الدنيا كانها عجوز هرمة قد دنا منها الموت فاذا بلغت آخر برج الحوت واول برج الحمل عاد الزمان كما كان عام اول وهذا دأبه ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الخبير الحكيم لا آله الا هو * وقد شبه بطليموس فصل الربيع بزمان الطفولية وفصل الصيف بالشباب والخريف

بالكهولة و الشتاء بالشيخوخة وعن حركة الشمس وتنقلها فى البروج الاثنى عشر المذكورة تكون ازمان السنة واوقات اليوم من الليل و النهار و ساعاتهما وعن حركة القمر فى البروج الاثنى عشر تكون الشهور القمرية والسنة القمرية فالقمر يدور البروج الاثنى عشر و يقطع الفلك كله فى مدة ثمانية و عشرين يوما و بعض يوم و يقيم فى كل برج يومين و ثلث يوم بالتقريب و يقيم فى كل منزلة من منازل القمر الثمانية والعشرين منزلة يوما و ليلة فيظهر عند اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس و يزيد نوره فى كل ليلة قدر نصف سبع حتى يكمل نوره و يمتلى فى ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشرة فى النقصان فينقص من نوره فى كل ليلة نصف سبع كما بدأ الى ان يمحق نوره فى آخر الثمانية وعشرين يوما من اهلاله ويمر فى هذه المدة منذ يفارق الشمس ويبدو فى ناحية الغرب ويسير الى ان يجامعها ثمانية وعشرين منزلة وهى « السرطان » و « البطين » و « الثريا » و « الدبران » و « الهقعة » و « الهنعة » و « الذراع » و « النثرة » و « الطرف » و « الجبهة » و « الزبرة » و « الصرفة » و « العواء » و « السماك » و « الغفر » و « الزبانان و » الاكليل » و « القلب » و « الشولة » و « النعائم » و « البلدة » و « سعد الذابح » و « سعد بلع » و « سعد السعود » و « سعد الاخبية » و « الفرع المقدم » و « الفرع المؤخر » و « بطن الحوت » و لحساب ذلك كتب موضوعة وفيما ذكرنا كفاية * والله يعلم وانتم لا تعلمون *

« ذكر محاسن الفصول الاربعة للسنة على لسان الادب »

من كتاب « نسيم الصبا » للشيخ شمس الدين بن حبيب رحمه الله

قال

قال حضر فصول العام مجلس الادب * فى يوم بلغ فيه الاريب نهاية الارب * بمشهد من ذوى البلاغة * ومنتهى صناعة الصاغة * فقام كل منهم يعرب عن نفسه * ويفتخر على ابناء جنسه ﴿ فقال الربيع ﴾ انا شباب الزمان * و روح الحيوان * و انسان عين الانسان * انا حيوة النفوس * و زينة عروس الغروس * و نزهة الابصار * و منطق الاطيار * عرف اوقاتى ناسم * و ايامى اعياد و مواسم * فيها يظهر النبات * و تنشر الاموات * وترد الودائع * وتتحرك الطبائع * و يمرح جنيب الجنوب * و يبرح وجيب القلوب * وتفيض عيون الانهار * و يعتدل الليل و النهار * كم لى من عقد منظوم * وطراز وشى مرقوم * و حلة فاخرة * و حلية ظاهرة * و نجم سعد يدنى راعيه من الامل * وشمس حسن بابعد ما بين برج الجدى والحمل * عساكرى منصورة * واسلحتى مشهورة * فمن سيف غصن مجوهر * و درع بنفسج مشهر * و مغفر شقيق احمر * وترس بهار يبهر * و سهم آس رشق فينشق * ورمح سوسن سنانه ازرق * تحرسها آيات * و تكنفها الوية ورايات * بى تحمر من الورد خدوده * وتهتز من البان قدوده * وتخضر عذار الريحان * و ينتبه من النرجس طرفه الوسنان * وتخرج الخبايا من الزوايا * و يفتر ثغر الاقحوان قائلا * انا ابن جلا و طلاع الثنايا *

* ان هذا الربيع شئ عجيب * تضحك الارض من بكاء السماء *
* ذهب حيثما ذهبنا ودر * حيث درنا و فضة فى الفضاء *

﴿ وقال الصيف ﴾ انا الخل الموافق * و الصديق الصادق * و الطبيب الحاذق * اجتهد فى مصلحة الاصحاب * و ارفع عنهم كلفة حمل الثياب * و اخفف اثقالهم * واوفر اموالهم * واكفيهم المؤونة * و اجزل لهم المعونة * واغنيهم عن شراء الفرا * واحقق عندهم ان كل الصيد فى جوف الفرا * نصرت بالصبا * و اوتيت الحكمة فى زمن الصبى * بى تنضج

الحادة * وتنضج من الفواكه المادة * ويزهو البسر والرطب * ويتصلح مزاج العنب * ويقوى قلب اللوز * ويلين عطف التين والموز * وينعقد حب الرمان * فيقمع الصفراء ويسكن الخفقان * وتخضب وجنات التفاح * ويذهب عرف السفرجل مع هبوب الرياح * وتسود عيون الزيتون * وتخلق تيجان النارنج والليمون * مواعيدي منقودة * وموائدي ممدودة * الخير موجود في مقامي * والرزق مقسوم في ايامي * والفقر يتصاع على مده وصاعه * والغني يرتع في ملكه واقطاعه * والوحش تأتي زرافات ووحدانا * والطير تغدو خماصا وتعود بطانا *

* مصيف له ظل مديد على الورى * فكم قد حلا طعما وحلل اخلاطا *
* يعالج انواع الفواكه مبديا * لصحتها حفظا ويحرز قراطا *

* وقال الخريف * انا سائق الغيوم * وكاسر جيش الغموم * وهازم احزاب السموم * وحادي نجائب السحائب * وحاسر نقاب المناقب انا اصل الصدى * واجود بالندى * واظهر كل معنى جلي * واسمو بالوسمي والولي * في ايامي تقطف الثمار * وتصفو الانهار من الاكدار * ويترقرق دمع العيون * ويتلون ورق الغصون * طورا يحاكي البقم * وتارة يشبه الارقم * وحينا يبدو في حلته الذهبية * فيجذب الى جانبه القلوب الابية * وفيها يكفي الناس هم الهوام * ويتساوى في لذة الماء الخاص والعام * وتقدم الاطيار مطربة بتشبشها * رافلة في الملابس الجديدة من ريشها * وتعصر بنت العنقود * وتوثق في سجن الدن بالقيود * على انها لم تجترح اثما * ولم تعاقب الا عدوانا وظلما * بي تطيب الاوقات * وتحصل اللذات * وترق النسمات * وترمى حصى الجمرات * وتسكن حرارة القلوب * وتكثر انواع المطعوم والمشروب * كم لي من شجرة اكلها دائم * وحملها للنفع المتعدي لازم * وورقها على الدوام غير ذابل * وقدود اغصانها تخجل كل رمح ذابل *

* ان فصل الخريف وافى الينا * يتهادى فى حلية كالعروس *
* غيره كان للعيون ربيعا * وهو ما بيننا ربيع النفوس *

﴿ وقال الشتاء ﴾ انا شيخ الجماعة * ورب البضاعة * والمقابل بالسمع والطاعة * اجمع شمل الاصحاب * واسدل عليهم الحجاب * واتحفهم بالطعام والشراب * ومن ليس له بى طاقة اغلقت من اجله الباب * اميل الى المطبع * القادر المستطيع * المعتضد بالبرود والفرا * المستمسك من الدثار باوثق العرى * المرتقب قدومى وموافاتى * المتأهب للسبعة المشهورة من كافاتى * ومن يعش عن ذكرى * ولم يمتثل امرى * ارجفته بصوت الرعد * وانجزت له من سيف البرق صادق الوعد * وسرت اليه بعساكر السحاب * ولم اقنع من الغنيمة بالاياب * معروفى معروف * ونيل نيلى موصوف * وثمار احسانى دانية القطوف * كم لى من وابل طويل المدى * وجود وافر الجدا * وقطر حلا مذاقه * وغيث قيد العفاة اطلاقه * وديمة تطرب السمع بصوتها وتحيا بحيى الارض بعد موتها * ايامى وجيزة * واوقاتى عزيزة * ومجالسى معمورة بذوى السيادة * مغمورة بالخير والبر والسعادة * نقلها يأتى من انواعه بالعجب * ومناقلها تسحج بذهب اللهب * وراحها تنعش الارواح * وسقاتها بجفونهم السقيمة تفتن العقول الصحاح * ان زرتها وجدت مالا ممدودا * وان رزتها شاهدت لها بنين شهودا *

* واذا رميت بفضل كاسك فى الهوا * عادت عليك من العقيق عقودا *
* يا صاحب العودين لا تهملهما * حرك لنا عودا واحرق عودا *

فلما نظم كل منهم سلك مقاله * وفرغ من الكلام على شرح حاله اخذ الجماعة من الطرب ما يأخذ اهل السكر * وتجاذبوا اطراف مطارف

الثناء والشكر * وظهرت اسرار السرور * وانشرحت صدور الصدور * وهبت قبول الاقبال * و انشد لسان الحال *

و ما ذا يعيب المرء فى مدح نفسه * اذا لم يكن فى قوله بكذوب

ثم انفض المجلس وحل النطاق * وتفرق شمل اهله وآخر الصحبة الفراق * « قال بعضهم » الربيع مفضل على سائر الفصول بحسن آثاره * ورياحينه وازهاره * « قال بقراط الحكيم » من لم يبتهج بالربيع وازهاره * ولم يستمتع ببرد نسيمه وامطاره * فهو فاسد المزاج * محتاج الى العلاج * « وقال بعض البلغاء » الربيع جميل الوجه * ضاحك السن * رشيق القد * حلو الشمائل * عطر الرائحة * كريم الخلق * « وقال ظريف » الربيع شباب الزمان * ونسيمه غذاء النفوس * ومنظره جلاء العيون * و من لطائف الصنوبرى فى تفضيل الربيع على سائر الفصول قوله

* ان كان فى الصيف اثمار وفاكهة * فالارض مستوقد والجو تنور *
* وان يكن فى الخريف النخل مخترفا * فالارض محسورة والماء مأسور *
* وان يكن فى الشتاء الغيم متصلا * فالارض عريانة والافق مقرور *
* ما الدهر الا الربيع المستنير اذا * اتى الربيع اتاك النور والنور *
* فالارض ياقوتة والجو لؤلؤة * والنبت فيروزج والماء بلور *
* تبارك الله ما احلى الربيع فلا * تغرر فقائسه بالصيف مغرور *
* من شم ريح تحيات الربيع يقل * لا المسك مسك ولا الكافور كافور *

﴿ ذكر علم الهيأة ﴾

وهو علم ينظر به فى حركات الكواكب الثابتة و المتحركة و المتحيرة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على اشكال واوضاع للافلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كما يبرهن على ان

مركز الارض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود افلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكوكب الواحد بتعدد الميول له وامثال ذلك وادراك الموجود من الحركات وكيفياتها واجناسها انما هو بالرصد فانا انما علمنا حركة الاقبال والادبار به وكذا تركيب الافلاك فى طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك وكان اليونانيون يعتنون بالرصد كثيرا ويتخذون له الآلات التى توضع ليرصد بها حركة الكوكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه فى مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بايدى الناس * واما فى الاسلام فلم تقع به عناية الا فى القليل وكان فى ايام المأمون شئ منه وصنع الآلة المعروفة للرصد المسماة ذات الحلق وشرع فى ذلك فلم يتم ولما مات ذهب رسمه واغفل واعتمد من بعده على الارصاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة فى الرصد بحركة الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق فاذا طال الزمان ظهر تفاوت ذلك بالتقريب وهذه الهيأة صناعة شريفة وليست على ما يفهم فى المشهور انها تعطى صورة السموات وترتيب الافلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعطى ان هذه الصور والهيآت للافلاك لزمت عن هذه الحركات وانت تعلم انه لا يبعد ان يكون الشئ الواحد لازما لمختلفين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ولا يعطى الحقيقة بوجه على انه علم جليل وهو احد اركان التعاليم * ومن احسن التآليف فيه «كتاب المجسطى» منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين اسماؤهم بطليموس على ما حققه شراح الكتاب وقد

اختصره الائمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا و ادرجه في « تعاليم الشفاء » ولخصه ابن رشد ايضا من حكماء الاندلس و ابن السمح وابن الصلت في « كتاب الاقتصار » ولابن الفرغاني هيأة ملخصة قربها وحذف براهينها الهندسية والله علم الانسان مالم يعلم سبحانه لا اله الا هو رب العالمين * ومن فروعه علم الازياج وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما ادى اليه برهان الهيأة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في افلاكها لاي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيأة ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية واصول متقررة من معرفة الاوج والحضيض والميول واصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين وتسمى الازياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعديلا وتقويما وللناس فيه تآليف كثيرة للمتقدمين والمتأخرين مثل البتاني وابن الكماد وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن اسحق من منجمي تونس في اول المائة السابعة و يزعمون ان ابن اسحق عول فيه على الرصد وان يهوديا كان بصقلية ماهرا في الهيأة والتعاليم وكان قد عنى بالرصد وكان يبعث اليه بما يقع في ذلك من احوال الكواكب وحركاتها فكان اهل المغرب لذلك عنوا به لوثاقة مبناه على ما يزعمون ولخصه ابن البناء في آخر سماه « المنهاج » فولع به الناس لما سهل من الاعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب من الفلك لتبنى عليها الاحكام النجومية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملك

والدول

والدول و المواليد البشرية كما بينه ابن خلدون و اوضح فيه ادلتهم والله الموفق لما يحبه ويرضاه ولا معبود سواه

﴿ ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها ﴾

لما تقدم فى الافلاك من القول ما يتبين به لمن الهمه الله تعالى كيف تكون الحركة التى بها الليل والنهار وتركب الشهور والاعوام منهما جاز حينئذ الكلام على الارض فاقول الجهات من حيث هى ست « الشرق » وهو حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب فى كل قطر من الارض و « الغرب » وهو حيث تغرب و « الشمال » وهو حيث مدار الجدى و الفرقدين و « الجنوب » وهو حيث مدار سهيل و « الفوق وهو مما يلى السماء » و « التحت » وهو مما يلى مركز الارض * والارض جسم مستدير كالكرة و قيل ليست بكرية الشكل وهى واقفة فى الهواء بجميع جبالها وبحارها وعامرها وغامرها والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالمح فى جوف البيضة وبعدها من السماء متساو من جميع الجهات واسفل الارض ما تحقيقه هو عمق باطنها مما يلى مركزها من اى جانب كان * ذهب الجمهور الى ان الارض كالكرة الموضوعة فى جوف الفلك كالمح فى البيضة وانها فى الوسط وبعدها فى الفلك من جميع الجهات على التساوى * وزعم هشام بن الحكم ان تحت الارض جسما من شأنه الارتفاع وهو المانع للارض من الانحدار وهو ليس محتاجا الى ما يعمده لانه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع وقال ان الله تعالى وقفها بلا عماد * وقال ديمقراطس انها تقوم على الماء وقد حصر الماء تحتها حتى لا يجد مخرجا فيضطر الى الانتقال * وقال آخر هى واقفة على الوسط مقدار واحد من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه فلذلك لا تميل الى ناحية من

الفلك دون ناحية لان قوة الاجزاء متكافئة وذلك كحجر المغناطيس في جذبه الحديد فان الفلك بالطبع مغناطيس الارض فهو يجذبها فهي واقفة في الوسط وسبب وقوفها بالوسط سرعة تدبير الفلك و دفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما اذا وضعت ترابا في قارورة وادرتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط * وقال محمد بن احمد الخوارزمي في وسط السماء والوسط هو السفلى بالحقيقة وهي مدورة مضرسة من جهة الجبال البارزة والوهاد الغائرة و ذلك لا يخرجها عن الكرية اذا اعتبرت جملتها لان مقادير الجبال وان شمخت يسيرة بالقياس الى كرة الارض فان الكرة التي قطرها ذراع او ذراعان مثلا اذا نتأ منها شيء اوغار فيها لايخرجها عن الكرية ولا هذه التضاريس لاحاطة الماء بها من جميع جوانبها وغمرها بحيث لا يظهر منها شيء فحينئذ تبطل الحكمة المؤدية المودعة في المعادن والنبات والحيوان فسبحان من لا يعلم اسرار حكمه الا هو * واما سطحها الظاهر المماس للهواء من جميع الجهات فانه فوق والهواء فوق الارض يحيط بها ويجذبها من سائر الجهات وفوق الهواء الافلاك المذكورة فيما تقدم واحدا فوق آخر الى الفلك التاسع الذي هو اعلى الافلاك ونهاية المخلوقات باسرها وقد اختلف فيما وراء ذلك فقيل خلاء وقيل ملاء وقيل لا خلاء ولا ملاء وكل موضع يقف فيه الانسان من سطح الارض فان رأسه ابدا يكون مما يلي السماء الى فوق ورجلاه ابدا تكون اسفل مما يلي مركز الارض وهو دائما يرى من السماء نصفها ويستر عنه النصف الآخر حدبة الارض وكلما انتقل من موضع الى آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفي عنه * والارض غامرة بالماء كعنبة طافية فوق الماء فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما اراد الله من تكون الحيوانات و عمرانها بالنوع البشري الذي له الخلافة على سائرها وقد يتوهم من ذلك

ان الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما التحت الطبيعى قلب الارض
ووسط كرتها الذى هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل
وما عدا ذلك من جوانبها واما الماء المحيط بها فوق الارض وان
قيل فى شئ منها انه تحت الارض فبالاضافة الى جهة اخرى منه
واما التى قد انحسر الماء عنها نحو النصف من سطح كرتها فى شكل
دائرة احاط العنصر المائى من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط
ويسمى ايضا لبلابة بتفخيم اللام الثانية ويسمى اوقيانوس اسماء عجمية
ويقال له البحر الاخضر ثم ان هذا المنكشف من الارض للعمران
فيه القفار والخلاء اكثر من عمرانه والخالى من جهة الجنوب
منه اكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة اميل الى الجانب
الشمالى على شكل مسطح كرى ينتهى من جهة الجنوب الى خط
الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرى ووراءه الجبال الفاصلة
بينه وبين الماء العنصرى الذى بينهما سد يأجوج ومأجوج وهذه
الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهى من المشرق والمغرب الى عنصر
الماء ايضا بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض
قالوا هو مقدار النصف من الكرة او اقل والمعمور منه مقدار ربعه
وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وانغمر النصف الآخر فى الارض وصار
المنكشف من الارض نصفين كانما قسم بخط مسامت لخط معدل
النهار يمر تحت دائرته وجميع البلاد التى على هذا الخط لا عرض
لها البتة والقطبان غير مرئيين فيها ويكونان هناك على دائرة الافق
من الجانبين وكلما بعد موضع بلد عن هذ الخط الى ناحية الشمال
قدر درجة ارتفع القطب الشمالى الذى هو الجدى على اهل ذلك
البلد درجة وانخفض القطب الجنوبى الذى هو سهيل درجة وهكذا
ما زاد ويكون الامر فيما بعد من البلاد الواقعة فى ناحية الجنوب
كذلك من ارتفاع القطب الجنوبى وانحطاط القطب الشمالى وبهذا

عرف عرض البلدان وصار عرض البلد عبارة عن ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤوس اهله وارتفاع القطب عليهم وهو ايضا بعد ما بين سمت رؤوس اهل ذلك البلد وسمت رؤوس اهل بلد لا عرض له فاما ما انكشف من الارض مما يلى الجنوب من خط الاستواء فانه خراب والنصف الآخر الذى يلى الشمال من خط الاستواء فهو الربع العامر وهو المسكون من الارض وخط الاستواء لا وجود له فى الخارج وانما هو فرض يوهمنا انه خط ابتداؤه من المشرق الى المغرب تحت مدار رأس الحمل وسمى بذلك من اجل ان النهار والليل هناك ابدا سواء لا يزيد ولا ينقص احدهما عن الآخر شيئا البتة فى سائر اوقات السنة كلها ونقطتا هذا الخط ملازمتان للافق احداها على مدار سهيل فى ناحية الجنوب والاخرى مما يلى الجدى فى ناحية الشمال وخط الاستواء يقسم الارض نصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض واكبر خط فى كرتها كما ان منطقة فلك البروج ودائرة معدل النهار اكبر خط فى الفلك ومنطقة البروج منقسمة ثلثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر الف ذراع فى ثلثة اميال لان الميل اربعة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا والاصبع ست حبات شعير مصفوفة ملصق بعضها الى بعض ظهرا لبطن وبين دائرة معدل النهار التى تقسم الفلك نصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العمارة فى الجهة الشمالية من خط الاستواء اربع وستون درجة والباقى منها خلاء لا عمارة فيه لشدة البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلها لشدة الحر * والعمارة من المشرق الى المغرب مائة وثمانون درجة من الجنوب الى الشمال من خط اريس الى بنات نعش ثمان واربعون درجة وهو مقدار ميل

الشمس

الشمس مرتين وخلف خط اربس وهو مقـدار ست عشرة درجة وجلة معمور الارض نحو من سبعين درجة لاعتدال مسير الشمس فى هذا الوسط ومرورها على ما وراء الحمل والميزان مرتين فى السنة واما الشمال والجنوب فالشمس لاتحاذيهما الا مرة واحدة ولان اوج الشمس مرتين فى جهة الشمال كانت العمارة فيه لارتفاعها وانتفاء ضرر قوتها غير ساكنة ولان حضيضها فى الجنوب عدمت العمارة هنالك * وقد اختلف الناس فى مسافة الارض فقيل مسافتها خمسمائة عام ثلث عمران وثلث خراب و ثلث بحار وقيل المعمور من الارض مائة وعشرون جزءا تسعون لياجوج ومأجوج و اثنا عشر للسودان وثمانيـة للروم وثلثة للعرب وسبعة لسائر الامم وقيل الدنيا سبعة اجزاء ستة لياجوج ومأجوج وواحد لسائر الناس وقيـل الارض خمسمائة عام البحـار ثلثمائة ومائة خراب ومائة عمران وقيل الارض اربعة وعشرون الف فرسخ للسودان اثنا عشر الفا وللروم ثمانية آلاف ولفارس ثلثة آلاف وللعرب الف وعن وهب بن منبه ما العمارة من الدنيا فى الخراب الا كفسطاط فى الصحراء وقال ازدشير بن بابك الارض اربعة اجزاء جزء منهـا للترك وجزء للعرب وجزء للفرس وجزء للسودان وقيل الاقاليم سبعـة والاطراف اربعة والنواحى خمس واربعون والمدائن عشرة آلاف والرساتيق مائتا الف وستة وخمسون الفا وقيـل المدن والحصون احد وعشرون الفا وستمائة مدينة وحصن « فى الاقليم الاول » ثلثـة آلاف ومائة مدينة كبيرة « وفى الثـانى » الفـان وسبعمائة وثلث عشرة مدينة وقرية كبيرة « وفى الثالث » ثلثة آلاف وتسع وسبعون مدينة وقرية « وفى الرابع » وهو بابل الفان وتسعمائة واربع وسبعون مدينة « وفى الخـامس » ثلثة آلاف مدينة وست مدائن « وفى السادس » ثلثة آلاف واربع مائة وثمانون مدينة « وفى السابع » ثلثة آلاف وثلثمائة مدينة فى

الجزائر وقال الخوارزمى قطر الارض سبعة آلاف فرسخ وهو نصف سدس الارض و الجبال و المفاوز والبحار والباقى خراب يباب لا نبات فيه ولا حيوان وقيل المعمور من الارض مثل طائر رأسه الصين والجناح الايمن الهند والسند والجناح الايسر الخزر وصدره مكة والعراق والشام ومصر وذنبه الغرب وقيل قطر الارض سبعة آلاف واربعمائة واربعة عشر ميلا ودورها عشرون الف ميل واربعمائة ميل وذلك جميع ما احاطت به من بر وبحر وقال ابو زيد احمد بن سهل البلخى طول الارض من اقصى المشرق الى اقصى المغرب نحو اربعمائة مرحلة وعرضها من حيث العمران الذى من جهة الشمال وهو مساكن يأجوج ومأجوج الى حيث العمران الذى من جهة الجنوب وهو مساكن السودان مائتان وعشرون مرحلة وما بين برارى يأجوج ومأجوج الى البحر المحيط فى الشمال و ما بين برارى السودان والبحر المحيط فى الجنوب خراب ليس فيه عمارة ويقال ان مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ وهذه اقوال لا دليل على صدقها و الطريق فى معرفة مساحة الارض انا لو سرنا على خط نصف النهار من الجنوب الى الشمال بقدر ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤوسنا الى الجنوب درجة من درج الفلك التى هى جزء من ثلثمائة و ستين جزءا وارتفع القطب علينا درجة نظير تلك الدرجة فانا نعلم انا قد قطعنا من محيط جرم الارض جزءا من ثلثمائة وستين جزءا وهو نظير ذلك الجزء من الفلك فلو قسنا من ابتداء مسيرنا الى انتهاء مكاننا الذى وصلنا اليه حيث ارتفع القطب علينا درجة فانا نجد حقيقة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الارض ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل منها خمسة وعشرون فرسخا فاذا ضربنا حصة الدرجة الواحدة وهو ما ذكر من الاميال فى ثلثمائة وستين خرج من الضرب عشرون الفا واربعمائة ميل وذلك مساحة دور الارض فاذا قسمنا هذه الاميال

التى

التى هى مساحة دور الارض على ثلثة وسبع خرج من القسمة ستة آلاف واربعمائة واربعون ميلا وهى مساحة قطر الارض فلو ضربنا هذا القطر فى مبلغ دور الارض لبلغت مساحة بسط الارض بالتكسير مائة الف الف واثنين وثلثين الف الف وستمائة الف ميل بالتقريب فعلى هذا مساحة ربع الارض المسكون بالتكسير ثلثة وثلثون الف الف ميل ومائة وخمسون الف ميل وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعد مدار السرطان عن القطب وهو خمسة وخمسون جزءا وسدس جزء وهذا هو سدس الارض وانتهاؤه الى جزيرة تولى فى برطانية وهى آخر المعمور من الشمال وهو من الاميال ثلثة آلاف وسبعمائة واربعة وستون ميلا فاذا ضربنا هذا السدس الذى هو مساحة عرض الارض فى النصف وهو مقدار الطول كان المعمور من الشمال قدر نصف ثلث الارض واما الطول فانه يقل لتضايق اقسام كرة الارض ومقداره مثل خمس الدور وهو بالتقريب اربعة آلاف وثمانون ميلا وفى الربع المسكون من الارض سبعة ابحر كبار وفى كل بحر منها عدة جزائر وفيه خمس عشرة بحيرة منها ملح وعذب وفيه مائتا جبل طوال ومائتا نهر واربعون نهرا طوالا ويشتمل على سبعة اقاليم تحتوى على سبعة عشرة الف مدينة كبيرة وقال فى كتاب هروشيوس لما استقامت طاعة يوليس الملقب قيصر الملك فى عامة الدنيا تخير اربعين من الفلاسفة سماهم فامرهم ان يأخذوا له وصف حدود الدنيا وعدة بحارها وكورها ارباعا فولى احدهم اخذ وصف جزء المشرق وولى آخر اخذ وصف جزء المغرب وولى الثالث اخذ وصف جزء الشمال وولى الرابع اخذ وصف جزء الجنوب فتمت كتابة الجميع على ايديهم فى نحو من ثلثين سنة فكانت جملة البحار المسماة فى الدنيا تسعة وعشرين بحرا قد سموها منها بجزء المشرق ثمانية وبجزء المغرب ثمانية وبجزء

الشمال احد عشر وبجزء الجنوب اثنان وعدة الجزائر المعروفة الامهات احدى وسبعون جزيرة منها فى الشرق ثمان و فى الغرب ست عشرة و فى جهة الشمال احدى وثلثون و فى جهة الجنوب ست عشرة وعدة الجبال الكبار المعروفة فى جميع الدنيا ستة و ثلثون وهى امهات الجبال وقد سموها فيما فسروه منها فى جهة الشرق سبعة و فى جهة الغرب خمسة عشر و فى الشمال اثنا عشر و فى الجنوب اثنان و البلدان الكبار ثلثة و ستون منها فى المشرق سبعة و فى المغرب خمسة و عشرون و فى الشمال تسعة عشر و فى الجنوب اثنا عشر وقد سموها و الكور الكبار المعروفة تسع و مائتان منها فى المشرق خمس و سبعون و فى المغرب ست و ستون و فى الشمال ست و فى الجنوب اثنان و ستون و الانهار الكبار المعروفة فى جميع الدنيا ستة و خمسون منها لجزء الشرق سبعة عشر و لجزء الغرب ثلثة عشر و لجزء الشمال تسعة عشر و لجزء الجنوب سبعة ثم ان المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الامصار و المدن و الجبال و البحار و الانهار و القفار و الرمال مثل بطليموس فى كتاب الجغرافيا و صاحب كتاب زجار من بعده قسموا هذا المعمور بسبعة اقسام يسمونها الاقاليم السبعة بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية فى العرض مختلفة فى الطول وقالوا و الاقاليم السبعة كل اقليم منها كانه بساط مفروش قد مد طوله من الشرق الى الغرب و عرضه من الشمال الى الجنوب و هذه الاقاليم مختلفة الطول والعرض « فالاقليم الاول » اطول مما بعده وكذا الثانى الى آخرها فيكون السابع اقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار الماء عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة اجزاء من المغرب الى المشرق على التوالى وفى كل جزء الخبر عن احواله و احوال عمرانه فالاقليم الاول منها يمر وسطه بالمواضع التى طول نهارها الاطول ثلث عشرة

ساعة و السابع منها يمر وسطه بالمواضع التى طول نهارها الاطول ست عشرة ساعة لان ما حاذى حد الاقليم الاول الى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة فيه وما حاذى الاقليم السابع الى الشمال لا يعلم فيه عمارة فجعل طول الاقاليم السبعة من الشرق الى الغرب مسافة اثنى عشرة ساعة من دور الفلك وصارت عروضها تتفاضل نصف ساعة من ساعات النهار الاطول فاطولها واعرضها الاقليم الاول وطوله من المشرق الى المغرب نحو ثلثة آلاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مائة وخمسون فرسخا و اقصرها طولا و عرضا الاقليم السابع وطوله من الشرق الى الغرب الف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا وبقية الاقاليم الخمسة فيما بين ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها فى الخارج وضعها القدماء الذين جالوا فى الارض ليقفوا على حقيقة حدودها ويتيقنوا مواضع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها هذا حال الربع المسكون و اما الثلثة الارباع فانها خراب فجهة الشمال واقعة تحت مدار الجدى قد افرط هناك البرد وصارت ستة اشهر ليلا مستمرا وهى مدة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار ويظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوة البرد فلا يكون هناك نبات ولا حيوان ويقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار ستة اشهر بغير ليل وهى مدة الصيف عندهم فيحمى الهواء ويصير سموما محرقا يهلك بشدة حره الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى فيه واما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم امواجه وشدة ظلماته وناحية الشرق تمنع من سلوكه الجبال الشامخة وصار الناس اجمعهم قد انحصروا فى الربع المسكون من الارض ولا علم لاحد منهم بالارض اى بالثلثة الارباع الباقية والارض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار نسبتها الى

الفلك كنقطة فى دائرة وقد اعتبرت حدود الاقاليم السبعة بساعات النهار وذلك ان الشمس اذا حلت برأس الحمل تساوى طول النهار والليل فى سائر الاقاليم كلها فاذا انتقلت فى درجات برج الحمل والثور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل اقليم فاذا بلغت آخر الجوزاء واول برج السرطان بلغ طول النهار فى وسط الاقليم الاول ثلث عشرة ساعة سواء وصارت فى وسط الاقليم الثانى ثلث عشرة ساعة ونصف ساعة وفى وسط الاقليم الثالث اربع عشرة ساعة وفى وسط الاقليم الرابع اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفى وسط الاقليم الخامس خمس عشرة ساعة وفى وسط الاقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وفى وسط الاقليم السابع ست عشرة ساعة سواء وما زاد على ذلك الى عرض تسعين درجة يصير نهارا كله ومعنى طول البلد هو بعدها من اقصى العمارة فى الغرب وعرضها هو بعدها عن خط الاستواء وخط الاستواء كما تقدم هو الموضع الذى يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سواء فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد فى اقصى الغرب لا طول له ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق مائة وثمانون درجة وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه فى وسط ما بين الشرق والغرب وكل بلد كان طوله اقل من تسعين درجة فانه اقرب الى الغرب وابعد من الشرق وما كان طوله من البلاد اكثر من تسعين درجة فانه ابعد من الغرب واقرب الى الشرق فقد ذكر القدماء ان العالم السفلى مقسوم سبعة اقسام كل قسم يقال له اقليم فاقليم الهند لزحل واقليم بابل للمشترى واقليم الترك للمريخ واقليم الروم للشمس واقليم مصر لعطارد واقليم الصين للقمر وقال قوم الحمل والمشترى لبابل والجدى وعطارد للهند والاسد والمريخ للترك والميزان والشمس للروم ثم صارت السنة على اثنى عشر برجا فالحمل ومثلاه للشرق والثور ومثلاه

للجنوب

للجنوب والجوزاء ومثلاهـا للغرب والسرطان ومثلاه للشمال قالوا وفى كل اقليم مدينتان عظيمتان بحسب بين كل كوكب الا اقليم الشمس واقليم القمر فانه ليس فى كل اقليم منهما سوى مدينة واحدة عظيمة وجميع مدائن الاقاليم السبعة وحصونهـا احد وعشرون الف مدينة وست مائة مدينة وحصن بقدر دقائق درج الفلك وقال هرمس اذا جعلت هـذه الدقائق روابع كانت اناس هـذه الاقاليم واذا مات احد ولد نظيره ويقال ان عدد مدن الاقاليم الاول من مطلع الشمس وقراها ثلثة آلاف ومائة مدينة وقرية كبيرة وان فى الثانى الفين وسبعمائة وثلث عشرة مدينة وقرية كبيرة وفى الثالث ثلثة آلاف وتسع وسبعون وفى الرابع وهو بابل الفـان وتسعمـائة واربع وسبعون وفى الخامس ثلثة آلاف وست مدن وفى السادس ثلثة آلاف واربعمائة وثمان مدن وفى السابع ثلثة آلاف وثلثمـائة مدينة وقرية كبيرة فى الجزائر ثم ان الاول والثانى من الاقاليم المعمورة اقل عمرانا ممـا بعدهمـا وما وجد من عمرانه فيتخلله الخلاء والقفار والرمال والبحر الهنـدى الذى فى الشرق منهمـا وامم هذين الاقليمين واناسيهما ليست لهم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيها قليلة والرمال كذلك او معدومة واممها واناسيها تجوز الحد من الكثرة وامصارها ومدنها تجاوز الحد عددا والعمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير من الحكمـاء ان ذلك لافراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الرؤوس وقد اوضح ذلك ابن خلدون ببرهانه وبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسابع ﴿ فالاقليم الاول ﴾ يمر وسطه بالمواضع التى طول نهارها الاطول ثلث عشرة ساعة ويرتفع القطب الشمالى فيهـا عن

الافق ست عشرة درجة وثلثا درجة وهو العرض وانتهاء عرض
هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الاطول فيه ثلث عشرة
ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض عشرون
درجة ونصف درجة وهو مسافة اربعمائة واربعين ميلا وابتداؤه
من اقصى بلاد الصين فيمر فيها الى ما يلى الجنوب ويمر بسواحل
الهند ثم ببلاد السند ويمر فى البحر على جزيرة العرب وارض اليمن
ويقطع بحر القلزم فيمر ببلاد الحبشة ويقطع نيل مصر الى بلاد الحبشة
ومدينة دنقله من ارض النوبة ويمر فى ارض المغرب على جنوب بلاد
البربر الى نحو البحر المحيط وفى هذا الاقليم عشرون جبلا فيها ما طوله من
عشرين فرسخا الى الف فرسخ وفيه ثلثون نهرا طويلا منها ما طوله
الف فرسخ الى عشرين فرسخا وفيه خمسون مدينة كبيرة وعامة اهل
هذا الاقليم سود الالوان ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس
وله من الكواكب السيارة المشترى وهو مع فرط حرارته كثير المياه
كثير المروج وزرع اهله الذرة والارز الا ان الاعتدال عندهم معدوم
فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطة والبقر عندهم كثير لكثرة المروج
وفى مشرقه البحر الخارج وراء خط الاستواء بثلث عشرة درجة وفى
مغربه النيل وبحر الغرب ومن هذا الاقليم يأتى نيل مصر وشرقهم
معمور بالبحر الشرقى الذى هو بحر الهند واليمن وهذا الاقليم مار
من المغرب الى المشرق مع خط الاستواء بحده من جهة الجنوب وليس
وراء هنالك الا القفار والرمال وبعض عمارة ان صحت فهى كلا
عمارة ويليه من جهة شماله الاقليم الثانى ثم الثالث كذلك ثم الرابع
والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران من جهة الشمال
وليس وراء السابع الا الخلاء والقفار الى ان ينتهى الى البحر المحيط
كالحال فى ماوراء الاقليم الاول فى جهة الجنوب الا ان الخلاء فى جهة
الشمال اقل بكثير من الخلاء الذى فى جهة الجنوب ثم ان ازمنة الليل

والنهار

و النهار تتفاوت فى هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار و ارتفاع القطب الشمالى عن آفاقها فيتفاوت قوس النهار والليل لذلك كما ذكرنا و فيه من جهة غربه الجزائر الخالدات التى منها بدأ بطليموس باخذ اطوال البلاد و ليست فى بسيط الاقليم وانما هى فى البحر المحيط جزر منكثرة اكبرها و اشهرها ثلثة و يقال انها معمورة ﴿ و الاقليم الثانى ﴾ حيث يكون طول النهار الاطول ثلث عشرة ساعة ونصف ويرتفع القطب الشمالى فيه قدر اربعة و عشرين جزءا وعشر جزء وعرضه من حد الاقليم الاول الى حيث يكون النهار الاطول ثلث عشرة ساعة و نصف و ربع و ارتفاع القطب الشمالى وهو العرض سبعة و عشرون درجة و نصف درجة ومساحة هذا الاقليم اربعمائة ميل و يبتدئ من بلاد المشرق مارا ببلاد الصين الى بلاد الهند و السند ثم يلتقى البحر الاخضر وبحر البصرة و يقطع جزيرة العرب فى ارض نجد و تهامة فيدخل فى هذا الاقليم اليمامة و البحران وهجر ومكة والمدينة والطائف وارض الحجاز ويقطع بحر القلزم فيمر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخميم واسنى وانصنا واسوان ويمر فى ارض المغرب على وسط بلاد افريقية فيمر على بلاد البربر الى البحر فى المغرب وفى هذا الاقليم سبعة عشر جبلا وسبعة عشر نهرا طوالا واربعمائة وخمسون مدينة كبيرة والوان اهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسواد وله من البروج الجدى و من السيارة زحل ويسكن هذا الاقليم الرحالة فى المغرب حدالة و صنهاجة ولمتونة ومسوفة ويتصل بهم رحالة مصر من الواح وفى هذا الاقليم يكون نخل وفيه مكة والمدينة ومن السماوة من اهل العراق الى رحالة الترك وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه فى البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات ﴿ والاقليم الثالث ﴾

وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلثون درجة ونصف وخمس درجة وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثاني الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلث وثلثون درجة ومسافته ثلثمائة وخمسون ميلا ويبتدئ من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينة الهندهار ثم بشمال السند وبلاد كابل وكرمان وسجستان الى سواحل بحر البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ويمر بالاهواز والعراق والبصرة وواسط وبغداد والكوفة والانبار وهيت ويمر ببلاد الشام الى سلمية وصور وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين والقلزم ويقطع اسفل ارض مصر من شمال انصنا الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه الفيوم والاسكندرية والفرما وتنيس ودمياط ويمر ببلاد برقة الى افريقية فيدخل فيه القيروان وينتهي في البحر الى الغرب وبهذا الاقليم ثلث وثلثون جبلا كبارا واثنان وعشرون نهرا طوالا ومائة وثمانية وعشرون مدينة واهله سمر الالوان وله من البروج العقرب ومن السيارة الزهرة وفي هذا الاقليم العمائر المتواصلة من اوله الى آخره وهو متصل بالثاني من جهة الشمال ﴿ والاقليم الرابع ﴾ وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض ست وثلثون درجة وخمس درجة وحد هذا الاقليم من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض تسعا وعشرين درجة وثلث درجة ومسافة هذا الاقليم ثلثمائة ميل ويبتدي من الشرق فيمر ببلاد التبت وخراسان وخجنده وفرغانه وسمرقند وبخارى وهراة ومرو والرود وسرخس وطوس ونيسابور

وجرجان وقومس وطبرستان وقزوين والديلم والرى واصفهان وهمدان ونهاوند ودينور والموصل ونصيبين وآمد ورأس العين وشمشاط والرقة ويمر ببلاد الشام فيدخل فيه بالس ومنبج وملطية وحلب وانطاكية وطرابلس والمصيصة وحماة وصيدا وطرسوس وعمورية واللاذقية ويقطع بحر الشام على جزيرة قبرس ورودس ويمر ببلاد طنجة فينتهى الى بحر المغرب وفى هذا الاقليم خمسة وعشرون جبلا كبارا وخمسة وعشرون نهرا طوالا ومائتا مدينة واثنتا عشرة مدينة والوان اهله ما بين السمرة والبياض وله من البروج الجوزاء ومن السيارة عطارد وفيه البحر الرومى من مغربه الى القسطنطينية ومن هذا الاقليم ظهرت الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين ومنه انتشر الحكماء والعلماء فانه وسط الاقاليم ثلثة جنوبية وثلثة شمالية وهو فى قسم الشمس وبعده فى الفضيلة الاقليم الثالث والخامس فانهما على جنبيه وبقية الاقاليم منحطة اهلوها ناقصون ومنحطون عن الفضيلة لسماجة صورهم وتوحش اخلاقهم كالزنج والحبشة واكثر امم الاقليم الاول والثانى والسادس والسابع يأجوج ومأجوج والتغرغر والصقالبة ونحوهم وهو متصل بالثالث من جهة الشمال ❊ والاقليم الخامس ❊ وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض احدى واربعون درجة وثلث درجة وابتداؤه من نهاية عرض الاقليم الرابع الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض ثلثا واربعين درجة ومسافته خمسون ومائتا ميل ويبتدئ من المشرق الى بلاد يأجوج ومأجوج ويمر بشمال خراسان وفيه خوارزم واسبيجاب وآذربيجان وبردعة وسجستان واردن وخلاط ويمر على بلاد الروم الى رومية الكبرى والاندلس حتى ينتهى الى البحر الذى فى المغرب وفى هذا الاقليم

من الجبال الطوال ثلثون جبلا و من الانهار الكبار خمسة عشر نهرا و من المدائن الكبار مائتا مدينة واكثر اهله بيض الالوان وله من البروج الدلو و من السيارة القمر ﴿ والاقليم السادس ﴾ وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض خمسا واربعين درجة وخمسى درجة وابتداؤه من حد نهاية عرض الاقليم الخامس الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة و نصف وربع ساعة والعرض سبعا واربعين درجة وربع درجة ومسافة هذا الاقليم مائتا ميل وعشرة اميال ويبتدى من المشرق فيمر بمساكن الترك من الجرخير و التغرغر الى بلاد الخزر من شمال تخومهم على اللان والشرير وارض برجان والقسطنطينية وشمال الاندلس الى البحر المحيط الغربى وفى هذا الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ومن الانهار الطوال اثنان وثلثون نهرا ومن المدن الكبار تسعون مدينة واكثر اهل هذا الاقليم الوانهم ما بين الشقرة والبياض وله من البروج السرطان ومن السيارة المريخ ﴿ والاقليم السابع ﴾ وسطه حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة سواء وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض ثمانيا واربعين درجة وثلثى درجة وابتداء هذا الاقليم من حد نهاية الاقليم السادس الى حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة وربع ساعة والعرض خمسين درجة ونصف درجة ومسافته مائة وخمسة وثمانون ميلا فتبين ان ما بين اول حد الاقليم الاول وآخر حد الاقليم السابع ثلث ساعات و نصف وان ارتفاع القطب الشمالى ثمانية وثلثون درجة تكون من الاميال الفين ومائة واربعين ميلا ويبتدئ الاقليم السابع من المشرق على بلاد يأجوج ومأجوج ويمر ببلاد الترك على سواحل بحر جرجان مما يلى الشمال ويقطع بحر الروم على بلاد

جرجان والصقالبة الى ان ينتهى الى البحر المحيط فى المغرب وبهذا الاقليم عشرة جبال طوال واربعون نهرا طوالا واثنتان وعشرون مدينة كبيرة واهله شقر الالوان وله من البروج الميزان ومن السيارة الشمس وفى كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة امم مختلفة الالسن والالوان وغير ذلك من الطبائع والاخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والاعمال والصنائع والعادات والعبادات لا يشبه بعضهم بعضا وكذلك الحيوانات والمعادن والنبات مختلفة فى الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف اهوية البلدان وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها على ما اقتضته طوالع كل بلد من البروج على افقه وممر الكواكب على مسامتة البقاع من الارض ومطارح شعاعاتها على المواضع كما هو مقرر فى مواضعه من كتب الحكمة ليتدبر اولو النهى ويعتبر ذوو الحجى بتدبير الله فى خلقه وتقديره لما يشاء وفعله لما يريد لا اله الا هو ومع ذلك فان الربع المسكون من الارض على تفاوت اقطاره مقسوم بين سبع امم كبار وهم الصين والهند والسودان والبربر والروم والترك والفرس فجنوب مشرق الارض فى يد الصين وشماله فى يد الترك ووسط جنوب الارض فى يد الهند وفى وسط شمال الارض الروم وفى جنوب مغرب الارض السودان وفى شمال مغرب الارض البربر وكانت الفرس فى وسط هذه الممالك قد احاطت بهم الامم الست

﴿ ذكر المعتدل من الاقاليم والمنحرف ﴾

قد بينا ان المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو وسطه لافراط الحر فى الجنوب منه والبرد فى الشمال ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين فى الحر والبرد وجب ان تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع اعدل العمران

والذى حفافيه من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذى يليهما والثانى والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع والمبانى والملابس والاقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكون فى هذه الاقاليم الثلثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واديانا حتى النبوات فانما توجد فى الاكثر فيها ولم نقف على خبر بعثة فى الاقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك ان الانبياء والرسل انما يختص بهم اكمل النوع فى خلقهم واخلاقهم قال تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * وذلك ليتم القبول لما يأتيهم به الانبياء من عند الله واهل هذه الاقاليم اكمل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التوسط فى مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة ويتناغون فى استجادة الآلات والمواعين ويذهبون فى ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ويتصرفون فى معاملاتهم بالنقدين العزيزين ويبعدون عن الانحراف فى عامة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقين والهند والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الفرنجة والجلالقة والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء اوقريبا منهم فى هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثانى والسادس والسابع فاهلها ابعد من الاعتدال فى جميع احوالهم فبناؤهم بالطين والقصب واقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم من اوراق الشجر يخصفونها عليهم او الجلود واكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وادمها غريبة التكوين مائلة الى

الانحراف ومعاملاتهم بغير الحجرين الشريفين من نحاس اوحديد او جلود يقدرونها للمعاملات واخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن الكثير من السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون الكهوف والغياض ويأكلون العشب وانهم متوحشون غير مستانسين يأكل بعضهم بعضا وكذا الصقالبة والسبب فى ذلك انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجتهم واخلاقهم من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك وكذلك احوالهم فى الديانة ايضا فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة الامن قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو فى الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل مالى وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دانوا به فى المائة السابعة ومثل من دان بالنصرانية من امم الصقالبة والافرنجة والترك من الشمال من سوى هؤلاء من اهل تلك الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم وجميع احوالهم بعيدة من احوال الاناسى قريبة من احوال البهائم * ويخلق ما لا تعلمون * ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد الحجاز واليمامة وما يليها من جزيرة العرب فى الاقليم الاول والثانى فان جزيرة العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلث فكان لرطوبتها اثر فى رطوبة هوائها فنقص ذلك من اليبس والانحراف الذى يقتضيه الحر وصار فيه بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر * وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبائع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من ابيه ظهر اثرها فى لونه وفيما جعل الله من الرق فى عقبه وينقلون فى ذلك حكاية من خرافات القصاص

ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع فى التوراة وليس فيه ذكر السواد وانما
دعا عليه بان يكون ولده عبيدا لولد اخوته لا غير وفى القول بنسبة
السواد الى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرهما فى الهواء وفيما
يتكون فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول
والثانى من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت
رؤوسهم مرتين فى كل سنة قريبة احدهما من الاخرى فتطول المسامتة
عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها ويلح القيظ الشديد عليهم وتسود
جلودهم لافراط الحر ونظير هذين الاقليمين مما يقابلهما من الشمال
الاقليم السابع والسادس شمل سكانهما ايضا البياض من مزاج هوائهم
للبرد المفرط فى الشمال اذ الشمس لا تزال بافقهم فى دائرة مرأى العين
اوما قرب منها ولا ترتفع الى المسامتة ولا ما قرب منها فيضعف
الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض الوان اهلها وتنتهى
الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة
العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسطت بينهما الاقاليم
الثلثة الخامس والرابع والثالث فكان لها فى الاعتدال الذى هو مزاج
المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها فى الاعتدال غاية لنهايته فى التوسط
فكان لاهله من الاعتدال فى خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج اهويتهم
وتبعه عن جانبيه الثالث والخامس وان لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا
قليلا الى الجنوب الحار وهذا قليلا الى الشمال البارد الا انهما لم يذهبا
الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها كذلك فى
خلقهم وخلقهم فالاول والثانى للحر والسواد والسابع والسادس للبرد
والبياض ويسمى سكان الجنوب من الاقليمين الاول والثانى باسم
الحبشة والزنج والسودان اسماء مترادفة على الامم المتغيرة بالسواد
وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن
تجاه بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من اجل انتسابهم الى آدمى

اسود لا حام ولا غيره وقد نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الربع المعتدل او السبع المنحرف الى البياض فتبيض الوان اعقابهم على التدريج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب تسود الوان اعقابهم وفى ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا فى ارجوزته فى الطب

* بالزنج حر غير الاجسادا * حتى كسا جلودها سوادا *
* والصقلب اكتسبت البياضا * حتى غدت جلودها بضاضا *

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضعة للاسماء فلم يكن فيه غرابة يحمل على اعتباره فى التسمية لموافقته واعتياده ووجدنا سكانه من الترك والصقالبة والتغرغر والخزر واللان والكثير من الافرنجة ويأجوج ومأجوج اسماء متفرقة واجيالا متعددة مسمين باسماء متنوعة واما اهل الاقاليم الثلثة المتوسطة اهل الاعتدال فى خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتمار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرئاسات والملك فكانت فيهم النبوات والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمبانى والفراسة والصنائع الفائقة وسائر الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقاليم التى وقفنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنى اسرائيل واليونان واهل السند والهند والصين ولما راى النسابون اختلاف هذه الامم بسماتها وشعارها حسبوا ذلك لاجل الانساب فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا فى الوانهم فتكلفوا نقل تلك الحكاية الواهية وجعلوا اهل الشمال كلهم اواكثرهم من ولد يافث واكثر الامم المعتدلة واهل الوسط المنتحلين للعلوم والصنائع والملل والشرائع والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وان

صادف الحق فى انتساب هؤلاء فلبس ذلك بقياس مطرد انما هو اخبار عن الواقع لان تسمية اهل الجنوب بالسودان والحبشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود وما اداهم الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان التمييز بين الامم انما يقع بالانساب فقط وليس كذلك فان التمييز للجيل او الامة يكون بالنسب فى بعضهم كما للعرب وبنى اسرائيل والفرس ويكون بالجهة والسمة كما للزنج والحبشة والصقالبة والسودان ويكون بالعوائد والشعار والنسب كما للعرب ويكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول فى اهل جهة معينة من جنوب اوشمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نحلة او لون او سمة وجدت لذلك الاب انما هو من الاغاليط التى وقع فيها الغفلة عن طبائع الاكوان والجهات وان هذه كلها تتبدل فى الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله فى عباده * ولن تجد لسنة الله تبديلا * والله ورسوله اعلم بغيبه واحكم وهو المولى المنعم الرؤوف الرحيم

﴿ ذكر المساجد العظيمة فى العالم ﴾

اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن العبادة يضاعف فيها الثواب وتنمو بها الاجور واخبرنا بذلك على السن رسله وانبيائه لطفا بعباده وتسهيلا لطرق السعادة لهم وكانت المساجد الثلاثة هى افضل بقاع الارض حسب ما ثبت فى الصحيحين وهى مكة والمدينة وبيت المقدس ﴿اما البيت الحرام﴾ الذى بمكة فهو بيت ابراهيم عليه الصلوة والسلام امره الله ببنائه وان يؤذن فى الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسمعيل كما نصه القرآن وقام بما امره الله فيه وسكن اسمعيل به مع

هاجر و من نزل معهم من جرهم الى ان قبضهما الله ودفنا بالحجر منه * وبيت المقدس بناه داود عليه السلام وسليمان امرهما الله ببناء مسجده ونصب هياكله و دفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حواليه والمدينة مهاجر نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم امره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها فبنى مسجده الحرام بها وكان ملحده الشريف فى تربتها فهذه المساجد الثلثة قرة عين المسلمين ومهوى افئدتهم وعظمة دينهم وفى الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب فى مجاورتها والصلوة فيها كثير معروف فلنشر الى شئ من الخبر عن اولية هذه المساجد الثلثة وكيف تدرجت احوالها الى ان كمل ظهورها فى العالم * فاما مكة فاوليتها فيما يقال ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وانما اقتبسوه من محل الآية فى قوله * واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل * ثم بعث الله ابراهيم وكان من شانه وشأن زوجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف واوحى الله اليه ان يترك ابنه اسمعيل وامه هاجر بالفلاة فوضعهما فى مكان البيت وسار عنهما وكيف جعل الله لهما من اللطف فى نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرهم بهما حتى احتملوهما وسكنوا اليهما ونزلوا معهما حوالى زمزم كما عرف فى موضعه فاتخذ اسمعيل بموضع الكعبة بيتا يأوى اليه وادار عليه سياجا من الدوم وجعله زربا لغنمه وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مرارا لزيارته من الشام امر فى آخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب فبناه واستعان فيه بابنه اسمعيل ودعا الناس الى حجه وبقى اسمعيل ساكنا به ولما قبضت امه هاجر وقام بنوه من بعده بامر البيت مع اخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل افق من جميع اهل الخليقة لا من بنى اسمعيل ولا من

غيرهم ممن دنا او نأى فقد نقل ان التبابعة كانت تحج البيت و تعظمه وان تبعا كساها الملاء والوصائل و امر بتطهيرها و جعل لها مفتاحا ونقل ايضا ان الفرس كانت تحجه وتقرب اليه و ان غزالى الذهب الاذين وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم كانا من قرابينهم ولم يزل بجرهم الولاية عليه من بعد ولد اسمعيل من قبل خؤولتهم حتى اذا خرجت خزاعة واقاموا بها بعدهم ماشاء الله ثم كثر ولد اسمعيل وانتشروا و تشعبوا الى كنانة ثم كنانة الى قريش و غيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على امره و اخرجوهم من البيت وملكوا عليهم يومئذ قصى بن كلاب فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل قال الاعشى

* حلفت بثوبى راهب الدير والتى * بناها قصى و المضاض بن جرهم *

ثم اصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم و اعادوا بناءه وجمعوا النفقة لذلك من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا عن قواعده و تركوا منه ستة اذرع وشبرا اداروها بجدار قصير يطاف من ورائه و هو الحجر وبقى البيت على هذا البناء الى ان تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه و زحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية مع الحصين بن نمير السكونى و رمى البيت سنة اربع و ستين فاصابه حريق يقال من النفط الذى رموا به على ابن الزبير فاعاد بناءه احسن ما كان بعد ان اختلفت عليه الصحابة فى بنائه و احتج عليهم بقول رسول الله صلعم لعائشة رضى الله عنها * لولا قومك حديثوا عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجعلت له بابين شرقيا و غربيا * فهدمه و كشف عن

اساس ابراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والاكابر حتى عاينوه واشار عليه ابن عباس بالتحرى فى حفظ القبلة على الناس فادار على الاساس الخشب ونصب من فوقها الاستار حفظا للقبلة وبعث الى صنعاء فى الفضة والكلس فحملها وسأل عن مقطع الحجارة الاول فجمع منها ما احتاج اليه ثم شرع فى البناء على اساس ابراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالارض كما روى فى حديثه وجعل فرشها وازرها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ثم جاء الحجاج لحصاره ايام عبد الملك ورمى على المسجد بالمجنيقات الى ان تصدعت حيطانها ثم لما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده فى البيت فامره بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هى اليوم ويقال انه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة وقال وددت انى كنت حملت اباخبيب فى امر البيت وبنائه ما تحمل فهدم الحجاج منها ستة اذرع وشبرا مكان الحجر وبناها على اساس قريش وسد الباب الغربى وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقى وترك سائرها لم يغير منه شيئا فكل البناء الذى فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج فى الحائط صلة ظاهرة للعيان لحمة ظاهرة بين البنائين والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لحم ويعرض ها هنا اشكال قوى لمنافاته لما يقوله الفقهاء فى امر الطواف ويحذر الطائف عن ان يميل على الشاذروان الدائر على اساس الجدر من اسفلها فيقع طوافه داخل البيت بناء على ان الجدر انما قامت على بعض الاساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان وكذا قالوا فى تقبيل الحجر الاسود لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوى قائما لئلا يقع بعض طوافه داخل البيت واذا كان الجدران كلها من بناء ابن الزبير وهو انما على اساس ابراهيم فكيف يقع

هذا الذى قالوه ولا مخلص من هذا الا باحد امرين اما ان يكون
الحجاج هدم جميعه واعاده وقد نقل ذلك جماعة الا ان العيان
فى شواهد البناء بالتحام ما بين بنائين وتميز احد الشقين من اعلاه
عن الآخر فى الصناعة يرد ذلك واما ان يكون ابن الزبير لم يرد
البيت على اساس ابراهيم من جميع جهاته وانما فعل ذلك فى الحجر
فقط ليدخله فهى الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على
قواعد ابراهيم وهذا بعيد ولا محيص من هذين والله تعالى اعلم *
ثم ان مساحة البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفين ولم يكن عليه
جدر ايام النبى صلى الله عليه وآله وسلم وابى بكر من بعد ثم كثر
الناس فاشترى عمر رضى الله عنه دورا هدمها وزادها فى المسجد
وادار عليها جدارا دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير
ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعمد الرخام ثم زاد فيه المنصور وابنه
المهدى من بعده ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك لعهدنا
وتشريف الله لهذا البيت وعنايته به اكثر من ان يحاط به وكفى من
ذلك ان جعله مهبطا للوحى والملائكة ومكانا للعبادة وفرض له شعائر
الحج ومناسكه واوجب لحرمه من سائر نواحيه من حقوق التعظيم
والحق ما لم يوجبه لغيره فمنع كل من خالف دين الاسلام من دخول
ذلك الحرم واوجب على داخله ان يتجرد ومن المخيط الا ازارا يستره
وحمى العائذ به والراتع فى مسارحه من مواقع الآفات فلا يرام فيه
خائف ولا يصاد له وحش ولا يحتطب له شجر وحد الحرم الذى
يختص بهذه الحرمة من طريق المدينة ثلثة اميال الى التنعيم ومن
طريق العراق سبعة اميال الى الثنية من جبل المنقطع ومن طريق
الطائف سبعة اميال الى بطن نمرة ومن طريق جدة سبعة اميال
الى منقطع العشائر هذا شأن مكة وخبرها وتسمى ام القرى وتسمى
الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال لها بكة قال الاصمعى لان الناس

يبك بعضهم بعضا اليها اي يدفع وقال مجاهد باء بكة ابدلوهـا ميما كما قالوا لازب ولازم لقرب المخرجين وقال النخعي بالبـاء البيت وبالميم البلد وقال الزهري بالباء للمسجد كله وبالميم للحرم وقد كانت الامم منذ عهد الجـاهلية تعظمه والملوك تبعث اليـه بالاموال والذخائر ككسرى وغيره وقصة الاسياف وغزالى الذهب معروفة وقد وجد رسول الله صلعم حين افتتح مكة في الجب الذي كان فيه سبعين الف اوقية من الذهب مما كان الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين بمائتي قنطار وزنا وقال له على بن ابى طالب يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابى بكر فلم يحركه هكذا قال الازرقى وفى البخارى بسنده الى وائل قال جلست الى شيبة بن عثمان وقال جلس الى عمر بن الخطاب فقال هممت ان لا ادع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين قلت ما انت بفاعل قال ولم قلت لم يفعله صاحباك فقال همـا اللذان يقتدى بهما وخرجه ابو داود وابن ماجة واقام ذلك المال الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن الحسين بن على بن على زين العابدين سـنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة عمد الى الكعبة فاخذ ما فى خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا ينتفع به نحن احق به نستعين به على حربنـا واخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ ذكـر ذلك كله ابن خلدون فى تاريخه وفى كتابنـا « رحلة الصديق الى البيت العتيق » من شان الكعبة ومكة ومناسك الحج والعمرة ما يغنى قال القاضى محمد بن على الشوكانى فى « ارشاد السائل الى دليل المسائل » عمارة المقـامات بمكة المكرمة بدعة باجماع المسلمين احدثها شر ملوك الجراكسة فرح بن برقوق فى اوائل المـائة التـاسعة من الهجرة وانكر ذلك اهل العلم فى ذلك العصر ووضعوا فيه مؤلفـات وقد بينت ذلك فى غير هـذا الموضع وبالله العجب

من بدعة يحدثها من هو من شر ملوك المسلمين فى خير بقاع الارض كيف لم يغضب لها من جاء بعده من الملوك المسائلين الى الخير لا سيما وقد صارت هذه المقامات سببا من اسباب تفريق الجماعات وقد كان الصادق المصدوق ينهى عن الاختلاف والفرقة و يرشد الى الاجتماع والالفة كما فى الاحاديث الصحيحة بل نهى عن تفريق الجماعات فى الصلوات و بالجملة فكل عاقل متشرع يعلم انه حدثت بسبب هذه المذاهب التى فرقت فرق الاسلام مفسدة اصيب بها الدين و اهله وان من اعظمها خطرا واشدها على الاسلام ما يقع الآن فى الحرم الشريف من تفريق الجماعات ووقوف كل طائفة فى مقام من هذه المقامات كانهم اهل اديان مختلفة وشرائع غير مؤتلفة فانا لله وانا اليه راجعون * واما رفع المنارات فاصل وضعها لمقصد صالح وهو اسماع البعيد عن محل الاذان وهذه مصلحة مسوغة اذا لم تعارضها مفسدة فان عارضتها مفسدة من المفاسد المخالفة للشريعة فدفع المفاسد مقدم على جلب المصالح كما تقرر ذلك فى الاصول واما تشييد البنيان ورفعه فوق حاجة الانسان فقد ورد النهى عنه والوعيد عليه وثبت انه صلعم امر بهدم بعض الابنية وليس ذلك مجرد بدعة بل خلاف ما ارشد اليه الشارع انتهى كلامه ﴿ واما بيت المقدس ﴾ وهو المسجد الاقصى فكان اول امره ايام الصابئة موضع الزهرة وكانوا يقربون اليه الزيت فيما يقربونه يصبونه على الصخرة التى هناك ثم دثر ذلك الهيكل واتخذها بنو اسرائيل حين ملكوها قبلة لصلاتهم وذلك ان موسى صلوات الله عليه لما خرج ببنى اسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما وعد الله اباهم اسرائيل و اباه اسحق من قبله واقاموا بارض التيه امره الله باتخاذ قبة من خشب السنط عين بالوحى مقدارها وصفتها وهياكلها وتماثيلها وان يكون فيها التابوت ومائدة بصحافها

ومنارة

ومنارة بقناديلها و ان يضع مذبحا للقربان وصف ذلك كله فى التوراة اكمل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذى فيه الالواح المصنوعة عوضا عن الالواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت و وضع المذبح عندها و عهد الله الى موسى بان يكون هارون صاحب القربان و نصبوا تلك القبة بين خيامهم فى التيه يصلون اليها و يتقربون فى المذبح امامها و يتعرضون للوحى عندها و لما ملكوا الشام و بقيت تلك القبة قبلتهم و وضعوها على الصخرة ببيت المقدس و اراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربع سنين من ملكه و لخمسمائة سنة من وفاة موسى و اتخذ عمده من الصفر و جعل به صرح الزجاج وغشى ابوابه وحيطانه بالذهب وصاغ هياكله وتماثيله واوعيته ومنارته ومفتاحه من الذهب وجعل فى ظهره قبرا ليضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذى فيه الالواح وجاء به من صيهون بلد ابيه داود تحمله الاسباط و الكهونية حتى وضعه فى القبر ووضعت القبة والاوعية والمذبح لكل واحد حيث اعد له من المسجد واقام كذلك ما شاء الله ثم خربه بخت نصر بعد ثمانمائة سنة من بنائه و احرق التوراة والعصا وصاغ الهياكل ونثر الاحجار ثم لما اعادهم ملوك الفرس بناه عزير نبى بنى اسرائيل لعهده باعانة بهمن ملك الفرس الذى كانت الولادة لبنى اسرائيل عليه من سبى بخت نصر وحد لهم فى بنائه حدودا دون بناء سليمان بن داود عليهما السلام فلم يتجاوزوها ثم تداولتهم ملوك اليونان و الفرس و الروم واستفحل الملك لبنى اسرائيل فى هذه المدة ثم لبنى حشمان من كهنتهم ثم لصهرهم هيردوس ولبنيه من بعده و بنى هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتأنق فيه حتى اكمله فى ست سنين فلما جاء طيطش من ملوك الروم وغلبهم و ملك امرهم خرب بيت المقدس ومسجدها و امر ان يزرع

مكانه ثم اخذوا الروم بدين المسيح عليه السلام و دانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم فى الاخذ بدين النصارى تارة وتركه اخرى الى ان جاء قسطنطين وتنصرت امه هيلانه وارتحلت الى القدس فى طلب الخشبة التى صلب عليها المسيح بزعمهم فاخبرها القساوسة بانه رمى بخشبته على الارض والقى عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كانها على قبره بزعمهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وامرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وخفى مكانها جزاء بزعمها لما فعلوه بقبر المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذى ولد فيه عيسى عليه السلام وبقى الامر كذلك الى ان جاء الاسلام وحضر عمر افتتح بيت المقدس وسال عن الصخرة فارى مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق البداوة وعظم من شأنه ما اذن الله من تعظيمه وما سبق من ام الكتاب فى فضله حسب ما ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك فى تشييد مسجده على سنن مساجد الاسلام بماشاء الله من الاحتفال كما فعل فى المسجد الحرام وفى مسجد النبى صلعم بالمدينة وفى مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد والزم ملك الروم ان يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وان ينمقوها بالفسيفساء فاطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما ضعف امر الخلافة اعوام الخمسمائة من الهجرة فى آخرها وكانت فى ملكة العبيديين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل امرهم زحف الفرنجة الى بيت المقدس فملكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها ويفتخرون ببنائها حتى اذا استقل صلاح الدين بن ايوب الكردى بملك مصر والشام ومحا اثر العبيديين وبدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا

ملكوه

ملكوه من ثغور الشام وذلك نحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة وهدم تلك الكنيسة واظهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذى هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض لك الاشكال المعروف فى الحديث الصحيح ان النبى صلعم سئل عن اول بيت وضع فقال مكة قبل ثم اى قال بيت المقدس قيل فكم بينهما قال اربعون سنة فان المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لان سليمان بانيه وهو ينيف على الالف بكثير واعلم ان المراد بالوضع فى الحديث ليس البناء وانما المراد اول بيت عين للعبادة ولا يبعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة وقد نقل ان الصابئة بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك انها كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الاصنام والتماثيل حوالى الكعبة وفى جوفها والصابئة الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تبعد مدة الاربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان اول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام فتفهمه ففيه حل هذا الاشكال ﴿ واما المدينة ﴾ وهى المسماة يثرب فهى من بناء يثرب بن مهلائيل من العمالقة وملكها بنو اسرائيل من ايديهم فيما ملكوا من ارض الحجاز ثم جاورهم بنو قيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها ثم امر النبى صلعم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر اليها ومعه ابو بكر وتبعه اصحابه ونزل بها وبنى مسجده وبيوته فى الموضع الذى كان الله قد اعده لذلك وشرفه فى سابق ازله وآواه ابناء قيلة ونصروه فلذلك سموا الانصار وتمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها وظن الانصار انه يتحول عنهم الى بلده فاهمهم ذلك فخاطبهم رسول الله صلعم واخبرهم انه غير متحول حتى اذا قبض

رسول الله صلعم كان مطهره الشريف بها وجاء في فضلها من الاحاديث الصحيحة ما لا خفاء به و وقع الخلاف بين العلماء فى تفضيلها على مكة وبه قال مالك رحمه الله لما ثبت عنده فى ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان النبى صلعم قال * المدينة خير من مكة * نقل ذلك عبد الوهاب فى المعونة الى احاديث اخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف ابو حنيفة والشافعى رحمه الله واصبحت على كل حال ثانية المسجد الحرام و جنح اليها لامم بافئدتهم من كل اوب فانظر كيف تدرجت الفضيلة فى هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتفهم سر الله فى الكون وتدريجه على ترتيب محكم فى امور الدين و الدنيا واما غير هذه المساجد الثلثة فلا نعلمه فى الارض الا ما يقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شئ يعول عليه وقد كانت للامم فى القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس و الهند والصين وهياكل اليونان و بيوت العرب بالحجاز التى امر النبى صلعم بهدمها فى غزواته وقد ذكر المسعودى منها بيوتا لسنا من ذكرها فى شئ اذ هى غير مشروعة ولا هى على طريق دينى ولا يلتفت اليها و لا الى الخبر عنها و يكفى فى ذلك ما وقع فى التواريخ فمن اراد معرفة الاخبار فعليه بها و الله يهدى من يشاء سبحانه و تعالى عما يشركون ذكر ذلك كله ابن خلدون وقد عقدنا فصلا فى التفاضل بين مكة والمدينة فى كتابنا رحلة الصديق الى البيت العتيق وذكرنا فيه انه قال محمد بن على الشوكانى فى « نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار » بعد ما ذكر ادلة الفريقين بالبسط ان الاستيعاب ببيان الفاضل من هذين الموضعين الشريفين كالاشتغال ببيان الافضل من القرآن الكريم والنبى صلى الله عليه وآله وسلم و الكل من فضول الكلام الذى لا يتعلق به فائدة غير الجدال

والخصام

والخصام وقد افضى النزاع فى ذلك واشباهه الى فتن. وتلفيق
حجج واهية كاستدلال المهلب على افضلية المدينة بانها هى التى
ادخلت مكة وغيرها من القرى فى الاسلام فصار الجميع فى صحائف
اهلها وبانها تنفى الخبث كما ثبت فى الحديث الصحيح وقد اجيب
عن هذين الاستدلالين فى موضعه انتهى * وعن ابى سعيد الخدرى
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلعم * لا تشد الرحال الا الى ثلثة
مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى * متفق
عليه وصورة هذا الحديث نفى والمراد به النهى كأنه قال لا يستقيم
شرعا ان يقصد المساجد او البقاع الاخرى بالزيارة الا هذه البقاع
الثلثة لاختصاصها بما اختصت به من المزايا التى شرفها الله تعالى
بها وقال اهل الاصول خبر الشارع آكد من الامر والنهى
وقد استدل بهذا الحديث جمع من اهل العلم اكبرهم شيخ الاسلام
احمد بن تيمية رضى الله عنه وارضاه على منع السفر للزيارة الى
مشاهد الانبياء والاولياء ومقابر المشايخ والاصفياء وهو استنباط
حسن المسلك وبه قال مالك امام دار الهجرة والقاضى عياض
ومن خالفه فى ذلك اوطعن عليه لم يأت بما يشفى العليل ويروى
الغليل وقد بسطنا الكلام على هذا الحديث فى مؤلفاتنا بسطا لائقا
ومهدناه مهدا فائقا فمن شاء الاطلاع على مباحثه فعليه « بمسك الختام
شرح بلوغ المرام » وامثاله ففيه مقنع وبلاغ والذين لم يبلغوا معشار
ما آتاه الله من العلم والعمل قد اقاموا عليه الطامة الكبرى فى هذه
المسئلة واخواتها ولهم فى ذلك قلاقل وزلازل قديما وحديثا
ليس هذا موضع ذكرها والحق الذى لا محيص عنه هو ما دل
عليه حديث الباب بظاهره وله شواهد من الاخبار الصحيحة والآثار
المأثورة

* وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا *

وفق الله اخواننا من المسلمين الى القول الحق والعمل الصدق على مراد الله فى كتابه العزيز ومراد رسوله فى السنة المطهرة وجنبنا واياهم عما لم يرد فيه نص من القرآن والحديث اولم يقل به سلف الامة وائمتها اولم يعمل به احد من الصحابة والتابعين والذين اتبعوهم باحسان وكم من آية وسنة دلت على الاتباع ونهت عن التقليد والابتداع وهى لا تخفى على من عرف دواوين الاسلام ومارس الفرقان ولكن مفاسد الجهل والتعصب اكثر من ان تضبط او تحيط بها الاذهان وكم للعلماء من كتب ضخمة ورسائل جمة فى هذا الشأن فى لسان العرب والعجم تدفع بها اهل الايمان فى صدور الناكثين والمارقين من اهل الطغيان فمن قدر الله له السعادة فى الازل يوفق لها ويكون علمه له عليها دليلا ومن جعله شقيا فى علمه فهو لا يهتدى اليه سبيلا

* ولا بد من شكوى الى ذى مروة * يواسيك او يسليك او يتوجع *

وهذا زمان جاء فيه الجهل وحلى مذاقه وذهب عنه العلم برمته وطاب فراقه لا ترى واحدا من الناس يحزن على عقباه انما يبكى كل واحد منهم على دنياه فهم * الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * حتى نبعت فرقة لعهدنا هذا فى مملكة الهند تقول بالملة النيچرية وتنصر النصارى وتخذل المسلمين بادلة واهية وشكوك شيطانية وحجج داحضة وانها دعاة فى ديارها يدعون ضعفاء العقول وسفهاء الاحلام الى قبول قولها وتحسين فعلها وما هى باول فتنة حدثت فى الاسلام او قارورة كسرت فيه فكم من دجاجلة كاذبة خاطئة ظهرت قديما فى الملة الحقة وكم بلغت الشريعة الصادقة من ايديها الفاسدة وآرائها الكاسدة انواع المحن

والمشقة

والمشفقة وتلالأ رونقها فى بدء الولاية ثم ادرك الله سبحانه وتعالى ثارها على ايدى حماة الدين القويم وسالكى الصراط المستقيم السادة القادة وانجز وعده ونصر حزبه وصدق رسوله وعبده فيما قال * لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى يأتى امر الله * فرحم الله عبدا ابصر الحق حقا واتبعه ورأى الباطل باطلا واجتنبه وانتصف من نفسه كما انتصف من غيره ولم يبال بقبول الخلق ورده وآثر الحق على الخلق ونصر الله ورسوله فى اتباع كتابه وسنة رسوله ولم يقلد آراء الرجال ولم يلتفت الى كتب القيل والقال واخذ الدين من حيث اخذه السلف الصلحاء واقتبس الانوار من مشكوة مصابيح السنة البيضاء وعلم ان الرأى ثلمة فى مكان الدين وتحريف فى سواذج الشرع المبين وانما القضاء ما قضى الله به والرسول فى الكتاب والسنة على السنة الفحول من اهل القرآن والحديث جهينة الاخبار وعيبة الآثار ودارسى الرق المنزل من السماء وآخذى السنن من رجال الصدق والصفاء ورواة العز والعلاء وعاملى الصالحات ومقدمى الروايات على الصناعات واولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وتلك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والله يهدى الى الحق من يشاء اللهم كن لى حيثما كنت ولا تشمت بى الاعداء

﴿ ذكر حكم الصلوة والصوم فى ارض التسعين ﴾

قال الشيخ رفيع الدين الدهلوى فى بعض افاداته لم اجد احدا من اهل العلم تكلم فى ذلك ولم يذكر الفقهاء فى كتاب من كتب الفقه حكم هذه المسئلة بالخصوص ولعل السلف من العلماء لما رأوا هذا الموضع من الارض لا يسكن فيه حيوان فضلا عن نوع الانسان

ولا يمكن ذلك طووا كشح البحث عن ذكرها وعلموا ان لا فائدة
فى البحث عن ذلك لان الشمس بعدت عن تلك الارض جدا واستوت
عليها البرودة غاية الاستيلاء حتى لم يمكن العيش بها لذى حيوة ابدا
فان الحيوة تتوقف على الحرارة الغريزية وهى لا توجد هناك فكيف
يعيش او كيف يوجد بها حيوان وحينئذ البحث عن حكم الصلوة
والصوم فى تلك البقعة من الارض المفروضة عبث لا جدوى تحته
ولكن القرآن العزيز يستفاد منه حكمها فى هذا الموضع من الارض
وصورته هكذا ان الشمس اذا دخلت بحركتها الخاصة فى البروج
الشمالية من الحمل الى آخر السنبلة لا تغيب عند سكانها فى تمام دورة
اليوم والليلة بل تقطع كل يوم مدارا بحركة فلك الافلاك وعلى هذا
ينبغى ان يجعل المصلى مدار كل يوم حصتين ويعتبر احدهما يوما
ويصلى فيه للصلوات الثلث الصبح والظهر والعصر فى مواقيتها
بتقسيم ذلك المدار على تلك الاوقات ويعتبر النصف الآخر ليلا
ويصلى فيه المغرب اولا ثم اذا بلغت الشمس ربع المدار يصلى العشاء
الآخرة وهذا حكم الصلوة حين تكون الشمس فى المدارات الشمالية
ظاهرة فى انظار سكانها واما اذا كانت فى البروج الجنوبية من الميزان
الى آخر الحوت فيقدر المدارات الجنوبية كما كان قدر المدارات الشمالية
وينصف اليوم والليلة ويعتبر احد النصفين ليلا والآخر يوما لان
كلا من المدارات الشمالية والجنوبية متساويان لا تفاوت بينهما وان
وجدا متفاوتين فى النظر باختلاف الاوج والحضيض تفاوتا غير محسوس
واما الصوم فيستفسر من اهل المراكب التى تأتى من قرب الارض
المعمورة اى شهر هذا من الشهور القمرية فاذا اخبروهم بذلك
حسبوا كل شهر ثلثين يوما من الشهور القمرية الاخرى فاذا جاء
شهر رمضان على ذلك الحساب يجعل نصف المدار يوما والنصف
الآخر ليلا ويصوم بالنهار ويفطر بالليل كما ذكرنا فى الصلوة وهذا

هو

هو الطريق السهل وان كانت هناك آلات الحجامية ومعرفة التقاويم
كما يذكر ان فى بلاد الروم اجراسا تصنع لمعرفة الشهور يعرفون بها
جملة تشكلات الشهر القمرى من اوله الى آخره فيعتبر بهذه الآلة اولا
شهر رمضان ثم بآلة اخرى ساعات اليوم والليلة ويفطر الصائم على
وفقها ويمكن ان يعرف منازل القمر من ابتداء ذلك الشهر ويجعل
كل منزل منها قسمين فيعتبر نصفا منه اليوم ونصفا الليل واسهل
الطرق ان القمر منطقته المائلة تميل خمس درجات من منطقة البروج
فاذا كان القمر فى المنازل الشمالية كان مداره دائم الظهور على
سكان تلك الارض فينصف كل مدار ويصوم ويفطر واذا سار
القمر فى البروج الجنوبية يعمل على ذلك الحساب الكائن فى المنازل
الشمالية وهذا الحكم دل عليه قوله تعالى * هو الذى جعل الشمس
ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب *
ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهذه المنازل مقسومة على
البروج وهى اثنا عشر برجا ولكل برج منزلتان وثلث فينزل
القمر كل ليلة منها منزلا ويكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل
والمعنى لتعلموا عدد الشهور والايام والساعات وما يتفرع عليها
مثل الصلوة والصوم وحلول الديون ووجوب المشاهرة وغير ذلك
وقوله تعالى * الشمس والقمر بحسبان * اى يجريان بحساب البروج
والمنازل لا يعدوانها يعنى بهما نحسب الاوقات والآجال فان قيل
ان اوقات الصلوات موقوفة على ساعات الليل والنهار طويلة كانت
او قصيرة فيجب ان يصلى ثلث صلوات فى سنة اشهر وصلاتين فى
السنة الآخرة وكذلك الصوم فى الشرع انما يجب بطلوع القمر فى
اول الشهر وعلى هذا اذا طلع القمر على سكان تحت القطب بحركته
الخاصة يصوم من هناك بطلوعه واذا سار نحو الجنوب يفطر من
بها بسيره * قلت هذه الصورة تخالف مقصود الشرع ومقصود الآيات

الكريمة بوجوه احدها ان انقسام اوقات الصلوة على ساعات اليوم والليلة انما يتعلق بحركة اولية هى اسرع الحركات بحركة الشمس الخاصة بها فى فلكها قال الله تعالى * وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا * اى يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان فى الضياء والظلام والزيادة والنقصان فمن فاته عمله فى احدهما قضاه فى الآخر والمعنى يذكر باللسان او القلب او يشكر نعمة ربه عليه بالجسد والجوارح فعلم من هذه الآية ان اليوم والليل المتعلقين بالحركة الاولية هما المتعينان للذكر والشكر والصوم داخل فى الشكر لان الصائم يصون بدنه بترك الغذاء لله تعالى وثانيها ان الصلوة انما فرضت لاجل ان يتوجه العبد الى خالقه ساعة فساعة بفاصلة يسيرة ومسافة قليلة ويعبده هكذا حتى يستولى لون التوجه والعبادة على روحه ونفسه ويذهب عنه صبغ الغفلة والسكرة فان تقع هذه القضية فى عام خمس مرات لا تؤثر فى الروح والجسد اصلا بل نقس وكذلك الصوم ان امتد افطاره الى ستة اشهر فى حق سكان تلك الارض لكان لهم تكليف بما لا يطاق فان الامتناع من الاكل والشرب الى هذه الغاية الطويلة مهلك فى مجارى العادات وقد نطق الكتاب العزيز بنفى هذا التكليف قال تعالى * لا يكلف الله نفسا الا وسعها * وايضا قال تعالى عند ذكر فرضية الصوم * كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات * والظاهر ان عد الايام فى شهر واحد يكون فى اقل من شهر عرفا فيعدون مثلا ايام الشهر ويقولون يوم او يومان او ثلثة ايام او اربعة ايام واذا تجاوزوا الشهر قالوا شهر او شهران او ثلثة اشهر او شهران ونصف فعلم ان الصيام لا يزيد على شهر فضلا عن ان يزيد الى ستة اشهر وقال بعض المتفقهين موردا للشبهة فى هذا

المقام ان فى كتب الاصول ان الصلوة والصوم انما سبب وجوبهما الوقت وليس فى ارض التسعين وقت لهما يعنى لا طلوع ولا زوال ولا غروب فى كل يوم حتى تجب الصلوة والصوم والمسبب لا يتحقق الا بوجود السبب والجواب عنه ان المراد بكون الوقت سببا للوجود هو العلامة والا فاصل السبب فى الوجوب انما هو حكم الله سبحانه حكم به لحكمة مقصودة فالسبب فى وجوب الصلوة حقيقة التنبه بذكر الخالق وفكره ودفع الغفلة عن تذكره وفى الصوم كسر النفس وهضمها بترك المألوفات الى مدة طويلة وهذه الاسباب تلازم وجود نوع الانسان انما كان وكيفما كان وعلى ان الشرع الشريف فيه يسر يمكن استخراج حكم الصلوة والصوم بطريق آخر وهو اذا كان اليوم ستة اشهر والليل ستة اشهر يستحيل عادة ان يبقى يقظانا ويشتغل بالحوائج تلك المدة على الاتصال فى النهار او ينام بلا حس وحركة الى تلك المدة الطويلة بحكم الجبلة البشرية بل لا بد ان يفرق بين هذه المدة ويجعل وقتا للاستراحة والنوم ووقتا آخر للكسب والمعاش فهذا الوقت يكون فى حقه يوما ويصلى فيه صلوات النهار والوقت الاول يكون ليلا ويصلى فيه صلوة الليل فى اول الوقت واوسطه وكذلك يعمل فى الصوم وفى افطاره وهذا طريق سهل يوافق قواعد الفقه لان العرف والعادة له اعتبار فى بعض الاحكام عند الضرورة والقرآن الكريم يشير الى اصل هذا المطلب قال الله تعالى * فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا * اى بحساب معلوم للشهور والاعوام لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما وقال تعالى * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله * يعنى جعل الليل للسكون والاستراحة واليوم لكسب المعاش وهذه العبارة فيها لف ونشر مرتب وعلم منها ان الليل وقت للاستراحة حقيقة كيفما كان

وكذلك اليوم وقت لابتغاء الفضل وهو المعاش كيفما يكون ولا يقف ذلك على طلوع الشمس والقمر وغروبهما انتهى كلامه

﴿ ذكر حكم الصلوة والصوم بارض البلغار ﴾

بلغار بضم البـاء الموحدة فسكون اللام والالف بين الغين المعجمـة والراء وضبطه فى القاموس بلا الف وقال العامة تقول بلغـار وهى مدينة الصقالبة ضاربة فى الشمال شديدة البرد انتهى * يطلع الفجر فيهـا قبل غروب الشفق ويفقد وقت العشاء والوتر وكذلك وقت الفجر ايضا فى اربعينية الصيف ففاقدهما مكلف بهما يجب عليه صلوة العشاء والوتر ويقدر الوقت كما فى ايام الدجال والمراد بالتقدير ما قاله الشافعية من انه يكون وقت العشاء فى حقه بقدر ما يغيب فيه الشفق فى اقرب البلاد اليه والاول اظهر والوجوب عليه قضاء لا اداء وبه افتى البرهان الكبير واختاره الكمال وقد يقال لا مانع من كونهـا لا اداء ولا قضاء وقيل ان الصلوة الواقع بعضها فى الوقت وبعضها خارجـه يسمى ما وقع منها فى الوقت اداء وما وقع خارجه قضـاء اعتبارا لكل جزء بزمانه وقيل لا يكلف بهما لعدم السبب وبه جزم فى الكنز والدرر والملتقى وبه افتى البقالى ووافقه الحلوانى والمرغينانى ورجحه الشرنبلالى والحلبى واوسعا المقال ومنعا ما ذكره الكمال وقد كر على الحلبى الفاضل المحشى بالنقض وانتصر للمحقق بما يطول قال فى الدر المختار ولا يساعده اى الكمال حديث الدجال لانه وان وجب اكثر من ثلثمائة ظهر مثـلا قبل الزوال ليس كمسئلتنـا لان المفقود فيه العلامة لا الزمان اما فيها فقد فقـد الامران انتهى * قال الشـامى والاحسن فى الجواب عنه انه لم يذكر حديث الدجال ليقيس عليه مسئلتنا او يلحقها به دلالة وانما ذكره دليلا على افتراض

الصلوات الخمس وان لم يوجد السبب افتراضا عاما وما اورد عليه
من عدم الافتراض على الحائض والكافر يجاب عنه بما قاله المحشى
من ورود النص باخراجهما من العموم هذا وقد اقر ماذكره المحقق
تلميذاه العلامتان المحققان ابن امير حاج والشيخ قاسم والحاصل انهما
قولان مصححان ويتايد القول بالوجوب بانه قال به امام مجتهد وهو
الشافعى كما نقله فى الحلية عن المتولى عنه انتهى ❊ والمراد بالامرين
العلامة وهى غيبوبة الشفق قبل الفجر والزمان المعلم وهو ما تقع
فيه الصلوة فيه اداء ضرورة ان الزمان الموجود قبل الفجر هو زمان
المغرب وبعده هو زمان الصبح فلم يوجد الزمان الخاص وليس المراد
فقد اصل الزمان كما لايخفى نعم اذا قلنا بالتقدير هنا يكون الزمان
موجودا تقديرا كما فى ايام الدجال فلا يرد على المحقق الكمال ذكره
الشامى ❊ اقول وصل الينا فى هذا الزمان اعنى سنة الف ومائتين
واحدى وتسعين مؤلف للشيخ الاجل والحبر الاكمل هارون بن بهاء
الدين المرجانى شهاب الدين البلغارى سلمهما الله تعالى على يد الحاج
الحبيب الشيخ محمد احسن الطبيب الحاجى پورى الفه فى مسئلتنا
هذه واطال فيها غاية الاطالة ولم يدع لقائل عدم الوجوب حجة
ولا مقالة وسماه بناظورة الحق فى فرضية العشاء وان لم يغب الشفق
فلنلخص هنا كلامه ونحرر مرامه بما يتضح به الصواب ويجيء
الحق ويزهق الباطل ويتحلى به كل جيد عاطل ❊ فاقول قال سلمه
الله تعالى وعافاه وعلى معارج العلى رقاه قد ثبت فرضية كل واحدة
من الصلوات الخمس بالكتاب والسنة واجماع الامة على كل واحد
من المكلفين من غير اختصاص باهل قطر دون قطر وحصرها على
عصر دون عصر وكل واحدة منها على قدم سواء فى عموم الفرضية
وشمول الوجوب ودخولها تحت كليات الدلائل القطعية وعمومات
البراهين اليقينية فهذا مما لا مساغ للارتياب فيه لاحد فانها اظهر من

الشمس وابين من الامس لا تمس الحاجة الى تفصيل الامر فيه وبسط الكلام فى مبانيه ففرضيتها موزعة على اوقاتها المعروفة فى الدين ضرورة غدوة وظهيرة وعشية ومساء وزلفة وانما شذ شرذمة قليلة من احداث الامة واخلاف المتفقهة وزعموا ان العشاء ساقطة عن سكان بعض الاقطار فى عدة ايام من السنة ينتهى قصر لياليها الى غاية لا يغيب الشفق فيها توهما منهم ان وجود الوقت الذى هو سبب لوجوب الصلوة وظرف لها وشرط لتحققها يتوقف على غيبوبة الشفق وهو زعم ساقط وتوهم لا مساغ له قط وذلك لان ادنى مراتب السبب ان يكون ملائما للمسبب وهو منتف بين الصلوة والوقت قطعا ولان السبب لا يجوز ان يكون كل الوقت لوجوب الصلوة لمن صار اهلا لها فى آخر الوقت ولا البعض منه لصحة الاداء ممن اقامها فى غير ذلك الجزء المعين ولا الغير المعين مطلقا لعدم وجوب ادائها ولا قضائها ولا الفدية عنها على من اعترضه عدم الاهلية فى آخر الوقت من موت او جنون مطبق او حيض او نفاس ولا الجزء المقارن للاداء لوجوب قضائها على المتساهل الذى لم يشرع فيها بل تعطل فى الوقت كله مع ان الجزء المقارن ليس له تقدم على الصلوة اصلا فكيف يكون سببا موجبا لها ومؤديا اليها وبالجملة جعل الوقت سببا للعبادة بما هو وقت غير معقول وما ذكروه فى الاستدلال عليه فضول لا يرتضيه الفحول وقوله سبحانه * اقم الصلوة لدلوك الشمس * انما يدل على السببية ان لو كان اللام للتعليل وهو فى حيز المنع فانها ترد على معان فقد جعلها فى القاموس هنا بمعنى بعد وجعلها للتوقيت وجعلها المجد ايضا بمعنى عند قال ابن الهمام وهو استعمال محقق فى اللغة وعلى ذلك قوله تعالى * فطلقوهن لعدتهن * وهو المفهوم من قوله صلعم فى حديث جابر * هذا حين دلكت الشمس * ثم لا شك ان الوقت محقق فى حق من هو ليس باهل

للصلوة لاشتماله على احواله مع عدم الوجوب عليه فينقدح من ذلك ان السبب امر وراء الوقت وقد ذهب الفقهاء المتقدمون والعلماء المحققون الى ان سبب وجوب العبادات توالى نعم الله تعالى وتواتر انعامه واحسانه الينا فى كل وقت ومن كل وجه وعلى كل حال كما دلت عليه الآيات الكريمات والاحاديث الصحيحات ثم النعم لما كانت غير داخلة تحت الضبط والاحصاء وكان الوقت ظرفا لحدوثها اديرت الصلوات معه ووزعت على اوقاتها تيسيرا للعباد واقامة للظرف مقام المظروف ثم ان الوقت مقدار محدود من زمان غير محدود وهو امر بديهى الانية وان كان خفى اللمية لان الزمان مقدار متجدد غير قار فاجعله ما شئت وسمه به وانما جعل الطلوع والزوال والغروب والغيوبة وامثالها علامات لوجود الصلوات ومعرفات لها ليتمكن بها العامة والخاصة بحضور الاوقات المعينة للصلوات ولو سلم ان الوقت سبب الوجوب مع عدم مساغه فانما ينتفى وجوب الصلوة بانتفائه علاماته المفارقة من غيوبة الشفق وغيرها والذى ثبت من الاوقات لا نسلم انتفاءه بانتفاء تلك العلامات ثم حديث امامة جبريل وغيره مما ذكر فيه غيوبة الشفق فى بيان وقت صلوة العشاء والمغرب لا تدل اصلا على اشتراط غيوبته لخروج وقت المغرب ودخول وقت العشاء لان قوله حين غاب الشفق وان احتمل بالنظر الى نفس اللفظ امرين احدهما تقدير المدة المعينة وقتا لصلوة المغرب بالمدة الفاصلة بين غروب الشمس وغيبوبة الشفق فى البلاد التى كانوا فيها من غير ان يكون تحقق العلامة شرطا لخروج وقت المغرب ودخول وقت العشاء بل يكون الشرط تحقق المدة الفاصلة فقط سواء تحقق العلامة اولا وثانيهما اعتبار غيبة الشفق شرطا لخروج الوقت ودخوله لكن بالنظر الى تمام الحديث فى هذه الرواية والى الادلة الخاصة يضمحل هذا الاحتمال المرجوح بالكلية ويتعين الشق

الاول مرادا منه * اما اولا فلان فى نظائره لم تعتبر العلامات المذكورة
شرطا لدخول وقت و خروج وقت مثلا صيرورة ظل كل شئ مثله
او مثليه ليست بشرط لخروج وقت الظهر و دخول وقت العصر
لعدم تحقق ذلك فى غيم الهواء ويوم السحاب افترى انه يسقط عن
سكانها صلوة الظهر او لا يكلف اهلها بها وكذلك افطار الصائم
وحرمة الطعام والشراب عليه شرط لدخول وقت المغرب ووقت
الفجر قطعا ضرورة انتفاء الصائم فى بعض ايام السنة وكذلك الحال
فى الروايات الفقهية من نحو قولهم وقت المغرب من غروب الشمس
الى غيبة الشفق و وقت العشاء منه الى طلوع الفجر معناه ان
امتداد الوقت مقدر بذلك القدر وان لم يتحقق العلامة كيف
لا فان غيبة الشفق كما اخذت فى دخول وقت العشاء اعتبرت
فى خروج وقت المغرب فلو كان شرطا لما تحقق خروج
وقت المغرب اصلا فيمن لا يغيب عنهم الشفق ولا يوجد حين
يحرم فيه الطعام والشراب على الصائم عند اولئك ومقتضاه سقوط
الفجر عنهم وعدم وجوب صوم الشهر عليهم وهو باطل بالنص
والاجماع * واما ثانيا فلان حديث امامة جبريل عليه السلام
وحديث عايشة وعمر وابى موسى وبريدة وابى سعيد وفى رواية عن
ابى هريرة وابى برزة وعبد الله بن عمرو بن العاص قد اعتبر فى بيان
آخر وقت العشاء ثلث الليل وفى رواية عن ابى هريرة وعبد الله
بن عمرو بن العاص وانس وعايشة وعمر وابى سعيد نصف الليل ثم ما
تضمن حديث بريدة من قوله صلعم * وقت صلاتكم بين ما رأيتم *
وحديث الامامة والوقت ما بين هذين الوقتين تشريع عام لعموم
خطابه عليه السلام ومفاده ان يكون آخر وقت العشاء لجميع الامة
ثلث الليل او نصفه والثلث و النصف متحقق فى جميع الليالى فى كل
قطر يوجد فيه غروب الشمس وطلوعها فيوجد آخر وقت العشاء

عند اهل ذلك القطر وان لم يتحقق الغيبوبة ومن ضرورته تحقق اوله لا محالة فلو حمل قوله صلعم حين غاب الشفق على اشتراط تحقق الغيبوبة يلزم ان يتناقض مفاد اول الحديث ومفاد آخره وهو محال فى كلام الشارع المعصوم عن الخطأ والكذب ولئن حمل على الاشتراط فيكون مخصصا لعمومه بالنسبة الى الاقطار التى لا يغيب فيها الشفق وملخص كلام الطحاوى فى هذه الاحاديث انه يظهر من مجموعها ان آخر وقت العشاء حين يطلع الفجر اذ قد ورد فى رواية لعائشة انه صلعم اعتم بها حتى ذهب عامة الليل وفى رواية لابن عمر الى آخر الليل وعن ابى موسى الاشعرى انه كتب اليه عمر صل العشاء اى الليل شئت ولا تغفلها وفى رواية عنه انه صلعم اخرها حتى انهار الليل وغير ذلك وكلها فى الصحيح قال فثبت ان الليل كله وقت لها ولكنها على اوقات ثلثة الى الثلث افضل والى النصف دونه وما بعده دونه * واما ثالثا فلانه على ذلك التقدير يكون مناقضا لحديث جابر بن عبد الله انه صلعم صلى العشاء قبل غيبوبة الشفق وحديث ابى هريرة صلاها حين ذهبت ساعة من الليل ولما مر عن عمر صل اى الليل شئت اخرجه الطحاوى بطرق رجاله ثقاة ولحديث نعمان بن بشير كان النبى صلعم يصليها لسقوط القمر لثالثة ولا ريب ان غروب القمر فى الليلة الثالثة من رؤيته ليس بشرط لدخول وقت العشاء فى جميع ايام الدهر فان المقصود من النقل بلفظ ظاهره المواظبة بيان المشروع العام لجميع الامة ولو فرض على منوال فرض المحال ان الحديث بالنسبة الى الامرين على قدم سواء فى الاحتمال فما اخرجه مسلم فى صحيحه من رواية نواس بن سمعان من حديث الدجال وفيه قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة تكفينا فيه صلوة يوم قال * لا اقدروا له * يلحق بيانا لهذا المحتمل وكذلك عدة احاديث غيره فى هذا المعنى فلو شرط غيبة

الشفق لدخول وقت العشاء لزم نسخ عمومات الكتاب و محكمات الادلة الواردة فى ايجاب الصلوات الخمس على كل مؤمن و مؤمنة بالنسبة الى سكان الاقطار التى لا يغيب فيها الشفق ولذلك اختلف فى مفاده فقهاء الامة وعلماء الملة فان اصحابنا وسفيان الثورى واحمد ومالكا فى رواية والشافعى فى قوله القديم ذهبوا الى ان وقت المغرب يمتد الى غروب الشفق مع اختلافهم فى الشفق وذهب الاوزاعى وابن المبارك والشافعى فى قوله الجديد ومالك فى رواية الى انه قدر ما يصلى خمس ركعات متوسطات بوضوء واذان واقامة فحسب ويدخل وقت العشاء بعده والشفق هو البياض عند ابى حنيفة واحمد بن حنبل و المزنى والصفرة فيما اختاره الجوينى والحمرة عند آخرين وذهب ابو سعيد الاصطخرى من الشافعية الى ان آخر وقت العشاء الى نصف الليل و قال الحسن بن زياد آخر وقت العصر الى اصفرار الشمس فقط ومن مذهب المخالفين ان وقت الظهر و العصر واحد وكذا وقت المغرب و العشاء و جواز الجمع بين الصلاتين فى السفر والحضر ولو كان قطعيا لزمه الاجماع ولما ساغ هذا الخلاف فيما بين هؤلاء هذا و المذهب ان العلامات حيث ما تحققت يجب مراعاتها ولا يجوز المساهلة فى تحقيقها تحصيلا لليقين وسلوكا لطريق الاحتياط وعملا بقوله صلعم * دع ما يريبك الى ما لا يريبك * ومهما لم يكن اعتبارها ولم يتيسر مراعاتها فلا يعبأ بها ولا يعتمد عليها فى اسقاط ما ثبت من الفرائض بالادلة القطعية من الكتاب و السنة والاجماع وهل فى ذلك من ريبة فيقدر وقت المغرب بمدة يغيب فيها الشفق فى الايام الاعتدالية والاقطار الاستوائية ثم يدخل وقت العشاء ان امكن ذلك والا فبقدر ما يغيب فيه اسرع من غيبته فى هذه الايام والاقطار ثم الاسرع فالاسرع فان لم يمكن ذلك بان لا يكون بين غروب الشمس وطلوعها الا زمان قليل لا يسع فيه التقدير بشئ فالواجب

اذن

اذن ايقاع المغرب والعشاء والفجر بين الغروب والطلوع فان لم يكن بينهما مدة تسع فيها تلك الفرائض فيسقط اعتبار تلك العلامات بالكلية ويرجع الامر الى التقدير في كل صلوة للضرورة ويكون اداء لما ثبت فرضيته بالادلة المطلقة في الوجوب وتلخيص البيان ان كون الاوقات اسبابا لوجوب الصلوة ووجودها مشروطا بتحقق العلامات مما لا مساغ له قط فلا نسلم فقد الاوقات بانتفائها ولا سقوط الصلوات بفقدانها ولو قدر التسليم في ذلك لما عرف منها علامة بقاطع من نص الشارع وهو الغدوة والظهيرة والعشية والمساء والزلفة واما نحو صيرورة الظل وغيبوبة الشفق فلو ثبت شرطا فانما يثبت بدليل ظني وبدخل من الرأى على انه ربما يسقط بحكم الشرع اعتبار الاركان فضلا عن الشرائط والاسباب كالاقرار في الايمان وطواف الزيارة في الحج والقيام والقراءة والركوع والسجود للعذر وقد تقرر في مقره ان الاسباب والشرائط انما تعتبر بحسب الامكان ولا يسقط الممكن بسقوط ما ليس بممكن هذا وانه لو انتفت تلك العلامات المعرفة للمدة الفاصلة بين اوقات الصلوات اصلا بان لا يتحقق غروب الشمس ولا طلوعها مدة مديدة نصف سنة او اقل او بان تطلع الشمس كما تغرب فان مثل هذه المعمورة متحقق لا محالة فان العمارة موجودة في عرض ست وستين من الشمال معروفة من لدن عصر بطليموس بل في خارج دائرة قطب البروج فان عرض ثمان وستين قد بلغ اليه الحكيم المسكوبي وفيه قلعة للروس يقال لها « قولد » لا تغرب فيها الشمس من اول الجوزاء الى اول الاسد مدة اثنين وستين يوما ولا تطلع من حادى عشر القوس الى عشرين من الجدى مدة تسعة وثلثين يوما وربما يردها اشخاص من اهل الاسلام من افراد العسكر في خدمات الدولة ويعترض عليهم هذه الحالة ويطول ايامهم على الغاية كما في ايام الدجال وتحت القطبة واقصى المنطقة الباردة

لا تغرب الشمس اكثر من ستة اشهر فانه لا تطلع الشمس فيها ولا تغرب الا بحركتها الخاصة الشرقية ويمكن ان يكون طول يوم واحد كسنة من حيث الحكمة * وهل تجب الصلوات الخمس والصوم وسائر العبادات المتعلقة بالاوقات على سكان هذه الاقطار لم ير فيه كلام فى كتب المتقدمين ولم يرد خبر عنهم فى تصانيف واحد من الكبار المتبحرين وقد كانت المسئلة معركة فيما بين العلماء المتأخرين من اهل القرن السادس وبعده فى وجوب العشاء والوتر وعدمه على من لا يجد وقتهما بان لا يتحقق المدة الفاصلة التى هى مدة غروب الشفق فى الايام المعتدلة والاقطار المتوسطة ففى الفتاوى الظهيرية والمضمرات والتتارخانية وغيرها افتى البرهان الكبير فى اهل بلد كما تغرب الشمس يطلع الفجر ان عليهم صلوة العشاء والصحيح انه لا ينوى القضاء لفقد وقت الاداء * وقال ابن الهمام فى فتح القدير وافتى البرهان الكبير بوجوبهما وفى التبيين شرح الكنز للزيلعى عن المرغينانى عن البرهان الكبير نحوه وقال التمرتاشى الغزى فى تنوير الابصار وفاقد وقتهما مكلف بهما وقال سرى الدين المعروف بابن الشحنة فى الذخائر الاشرفية ان الصحيح خلاف ما اختاره صاحب الكنز فى هذه المسئلة وقال فى ترجمة الكنز ان الفتوى على الوجوب وفى المحيط البرهانى عن الصدر الكبير انه ليس عليهم صلوة العشاء هكذا كان يفتى ظهير الدين المرغينانى ونحوه فى المضمرات وفى خلاصة الفتاوى ولو كانوا فى بلدة اذا غربت الشمس طلع الفجر لا يجب عليهم صلوة العشاء وفى الكافى للنسفى ولا يجب العشاء على قوم لم يجدوا وقته بان يطلع الفجر كما غربت الشمس لعدم سبب الوجوب وهو وقته وفى الكنز ومن لم يجد وقتهما لم يجبا وذكر الزاهدى فى المجتبى شرح المختصر عن البدر الطاهر نحو ما فى المحيط ونحوه فى جواهر الفقه لطاهر بن سلام الخوارزمى وقد نسب الفتوى بالوجوب الى ظهير الدين المرغينانى

فى غير واحد من الشروح وغيرها * وبالجملة فمأخذ القول بالوجوب هو برهان الدين الكبير ومأخذ القول بعدمه هو الصدر الكبير برهان الائمة واختلف عن المرغينانى وقد شارك فى هذا اللقب والنسبة رجلان من بيت واحد ولم يبين احد ان المفتى فى هذه الحادثة ايهما احدهما ظهير الدين ابو الحسن على بن عبد العزيز بن عبد الرزاق المرغينانى مات سنة ست وخمسمائة وهو جد صاحب الخلاصة لامه وعم والد قاضيخان وثانيهما ابنه ظهير الدين ابو المحاسن حسن بن على المرغينانى صاحب كتاب الاقضية وغيرها والظاهر ان تلك الفتوى بالوجوب منسوبة اليه ثم صحة كلام الزيلعى ترفع الاحتمال وتبين انه هو المراد من المرغينانى ومن برهان الدين الكبير هو ابو محمد عبد العزيز بن عمر المروزى بعثه سلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقى الى بخارا فى مهم وسماه صدرا سنة خمس وتسعين واربعمائة وهو المعروف بالصدر الماضى والصدر الكبير وبرهان الدين الكبير وبرهان الائمة وهو ابو الصدور وهذا اللقب مقارنا اوصفه بالكبير لم يقع الا عليه واما التعبير بالصدر الكبير وبرهان الائمة وبرهان الدين فقد وقع عليه وعلى جماعة من اولاده وغيرهم ولعل المفتى بالسقوط كان احدهم ان صح ذلك ولا يساعد عصر واحد منهم ان يحكى عنه ظهير الدين المرغينانى الا الصدر الماضى والدهم واخاف ان يكون الزيلعى اخطأ فى نقله عن المرغينانى ذلك وارى انه اخذ من الفتاوى الظهيرية وزعم ان صاحبها ظهير الدين المرغينانى وجرى من جاء بعده ممن نسب اليه القول بالوجوب على اثره وليس كما زعم بل هو ظهير الدين محمد بن احمد البخارى مات سنة تسع عشرة وستمائة وبالجملة ان طائفة من احداث الجهال المتعصبين على الحق المنهمكين فى التقليد المتهالكين فى اضاعة الصلوات قد حرفوا عبارة الظهيرية والمضمرات وغيرها وزادوا فيها كلمة ليس النافية وسلطوها على

الوجوب زعما منهم انه لولم تكن موجودة فى العبارة لكان آخر
الكلام منافيا لاوله حيث قال والصحيح انه لا ينوى القضاء لفقد
وقت الاداء وهو زعم سقيم ووهم عقيم فان عبارات تلك الكتب
محكمة فى عدم هذه الكلمة والنسخ منها مطردة عليه وقد عرفت
ان الخلاف فيمن لا يجد الوقت اصلا ومن افتى بالوجوب لم يبال
بعدم الوقت وذهب الى وجوبه مع عدمه لان الوقت غير مقصود
بالذات ولا بسبب حقيقة ويسقط اعتباره بادنى سبب كما فى عرفة
ومزدلفة وايام الدجال بالاتفاق ويجوز الجمع بين الظهر والعصر
فى وقت احدهما وكذا المغرب والعشاء عند مالك والشافعى ومن
وافقهما وقد اخرج الشيخان عن ابن عمر ان النبى صلعم لما رجع
من الاحزاب قال * لا يصلين احد العصر الا فى بنى قريظة * فادرك
بعضهم العصر فى الطريق وقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها وقال
بعضهم لم يرد ذلك منا فذكر ذلك للنبى صلعم فلم يعنف احدا منهم
وقد روى ان بعضهم صلاها بعد ما انتصف الليل وقد قام الدليل
القطعى على وجوب العشاء بعد غروب الشمس فلا يجوز تركها بانتفاء
سبب جعلى محتمل للسقوط والتكليف انما هو بقدر الوسع فيجب
اداؤها وان لم يتحقق الوقت اصلا لثبوت اصل الوجوب فى الذمة
فقولهم الصحيح انه لا ينوى القضاء متفرع على وجوب الاداء مع عدم
تحقق وقت العشاء ولا تنافى بين اطراف الكلام اصلا الا ترى المحقق
ابن الهمام بعد ما بسط الكلام فى الوجوب وزيف القول بالسقوط قال
الصحيح انه لا ينوى القضاء واعترض عليه الزيلعى بما هو ظاهر السقوط
لا يكاد يصح وتبعه صاحب الدرر والجواهر وامثالهما وانما الخلاف
فيمن لا يجد الوقت اصلا وان الحق الابلج فيه هو الوجوب ايضا
والفرق بينهما ظاهر وليت شعرى ماذا يقول الزيلعى واتباعه
فى المغرب هل يرى سقوطه عن هؤلاء او يجعله فرض الوقت وان

دخل وقت الفجر وذكر الزاهدى فى المجتبى حكاية فى هذه المسئلة عن الحلوانى والبقالى وان البقالى وافقه فيها وقد انتحل هذه الحكاية عن الزاهدى رجال من المتأخرين وشوشوا به عقيدة الحق على اهله وفرحوا باضاعتهم الصلوة مع زعمهم ان البقالى هو ابو الفضل محمد بن ابى القاسم الخوارزمى وهو متأخر الزمان توفى سنة ست وثمانين او سبعين وخمسمائة فكيف يمكن معاصرته للحلوانى فان وفاة الحلوانى كانت سنة ثمان اوتسع واربعين واربعمائة وهذا الوصف قد وقع على عدة اشخاص يعرف كل منهم بالبقالى وقد وقع النقل عنه فى المحيط البرهانى وخلاصة الفتوى وفتاوى قاضى خان وفى القنية وعصر هؤلاء لا يجعد النقل عن ابى الفضل البقالى لعدم سبق زمانه عليهم وايا ما كان فالبقالى من اهل الاعتزال فى العقيدة ويلوح من كلام الزاهدى تعصبه لاخوانه من ارباب تلك النحلة * وقال ابن الشحنة فى شرح المنظومة ان كلام الزاهدى لا يؤخذ به ما لم يعضده نقل عن غيره ولهذا اعترض عليه ابن الهمام وقال انتفاء الدليل على الشئ لا يستلزم انتفاءه لجواز دليل آخر وقد وجد وهو ما تواطأ من اخبار الاسراء من فرض الصلوة خمسا بعدما امر اولا بخمسين ثم استقر الامر على الخمس شرعا عاما لاهل الآفاق لا تفصيل فيه بين قطر وقطر وما روى من حديث الدجال عند مسلم فقد اوجب اكثر من ثلثمائة عصر قبل صيرورة الظل مثلا او مثلين وقس عليه فاستفدنا ان الواجب فى نفس الامر خمس على العموم غير ان توزيعها على تلك الاوقات عند وجودها لا يسقط بعدمها الوجوب وكذا قال صالم * خمس صلوات كتبهن الله على العباد * ومن افتى بوجوب العشاء يجب على قوله الوتر ايضا انتهى * ولعمرى ان هذا الكلام قد بلغ من التحقيق والاتقان الغاية ومن الطلاوة وحسن البيان النهاية ولكن قد كثر مدافعة المتأخرين له ومناقشتهم فيه

و ذلك لاهمالهم الفقه و الاصول و اغفالهم معانى المعقول و مدارك المنقول وانتصر ابراهيم بن محمد الحلبى فى شرح المنية للبقالى و قال الحديث ورد على خلاف القياس وقال القاضى عياض انه حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع و لو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلوة فيه عند الاوقات المعروفة و لاكتفينا بالصلوات الخمس انتهى * قال الحصكفى فى شرح تنوير الابصار وقيل لا اى لا يكلف بهما لعدم سببهما و به جزم فى الكنز و الدرر و الملتقى وبه افتى البقالى و وافقه الحلوانى وظهير الدين المرغينانى و رجحه الشرنبلالى والحلبى قلت كلام المحيط والخلاصة والكافى والكنز و امثالها محمول على من لم يجد الوقت اصلا غيران الزيلعى و من تابعه لما زعموا ان وقت العشاء لا يوجد الا بغروب الشفق نزلوا هذا القول على من لا يغيب عنه الشفق و بنوا كلامهم عليه و تصرفوا فى العبارات وكيف ما كان فقد اظهر الدليل فساده وابدت الحجة عليه عواره واثبت ابن الهمام الوجوب على الاطلاق واقام برهانه وشيد اركانه ولم يأت الشرنبلالى فى كتابه شرح الملتقى ولا فى امداد الفتاح بشئ سوى ما نقله من كلام الحلبى بعبارته التى بطلانها اظهر من ان يحتاج المصنف الى التأمل فيه فان المحقق لا يسلم اولا فقدان الوقت بعدم غيبة الشفق وانما كلامه فى اثبات الوجوب على من لا يجد الوقت اصلا ثم لا يسلم كون الوقت سببا لان السبب هو تتالى نعم الله تعالى على عباده ولئن كان سببا فلا نسلم ان الوقت الذى هو سبب غير موجود لان مدة اليوم و الليلة فى قطر تغيب فيه الشمس تكون اربعة وعشرين ساعة سواء تساوى الليل و النهار او تفاوتا فى الطول و القصر و لا نسلم ان الوقت من الاسباب و الشروط لا تحتمل السقوط لانه يسقط بادنى علة مثل عرفة و مزدلفة وايام الدجال بالاتفاق و بعذر المطر و السفر و المرض و غير ذلك عند الشافعى و من وافقه لكونه وسيلة غير

مقصودة

مقصودة والنقض بمثل الحائض والكافر ظاهر السقوط فانه حكم استثناه الشرع وورد فيه دليل قطعي من الكتاب والسنة واجماع الامة والقول بان القياس على حديث الدجال غير صحيح ظاهر البطلان لان المحقق في غنى عن وضع السبب به وانما هو في صدد بيان المعرف الآخر للوجوب العام وان انتفى المعرف المعهود وهو الزوال والغروب وغيرهما وقد حكى النسفي في المصفى شرح المنظومة عن جمال الدين المحبوبي انه قال كسالى بخارا لا يمنعون عن الصلوة وقت طلوع الشمس لان الغالب انهم اذا منعوا عن ذلك وامروا بالمكث في المسجد الى ارتفاع الشمس او بالرجوع ثم الحضور لم يفعلوا ذلك ولم يقضوها ولو صلوها في هذه الحالة فقد اجازه اصحاب الحديث والاداء في وقت يجيزه بعض الائمة اولى من الترك وهكذا نقل عن الحلواني والمرغيناني فانظر كيف جوز هؤلاء صحة الفجر عند الطلوع والعشاء قبل الغيبوبة بناء على تجويز بعض الائمة مع ورود النهي عنه ونصوص الائمة الثلثة القاضية على عدم الجواز مخافة ان يتركوها بالكلية بمجرد الكسالة فكيف يسوغ ان يفتي بسقوط العشاء عمن لا يغيب عنهم الشفق بجعل الهي وسبب سماوي مع نهوض براهين الوجوب عليه نهوضا لا مرد له وليس في العالم قطر تغيب فيه الشمس ثم كما تغرب يطلع الفجر من جانب آخر بل تتحول الحمرة من جهة المغرب متدرجة الى الصفرة ثم الى البياض حسب دوران الشمس تحت الافق الى ان ينتصف الليل ثم ترجع على هذه الدراجة منعكسة قهقرى حتى تطلع الشمس من جهة المشرق وعندي ان نقول الفتوى بالسقوط عن الحلواني والمرغيناني والصدر الكبير وامثالهم لا تصح اصلا وان وجد في عدة كتب فانه مع خلوه عن الاسناد لا دليل يبتنى عليه وحسن الظن فيهم لا يرخصنا في نسبة هذه المجازفة اليهم ومما يشهد بذلك ان اسلام اهل بلغار كان بزمان كثير قبل زمان اولئك الفضلاء الذين يعزى

اليهم الافتاء بسقوط العشاء عن سكان هذه الديار فى ليال من السنة
تنتهى الى غاية القصر فمنهم من قال انهم اسلموا فى صدر ملك بنى
مروان فى كبد القرن الاول من الهجرة ومنهم من قال انهم اسلموا
فى خلافة المأمون ومنهم من قال فى خلافة ابن اخيه الواثق بالله ثم
ظهر الاسلام فيها باسلام ملك بلغار الماس خان بن سلكى خان فى
خلافة المقتدر فتسمى بالامير جعفر ولاحمد بن فضلان رسالة كتب
فيها ما شاهده فى سفره الى بلغار ومدينة بلغار كانت على خمس
وخمسين درجة من العرض الشمالى وعرض قزان اكثر منه بخمس
واربعين دقيقة وطولها فى ست وستين درجة وست واربعين دقيقة
من جزائر الخالدات وطول بلغار اكثر منه بشئ نحو ست عشرة
دقيقة فكيف يتخيل انه خفى عليهم شأن الشفق فما تكلموا فى مسئلة
العشاء بها نعم كان الامر واضحا لهم فى ذلك حين كانوا فى بلادهم
لكانهم بمحل عظيم من العلوم الشرعية ولكنهم لم يروا اسقاط شئ
من فرائض الله تعالى وما كان لهم ان يشكوا فى هذا الحكم اللائح
لهم من عموم الادلة وظهور البراهين القطعية والروايات المستفيضة
ام كيف يهمل المتقدمون من اهل بلغار هذه المسئلة مع فرط حاجتهم
اليها وكثرة ابتلائهم بها ولم يستفتوا فيها والاسلام فيهم غض
الجنى جاو المغنى يحفظون حدوده ويلتزمون عهوده وقد كان
فيهم من علمائهم جماعة قبل عصر البقالى والحلوانى وبعده مثل
عبد الحى ووالده عبد السلام والقاضى ابو العلاء حامد بن ادريس
والقاضى يعقوب بن نعمان مؤرخ بلغار وغيرهم وهب انه لم يكن
فيهم علماء فقهاء يفتون فى الوقائع فهلا راجعوا الى علماء سائر الامصار
مع كثرة اسفارهم فى الاقطار وشهرتهم بوفور التجارة وحسن التمدن
من قديم الاعصار وما ظهر ذلك الا لاحمد بن فضلان وغيره من
وفود العراق وعلماء دار الخلافة مع طول مقامهم بها وورودهم

اليها لتعليم الاسلام واذاعة الشرائع والاحكام بل علموا ذلك ولكن
لم يشكوا فى الوجوب بل انما حدثت هذه الشبهة الغثة والريبة الرثة
بعد انقراض الفقهاء وذهاب العلماء ورئاسة الجهال واشراف
الاسلام على الزوال وانتكاس حال الانام واختلال مصالح البرية
عند اضمحلال الدولة العباسية فانا لله وانا اليه راجعون انتهى
كلام الناظورة وهو حرف من الكتاب وقطرة من العباب وكم فيه
من ادلة وبراهين على فرضية صلوة العشاء على جميع المكلفين من
الامة على السواء غاب عنهم الشفق او لم يغب تركناها مخافة الاطالة
فمن شاء تفصيل ذلك فليرجع اليه ﴿ واما مسئلة الصوم ﴾ فقد قال
الشامى فى رد المحتار حاشية در المختار لم ار من تعرض عندنا لحكم
صومهم فيما اذا كان يطلع الفجر عندهم كما تغيب الشمس او بعده
بزمان لا يقدر فيه الصائم على اكل ما يقيم بنيته ولا يمكن ان يقال
بوجوب موالاة الصوم عليهم لانه يؤدى الى الهلاك فان قلنا بوجوب
الصوم يلزم القول بالتقدير وهل يقدر ليلهم باقرب البلاد اليهم كما قاله
الشافعية هنا ايضا ام يقدر لهم بما يسع الاكل والشرب ام يجب عليهم
القضاء فقط دون الاداء كل محتمل فليتأمل ولا يمكن القول هنا
بعدم الوجوب اصلا كالعشاء عند القائل به فيها لان العلة عدم
الوجوب فيها عند القائل به عدم السبب وفى الصوم قد وجد السبب
وهو شهود جزء من الشهر وطلوع فجر كل يوم هذا ما ظهر لى
والله تعالى اعلم

﴿ ذكر الارض الجديدة ﴾

اعلم انه قد حقق قوم من حكماء النصارى منذ مضى اربعمائة سنة
من سنى الهجرة ارضا جديدة ما خلا ارض الربع المسكون المنقسم

على الاقاليم السبعة وسموها براعظم وينكى والدنيا الجديدة وامريكا وقالوا احاطة الماء لكرة الارض ليس على ما زعمه الحكماء السابقون بل الواقع انه قد احاط عنصر الماء كرة الارض على صورة المنطقة لخصر الانسان وكما ان الارض ظهرت وانكشفت فى هذه الجهة التى قسموها على السبعة الاقاليم وسموها الربع المسكون وصارت هى مساكن العالم من بنى آدم فكذلك انكشفت وظهرت فى الجهة المقابلة لتلك الجهة وصارت مسكنا لجموع من الناس وهى واقعة على وضع لو لم تكن الارض فى البين لالتصقت اقدام اشخاص كلتا الجهتين بالاخرى وتبقى الرؤوس فى جهة السماء فكان الارض بتمامها خمس حصص والربع المسكون منها المسمى بالاقاليم السبعة ثلث حصص والارض الجديدة حصتان او ازيد ثم تحتوى تلك الدنيا الجديدة على البلاد الحارة والباردة ويحصل منها صنوف الخشب والعشب والادوية والاغذية وهى كثيرة المعادن من الذهب والفضة وفيها المعابد والكنائس والمكاتب والعمائر العظيمة وفيها كل شئ نحو ما فى هذه الدنيا كانها هى الربع المسكون بعينه تسكنها اقوام من النصارى وسلطنة هذه الارض بايديهم الى يومنا هذا ولهم محاربات وقضايا ووقائع مع البرطانية الذين هم حكام الهند اليوم كثيرة يطول شرحها * ويخلق ما لا تعلمون * ولا يعلم جنود ربك الا هو *

﴿ ذكر فن التاريخ ﴾

لا يخفى ان فن التاريخ من الفنون التى يتداولها الامم والاجيال * وتشد اليه الركائب والرحال * وتسمو الى معرفة السوقة والاغفال * وتتنافس فيه الملوك والاقيال * ويتساوى فى فهمه العلماء والجهال *

اذ هو فى ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول * والسوابق من القرون الاول * تنمى فيها الاقوال * وتضرب فيها الامثال * وتطرف بها الاندية اذا غصها الاحتفال * وتؤدى الينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الاحوال * واتسع للدول فيها النطاق والمجال * وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال * وحان منهم الزوال * وفى باطنه نظر وتحقيق * وتعليل للكائنات ومباديها دقيق * وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق * فهو لذلك اصيل فى الحكمة عريق * وجدير بان يعد فى علومها خليق * وان فحول المؤرخين فى الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها * وسطروها فى صفحات الدفاتر واودعوها * وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها * وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها * واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها * وادوها الينا كما سمعوها * ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها * ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا دفعوها * فالتحقيق قليل * وطرف التنقيح فى الغالب كليل * والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل * والتقليد عريق فى الآدميين وسليل * والتطفل على الفنون عريض وطويل * ومرعى الجهل بين الانام وخيم ووبيل * والحق لا يقاوم سلطانه * والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه * والناقل انما هو يملى وينقل * والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل * والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل * وقد دون الناس فى الاخبار واكثروا * وجمعوا تواريخ الامم والدول فى العالم وسطروا * والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة المعتبرة * واستفرغوا دواوين من قبلهم فى صحفهم المتأخرة * هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل * ولا حركات العوامل * مثل ابن اسحق والطبرى وابن الكلبى ومحمد بن عمر الواقدى وسيف بن عمر الاسدى والمسعودى وغيرهم من

المشاهير * المتميزين عن الجماهير * وان كان فى كتب المسعودى
والواقدى من المطعن و المغمز ما هو معروف عند الاثبات * ومشهور
بين الحفظة الثقات * الا ان الكافة اختصتهم بقبول اخبارهم *
واقتفاء سننهم فى التصنيف واتباع آثارهم * والناقد البصير قسطاس
نفسه فى تزييفهم فيما ينقلون او اعتبارهم * فللعمران طبائع فى احواله
ترجع اليها الاخبار * وتحمل عليها الروايات والآثار * ثم ان اكثر
التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك * لعموم الدولتين صدر
الاسلام فى الآفاق والممالك * وتناولها البعيد من الغايات فى المآخذ
والمتارك * ومن هؤلاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والامم *
والامر العمم * كالمسعودى ومن نحا منحاه وجاء من بعدهم من
عدل عن الاطلاق الى التقييد * ووقف فى العموم والاحاطة عن
الشأو البعيد * فقيد شوارد عصره * واستوعب اخبار قطره *
واقتصر على احاديث دولته ومصره * كما فعل ابو حيان مؤرخ
الاندلس والدولة الاموية بها وابن الرفيق مؤرخ افريقية والدول
التى كانت بالقيروان ثم لم يأت من بعد هؤلاء الا مقلد * وبليد الطبع
والعقل او متبلد * ينسج على ذلك المنوال و يحتذى منه بالمثال *
ويذهل عما احالته الايام من الاحوال * واستبدلت به من عوائد
الامم والاجيال * فيجلبون الاخبار عن الدول * وحكايات الوقائع
فى العصور الاول * صورا قد تجردت عن موادها * وصفاحا
انتضيت من اغمادها * ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها *
انما هى حوادث لم تعلم اصولها * وانواع لم تعتبر اجناسها ولا تحققت
فصولها * يكررون فى موضوعاتهم الاخبار المتداولة باعيانها * اتباعا
لمن عنى من المتقدمين بشأنها * ويغفلون امر الاجيال الناشئة فى
ديوانها * بما اعوز عليهم من ترجمانها * فتستعجم صحفهم عن بيانها *
ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقا * محافظين على

نقلها

نقلها وهما او صدقا * لايتعرضون لبدايتها * ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايتها * واظهر من آيتها * ولا علة الوقوف عند غايتها * فيبقى الناظر متطلعا بعد الى افتقاد احوال مبادى الدول ومراتبها * مفتشا عن اسباب تزاحمها او تعاقبها * باحثا عن المقنع فى تباينها او تناسبها * حسب ما ذكر ابن خلدون فى مقدمة تاريخه ثم جاء آخرون بافراط الاختصار * وذهبوا الى الاكتفاء باسماء الملوك والاقتصار * مقطوعة عن الانساب والاخبار * موضوعة عليها اعداد ايامهم بحروف الغبار * كما فعله ابن رشيق فى ميزان العمل * ومن اقتفى هذا الاثر من المهمل * وليس يعتبر لهؤلاء مقال * ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال * لما اذهبوا من الفوائد * واخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد * ومن احسن ما الف فى فن التاريخ واجمع ما جمع فيه تحقيقا واتقانا فى كتب القوم * بعد سبر غور الامس واليوم * كتاب العبر * وديوان المبتدأ والخبر * فى ايام العرب والعجم والبربر * ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر * لقاضى القضاة فانه انشأ فى التاريخ كتابا * ورفع به عن احوال الناشئة من الاجيال حجابا * وفصله فى الاخبار والاعتبار بابا بابا * وابدى فيه لاولية الدول والعمران عللا واسبابا * وبناه على اخبار الامم الذين عمروا المغرب فى تلك الآثار * وملأوا اكناف النواحى منه والامصار * وما كان لهم من الدول الطوال والقصار * ومن سلف من الملوك والانصار * سلك فى ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا * واخترعه من بين المناحى مذهبا عجيبا * وشرح فيه من احوال العمران والتمدن وما يعرض فى الاجتماع الانسانى من العوارض الذاتية ما يمتعك بعلل الكوائن واسبابها * ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها * حتى تنزع من التقليد يدك وتقف على احوال من قبلك من الايام والاجيال وما بعدك ثم من

احسن التواريخ المختصرة كتاب المختصر فى احوال البشر لابى الفدا اسماعيل صاحب حماة الملك المؤيد وكتاب المواعظ والاعتبار فى بيان الخطط والآثار للمقريزى رحمه الله وقد طالعناها على هذه المقالة واضفنا اليها اشياء والله يهدى اليه من يشاء

﴿ ذكر فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع لما يعرض ﴾
﴿ للمؤرخين من المغالط والاوهام وذكر شى من اسبابها ﴾

اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم فى اخلاقهم والانبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال فى الاجتماع الانسانى ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وائمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط سيما فى احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت فى الحكايات اذ هى مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد

وهذا

وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني اسرائيل
وان موسى احصاهم في التيه بعد ان اجاز من يطيق حمل السلاح
خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة الف او يزيدون
ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد
من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها
وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة
والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى مثل هذا العدد
يبعد ان يقع بينها زحف او قتال لضيق ساحة الارض عنها وبعدها
اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين او ثلاثا او ازيد فكيف يقتتل
هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصفين وشيء من جوانبه
لا يشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد لذلك فالماضي اشبه بالآتي
من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بني
اسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلبة بخت نصر لهم والتهامه
بلادهم واستيلائه على امرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم
وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان
المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر
والابواب اوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش
الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه واعظم ما كانت جموعهم
بالقادسية مائة وعشرون الفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال
وكانوا في اتباعهم اكثر من مائتي الف وعن عائشة والزهري ان جموع
رستم التي زحف بها لسعد بالقادسية انما كانوا ستين الفا كلهم متبوع
وايضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملكهم
وانفسح مدى دولتهم فان العمالات والممالك في الدول على نسبة
الحامية والقبيل القائمين بها في قلتها وكثرتها والقوم لم تتسع
ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من

الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذى بين موسى واسرائيل انما هو اربعة اباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا نسبه فى التوراة والمدة بينهما على ما نقله المسعودى حين اتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر الى ان خرجوا مع موسى الى التيه مائتين وعشرين سنة تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة ويبعد ان يتشعب النسل فى اربعة اجيال الى مثل هذا العدد وان زعموا ان عدد تلك الجيوش انما كان فى زمن سليمان ومن بعده فبعيد ايضا اذ ليس بين سليمان واسرائيل الا احد عشر ابا ولا يتشعب النسل فى احد عشر من الولد الى مثل هذا العدد الذى زعموه اللهم الى المئين والآلاف فربما يكون واما ان يتجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك فى الحاضر المشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا والذى ثبت فى الاسرائيليات ان جنود سليمان كانت اثنى عشر الف خاصة وان مقرباته كانت الفا واربعمائة فرس مرتبطة على ابوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات العامة منهم وفى ايام سليمان وملكه كان عنفوان دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا فى الحديث عن عساكر الدول التى لعهدهم او قريبا منه وتفاوضوا فى الاخبار عن جيوش المسلمين او النصارى او اخذوا فى احصاء اموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الاغنياء الموسرين توغلوا فى العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس الاغراب فاذا استكشفت اصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت احوال اهل الثروة فى بضائعهم وفوائدهم واستجليت عوائد المترفين فى نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة عن المتعقب والمنتقد حتى

لا يحاسب

لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبها فى الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنانه ويسيم فى مراتع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزوا ويشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفقة خاسرة * ومن الاخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة فى اخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب وان افريقش بن قيس بن صيفى كان لعهد موسى او قبله بقليل غزا افريقية واثخن فى البربر وانه سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ماهذه البربرة فاخذ هذا الاسم منه ودعوا به من حينئذ وانه لما انصرف الى المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فاقاموا بها واختلطوا باهلها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبرى والجرجانى والمسعودى وابن الكلبى والبيلى الى ان صنهاجة وكتامة من حمير وتأباه نسابة البربر وهو الصحيح وذكر المسعودى ايضا ان ذا الاذعار من ملوكهم قبل افريقش وكان على عهد سليمان غزا المغرب ودوخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وانه بلغ وادى الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون فى تبع الآخر وهو اسعد ابو كرب وكان على عهد يشتاسف من ملوك الفرس الكيانية انه ملك الموصل واذربيجان ولقى الترك فهزمهم واثخن ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك واغزى ثلثة من بنيه بلاد فارس والى بلاد الصغد من امم الترك ووراء النهر والى بلاد الروم فملك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المفاوز الى الصين ورجع بالغنائم وترك بالصين قبائل من حمير فهم بها الى هذا العهد وهذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة فى الوهم والغلط واشبه باحاديث القصص الموضوعة كما بينها ابن خلدون فى تاريخه * وابعد من ذلك واعرق

فى الوهم ما يتناقله المفسرون فى تفسير سورة والفجر فى قوله تعالى * الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد * فيجعلون لفظة ارم اسما للمدينة وصفت بانها ذات عماد اى اساطين و ينقلون انه كان لعاد بن عوص بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لابنين مثلها فبنى مدينة ارم فى صحارى عدن فى مدة ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الشجر والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته حتى اذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم ذكر ذلك الطبرى والثعالبى والزمخشرى وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره الى معاوية فاحضره وقص عليه فبحث عن كعب الاحبار وسأله عن ذلك فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وذكره الشيخ عبد العزيز الدهلوى ايضا فى تفسيره الفارسى وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ فى شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التى زعموا انها بنيت فيها هى فى وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تقص طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فيما درس من الآثار لكان اشبه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملوكها وقد ينتهى الهذيان ببعضهم الى انها غائبة وانما يعثر عليها اهل الرياضة والسحر مزاعم كلها

اشبه

اشبه بالخرافات والذى حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب فى لفظة ذات العماد انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين فتعين ان يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التى هى اشبه بالاقاصيص الموضوعة التى هى اقرب الى الكذب المنقولة فى عدد المضحكات والا فالعماد هى عماد الاخبية بل الخيام وان اريد بها الاساطين فلا بدع فى وصفهم بانهم اهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لا انه بناء خاص فى مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كما فى قراءة ابن الزبير فعلى اضافة الفصيلة الى القبيلة كما تقول قريش كنانة والياس مضر وربيعة نزار واى ضرورة الى المحمل البعيد الذى تمحلت لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التى يتنزه كتاب الله تعالى عن مثلها لبعدها عن الصحة * ومن الحكايات المدخولة للمؤرخين ما ينقلونه كافة فى سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباسة اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وهيهات ذلك من منصب العباسة فى دينها وابويها وجلالها وانها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماء الملة من بعده وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم اموال الجباية * ويناسب هذا او قريب منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن اكثم قاضى المأمون وصاحبه وانه كان يعاقر المأمون الخمر مع ان يحيى كان من علية اهل الحديث وقد اثنى عليه احمد واسمعيل القاضى وخرج عنه الترمذى وروى عنه البخارى فى غير الجامع فالقدح فيه قدح فى جميعهم وذكره ابن حبان فى الثقاة وقال لا يشتغل بما يحكى عنه لان اكثرها لا يصح عنه * ومن امثال هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد من حديث الزنبيل فى سبب اصهار المأمون

الى الحسن بن سهل فى بنته بوران * ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات فى العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن اهل البيت والطعن فى نسبهم الى اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون فى ذلك على احاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلفا اليهم بالقدح فى ناصبهم وتفننا فى الشمات بعدوهم ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات وادلة الاحوال التى اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم كما بينها ابن خلدون واعتبر حال القرمطى اذ كان دعيا فى انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت اتباعه وظهر سريعا على خبثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة

* ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم *

فقد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم ومصلاه وموطن الرسول صلعم ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم فى ذلك كله على اتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل والعجب من القاضى ابى بكر الباقلانى شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الرأى الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الالحاد فى الدين والتعمق فى الرافضية فليس ذلك بدافع فى صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيئا فقد قال تعالى لنوح عليه السلام فى شأن ابنه * انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم * وقال صلعم لفاطمة بعظها * يا فاطمة اعملى فان اغنى عنك من الله شيئا * ومتى عرف امر وقضية او استيقن امرا وجب عليه ان يصدع به *

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل * وقد اطال ابن خلدون
فى بيان صحة نسبهم الى اهل البيت فمن شاء فليراجع الى كلامه *
ويلحق بهذه المقالات الفاسدة ما يتناوله ضعفة الرأى من فقهاء
المغرب من القدح فى الامام المهدى صاحب دولة الموحدين ونسبته
الى الشعوذة والتلبيس فيما اتاه من القيام بالتوحيد الحق والنعى على اهل
البغى وتكذيبهم لجميع مدعياته فى ذلك حتى فيما يزعم الموحدون اتباعه
من انتسابه فى اهل البيت وانما حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمن فى انفسهم
من حسده على شأنه فانهم لما رأوا من انفسهم مناهضة فى العلم
والفتيا والدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع الرأى مسموع
القول موطأ العقب نفسوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح فى مذاهبه
والتكذيب لمدعياته وما ظنك برجل نقم على اهل الدولة ما نقم من
احوالهم وخالف اجتهاده فقهاءهم فنادى فى قومه ودعا الى
جهادهم بنفسه فاقتلع الدولة من اصولها وجعل عاليها سافلها
اعظم ما كانت قوة واشد شوكة واعز انصارا وحامية وتساقطت
فى ذلك من اتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقها قد بايعوه على الموت
ووقوه بانفسهم من الهلكة وتقربوا الى الله باتلاف مهجهم فى اظهار
تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم وأدالت
بالعدوتين من الدول وهو بحالة من التقشف والحصر والصبر على
المكاره والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على شئ من الحظ
والمتاع فى دنياه حتى الولد الذى ربما تجنح اليه النفوس وتخادع
عن تمنيه فليت شعرى ما الذى قصد بذلك ان لم يكن وجه الله
وهو لم يحصل له حظ من الدنيا فى عاجله ومع هذا فلو كان قصده
غير صالح لما تم امره وانفسحت دعوته * سنة الله قد خلت فى
عباده * وانتصر له ابن خلدون ثم قال فقد زلت اقدام كثير من
الاثبات والمؤرخين الحفاظ فى مثل هذه الاحاديث والآراء وعلقت

بافكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم ايضا كذلك من غير بحث ولا روية واندرجت فى محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا وناظره مرتبكا وعد من مناحى العامة فاذا يحتاج صاحب هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار فى السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق او بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منهما والمختلف والقيام على اصول الدول والملل ومبادى ظهورها واسباب حدوثها ودواعى كونها واحوال القائمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث واقفا على اصول كل خبر وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا والا زيفه واستغنى عنه وما استكبر القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انتحله الطبرى والبخارى وابن اسحق من قبلهما وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل الكثير عن هذا السر فيه حتى صار انتحاله مجهلة واستخف العوام ومن لارسوخ له فى المعارف مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفل عليه فاختلط المرعى بالهمل واللباب بالقشر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور *

ومن الغلط الخفى فى التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال فى الامم والاجيال بتبدل الاعصار ومرور الايام وهو داء دوى شديد الخفاء اذ لا يقع الا بعد احقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الآحاد من اهل الخليقة وذلك ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لاتدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك فى الاشخاص والاوقات والامصار فكذلك يقع فى الآفاق والاقطار والازمنة والدول

وقد

وقد كانت فى العالم امم الفرس الاولى والسريانيون والنبط والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال خاصة بهم فى دولهم وممالكهم وسياستهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واحوال اعتمارهم للعالم تشهد بها آثارهم ثم جاء بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فتبدلت تلك الاحوال وانقلبت بها العوائد الى ما يجانسها او يشابهها والى ما يباينها او يباعدها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلابة اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذه العهد يأخذه الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب وايامهم وذهبت الاسلاف الذين شيدوا عزهم ومهدوا ملكهم وصار الامر فى ايدى سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجة بالشمال فذهبت بذهابهم امم وانقلبت احوال وعوائد نسى شأنها واغفل امرها * والسبب الشائع فى تبدل الاحوال والعوائد ان عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال فى الامثال الحكمية * الناس على دين ملوكهم * واهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد وان يفزعوا الى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك فيقع فى عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت ايضا بعض الشئ وكانت للاولى اشد مخالفة ثم لا يزال التدريج فى المخالفة حتى ينتهى الى المباينة بالجملة فما دامت الامم والاجيال تتعاقب فى الملك والسلطان لا تزال المخالفة فى العوائد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن مرامه فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجريها لاول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد وقد

يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع فى مهواة من الغلط * فمن هذا الباب ما ينقله المؤرخون من احوال الحجاج وان اباه كان مع المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل العصبية والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم فيتشوف الكثير من المستضعفين اهل الحرف والصنائع المعاشية الى نيل الرتب التى ليسوا لها باهل ويعدونها من الممكنات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبلها من ايديهم فسقطوا فى مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتها فى حقهم وانهم اهل حرف وصنائع للمعاش وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلعم على معنى التبليغ الخبرى لا على وجه التعليم الصناعى اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرصون على تبليغ ذلك وتفهيمه للأمة لا تصدهم عنه لائمة الكبر ولا يزعهم عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبى صلعم كبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرائع الدين بعث فى ذلك من اصحابه العشرة فمن بعدهم فلما استقر الاسلام ووشجت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدى اهلها واستحالت بمرور الايام احوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطأ وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنائع والحرف واشتغل اهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام به من سواهم واصبح حرفة للمعاش وشمخت انوف المترفين واهل السلطان عن التصدى للتعليم

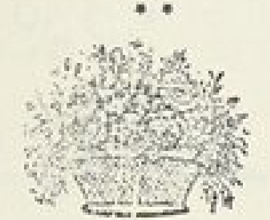
واختص انتحاله بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند اهل العصبية والملك والحجاج بن يوسف كان ابوه من سادات ثقيف واشرافهم ومكانهم من عصبية العرب ومناهضة قريش فى الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا العهد من انه حرفة للمعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الاول فى الاسلام * ومن هذا الباب ايضا ما يتوهمه المتصفحون لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من الرئاسة فى الحروب وقود العساكر فتترامى بهم وساوس الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشان فى خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بان ابى عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف باشبيلية اذا سمعوا ان اباءهم كانوا قضاة انهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع فى رتبة القضاء من مخالفة العوائد وابن ابى عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرئاسة والملك بخطة القضاء كما هى لهذا العهد بل انما كان القضاء فى الامر القديم لاهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها * ومن هذا الباب ايضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها فيذكرون اسمه ونسبه واباه وامه ونساءه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد لمؤرخى الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لاهل الدولة وابناؤها متشوفون الى سير اسلافهم ومعرفة احوالهم ليقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى فى اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لابناء صنائعهم وذويهم والقضاة ايضا كانوا من اهل عصبية الدولة وفى عداد الوزراء فيحتاجون الى ذكر ذلك كله واما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ووقف

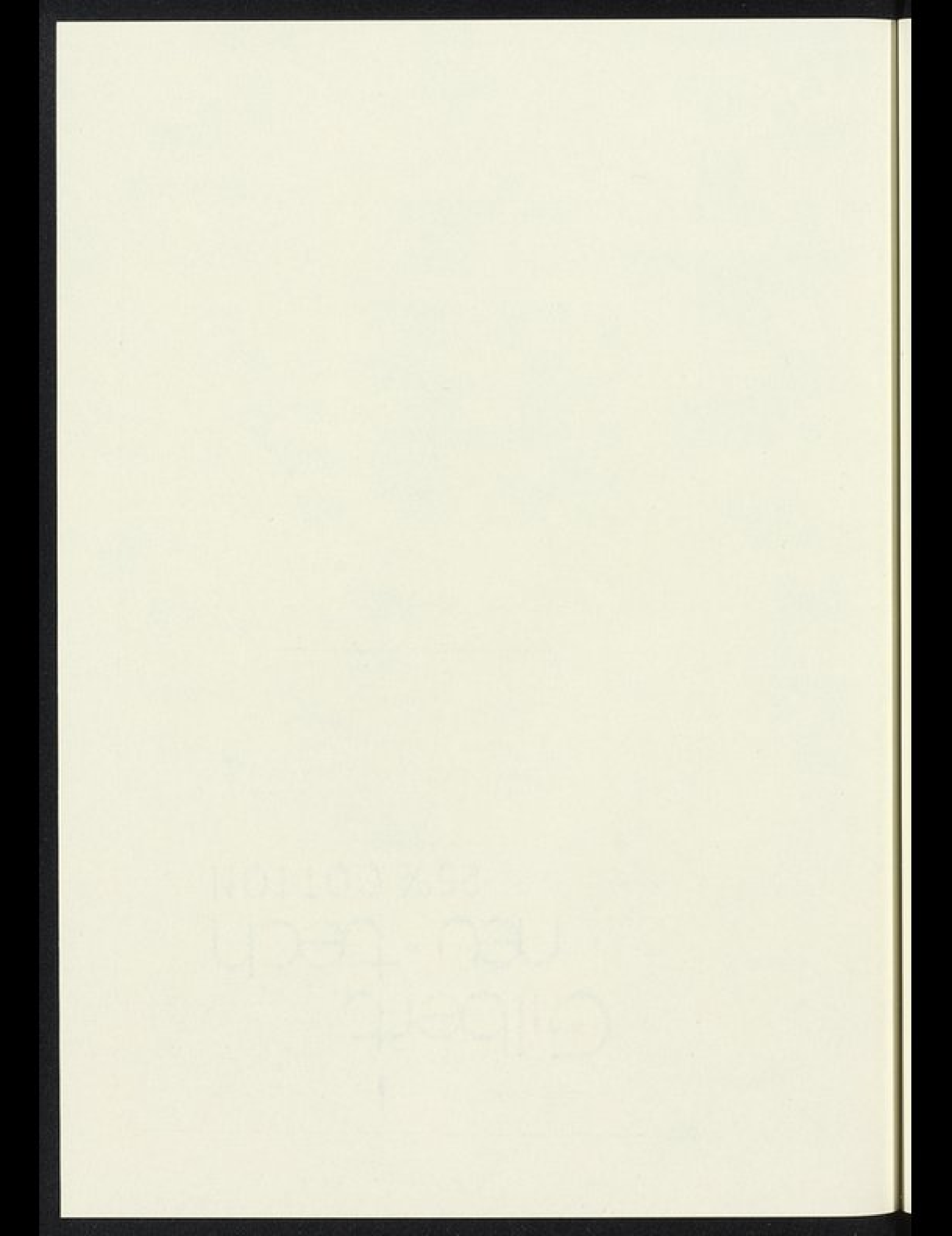
الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها من بعض فى قوتها وغلبتها ومن كان يناهضها من الامم او يقصر عنها فما الفائدة للمصنف فى هذا العهد فى ذكر الابناء و النساء ونقش الخاتم و اللقب والقاضى والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم انما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين والذهول عن تحرى الاغراض من التاريخ اللهم الاذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على الملوك اخبارهم كالحجاج وبنى المهلب والبرامكة وبنى سهل بن نوبخت وكافور الاخشيدى وابن ابى عامر و امثالهم فغير نكير الالماع بآبائهم و الاشارة الى احوالهم لانتظامهم فى عداد الملوك * ولنذكر هنا فائدة نختم كلامنا فى هذه المقالة بها وهى ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل فاما ذكر الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار فهو أس للمؤرخ تبنى عليه اكثر مقاصده وتتبين به اخباره وقد كان الناس يفردونه بالتأليف كما فعله المسعودى فى كتاب مروج الذهب شرح فيه احوال الامم والآفاق لعهده فى عصر الثلثين والثلثمائة غربا وشرقا وذكر نحلهم وعوائدهم و وصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اماما للمؤرخين يرجعون اليه واصلا يعولون فى تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكرى من بعده ففعل مثل ذلك فى المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الاحوال لان الامم والاجيال لعهده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير قال ابن خلدون واما لهذا العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلبت احوال المغرب الذى نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة واعتاض من اجيال البربر اهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من اجيال العرب بما كسروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقى من البلدان لملكهم هذا الى ما نزل

بالعمران

بالعمران شرقا وغربا فى منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذى تحيف الامم و ذهب باهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها واوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشى والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكانى بالشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه وكأنما نادى لسان الكون فى العالم بالخمول والانقباض فبادر بالاجابة والله وارث الارض ومن عليها * قلت * وهذه الحال هى بعينها حال مملكة الهند فى هذا العصر وهو آخر المائة الثالثة عشرة من سنى الهجرة منذ ذهبت منها دولة الاسلام واندرست معالم ملوكها وسلاطينها العظام وصارت تلك الدولة بايدى البرطانية اعنى الانكليز واذا تبدلت الاحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من اصله وتحول العالم باسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون احوال الخليقة والآفاق واجيالها والعوائد والنحل التى تبدلت لاهلها ويقفو مسلك المسعودى لعصره ليكون اصلا يقتدى به من يأتى من المؤرخين من بعده وقد ذكر ابن خلدون بعد هذا البيان ما امكنه منه فى القطر المغربى وكذلك غيره ما امكنهم منه فى الاقطار الشرقية والجنوبية ولكن المحقق من ذلك فى كتب القوم ما خلا ابن خلدون وابا الفداء نبذة يسيرة والاقاصيص المختلفة والاساطير المفتعلة كثيرة جدا ومرد العلم كله الى الله سبحانه وتعالى والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله فى عونه تيسرت عليه المذاهب وانجحت له المساعى والمطالب وههنا تمت كلمة التأليف والالتقاط من كتب الثقاة

على الارتجال مع تبلبل البال وتحول الحال وسميت تلك
* لقطة العجلان * مما تمس الى معرفته حاجة الانسان *
على يد جامعه الفقير الجانى والعبد الفانى سلالة الماء
والطين وسليل المسنونين ابى الطيب صديق بن حسن
بن على الحسينى القنوجى البخارى ختم الله له بالحسنى
وجعل له لسان صدق فى الآخرين وكان تمنيقه
بيمناه الدائرة ويده القاصرة فى شهر ربيع الاول
لعله الرابع عشر منه سنة تسعين ومائتين
والف من سنى الهجرة القدسية على صاحبها
الف الف صلوة مقبولة وتحية مرضية
ببلدة دار الامارة العلية بهوپال المحمية
لا زالت ملحوظة بعين الله والطافه
الخفية وآخر دعوانا ان الحمد لله
رب العالمين وسلام على
المرسلين اولا وآخرا





﴿ خبيئة الأكوان * فى افتراق الامم على المذاهب والاديان * ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى وتبارك حق حمده * والصلوة والسلام على مصطفاه محمد الذى لا نبى من بعده * وعلى آله وصحبه وحملة اخباره ونقلة آثاره وجنده * وبعد فاعلم ان الله عز وجل لما بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رسولا الى كافة الناس جميعا عربهم وعجمهم وهم كلهم اهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بقايا من اهل الكتاب كان امره صلعم مع قريش ما كان حتى هاجر من مكة الى المدينة فكانت الصحابة رضوان الله عليهم حوله صلعم يجتمعون اليه

فى كل وقت مع ما كانوا فيه من ضنك المعيشة وقلة القوت فمنهم من كان يحترف فى الاسواق ومنهم من كان يقوم على نخله ويحضر رسول الله صلعم فى كل وقت ومنهم طائفة عند ما تجد ادنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت حضروا فاذا سئل رسول الله صلعم عن مسألة او حكم بحكم او امر بشيء او فعل شيئا وعاه من حضر عنده من الصحابة وفات من غاب عنه علم ذلك الا ترى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد خفى عليه ما علمه حمل بن مالك بن نابغة رجل من الاعراب من هذيل فى دية الجنين وخفى عليه وكان يفتى فى زمن النبى صلعم من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وابو الدرداء وابو موسى الاشعرى وسلمان الفارسى رضى الله عنهم فلما مات رسول الله صلعم واستخلف ابو بكر الصديق رضى الله عنه تفرقت الصحابة فمنهم من خرج لقتال مسيلمة واهل الردة ومنهم من خرج لقتال اهل الشام ومنهم من خرج لقتال اهل العراق وبقى من الصحابة بالمدينة مع ابى بكر رضى الله عنه عدة فكانت القضية اذا نزلت بابى بكر قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله او سنة رسول الله صلعم فان لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلعم سأل من بحضرته من الصحابة رضى الله عنهم عن ذلك فان وجد عندهم علما من ذلك رجع اليه والا اجتهد فى الحكم ولما مات ابو بكر وولى امر الامة من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتحت الامصار وزاد تفرق الصحابة فيما افتتحوه من الاقطار فكانت الحكومة تنزل المدينة او غيرها من البلاد فان كان عند الصحابة الحاضرين بها فى ذلك اثر عن رسول الله صلعم حكم به والا اجتهد امير تلك البلدة فى ذاك وقد يكون فى تلك القضية حكم عن النبى صلعم موجود عند صاحب آخر وقد حضر المدنى ما لم يحضر

المصرى وحضر المصرى ما لم يحضر الشامى وحضر الشامى
ما لم يحضر البصرى وحضر البصرى ما لم يحضر الكوفى وحضر
الكوفى ما لم يحضر المدنى كل هذا موجود فى الآثار وفيما علم من
مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبى صلعم فى بعض الاوقات وحضور
غيره ثم مغيب الذى حضر امس وحضور الذى غاب فيدرى كل
واحد منهم ما حضر ويفوته ما غاب عنه فمضى الصحابة رضى الله
عنهم على ما ذكرنا ثم خلف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل
طبقة من التابعين فى البلاد التى تقدم ذكرها فانما تفقهوا مع من كان
عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون فتاواهم الا اليسير مما بلغهم
عن غير من كان فى بلادهم من الصحابة كاتباع اهل المدينة فى الاكثر
فتاوى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما واتباع اهل الكوفة فى الاكثر
فتاوى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه واتباع اهل مكة فى الاكثر
فتاوى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما واتباع اهل مصر فى
الاكثر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ثم اتى
من بعد التابعين رضى الله عنهم فقهاء الامصار كابى حنيفة وسفيان
وابن ابى ليلى بالكوفة وابن جريج بمكة ومالك وابن الماجشون
بالمدينة وعثمان البتى وسوار بالبصرة والاوزاعى بالشام والليث
بن سعد بمصر فجروا على تلك الطريق من اخذ كل واحد منهم عن
التابعين من اهل بلده فيما كان عندهم واجتهادهم فيما لم يجدوا
عندهم وهو موجود عند غيرهم واول من اقرأ القرآن بمصر
ابو قبيل روى عن عبيد بن مخمر المغافرى يكنى ابا امية رجل من
اصحاب النبى صلعم شهد فتح مصر وذكر عن ابى قبيل وغيره
ان يزيد بن ابى حبيب اول من نشر العلم بمصر فى الحلال والحرام
ومسائل الفقه وكانوا قبل ذلك انما يحدثون فى الفتن والترغيب
وذكر ابو عمرو الكندى ان ابا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى

اللامس الحضرمى كان فقيهـا وكان اول الناس اقرأ بمصر بحرف نافع قبـل الخمسين ومائة وتوفى سـنة ثمان وثمانين ومائة وان ابا سعيد عثمان بن عتيق مولى غافق اول من رحل من اهل مصر الى العراق فى طلب الحديث توفى سنة اربع وثمانين ومائة انتهى * وكان حال اهل الاسلام من اهل مصر وغيرها من الامصار فى احكام الشريعة على ما تقدم ذكره ثم كثر الترحل الى الآفاق وتداخل الناس والتقوا وانتدب اقوام لجمع الحديث النبوى وتقييده فكان اول من دون العلم محمد بن شهاب الزهرى وكان اول من صنف وبوب سعيد بن عروبة والربيع بن صبيح بالبصرة ومعمر بن راشد باليمن وابن جريج بمكة ثم سفيان الثورى بالكوفة وحماد بن سلمة بالبصرة والوليد بن مسلم بالشام وجرير بن عبد الحميد بالرى وعبد الله بن مبارك بمرو وخراسان وهشيم بن بشير بواسط وتفرد بالكوفة ابو بكر بن ابى شيبة بتكثير الابواب وجودة التصنيف وحسن التأليف فوصلت احاديث رسول الله صلعم من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شئ منها وجمعت الاحاديث المبينة لصحة احد التأويلات المتأولة من الاحاديث وعرف الصحيح من السقيم وزيف الاجتهاد المؤدى الى خلاف كلام رسول الله صلعم والى ترك عمله وسقط العذر عمن خالف ما بلغه من السنن ببلوغه اليه وقيام الحجة عليه وعلى هذا الطريق كانت الصحابة رضى الله عنهم وكثير من التابعين يرحلون فى طلب الحديث الواحد الايام الكثيرة يعرف ذلك من نظر فى كتب الحديث وعرف سير الصحابة والتابعين فلما قام هارون الرشيد فى الخلافة ولى القضاء ابا يوسف يعقوب بن ابراهيم احد اصحاب ابى حنيفة رحمه الله تعالى بعد سنة سبعين ومائة فلم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الا من اشار به القاضى ابو يوسف رحمه الله واعتنى به وكذلك لما قام بالاندلس الحكم

المرتضى بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
بن مروان بن الحكم بعد ابيه وتلقب بالمنتصر فى سنة ثمانين ومائة
اختص بيحيى بن يحيى بن كثير الاندلسى وكان قد حج وسمع الموطأ
من مالك الا ابوابا وحمل عن ابن وهب وابن القاسم وغيرهما علما
كثيرا وعاد الى الاندلس فنال من الرئاسة والحرمة مالم ينله غيره
وعادت الفتيا اليه وانتهى السلطان والعامة الى بابه فلم يقلد فى
سائر اعمال الاندلس قاض الا باشارته واعتنائه فصاروا على رأى
مالك بعدما كانوا على رأى الاوزاعى وقد كان مذهب الامام مالك
ادخله الى الاندلس زياد بن عبد الرحمن الذى يقال له بسطور
قبل يحيى بن يحيى وهو اول من ادخل مذهب مالك الاندلس وكانت
افريقية الغالب عليها السنن والآثار الى ان قدم عبدالله بن فروج
ابو محمد الفارسى بمذهب ابى حنيفة ثم غلب اسد بن الفرات بن
سنان قاضى افريقية بمذهب ابى حنيفة ثم لما ولى سحنون بن سعيد
التنوخى قضاء افريقية بعد ذلك نشر فيهم مذهب مالك وصار
القضاء فى اصحاب سحنون دولا يتصاولون على الدنيا تصاول الفحول
على الشول الى ان تولى القضاء بها بنو هاشم وكانوا مالكية
فتوارثوا القضاء كما تتوارث الضياع ثم ان المعز بن باديس حمل جميع اهل
افريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه من المذاهب فرجع
اهل افريقية واهل الاندلس كلهم الى مذهب مالك الى اليوم رغبة
فيما عند السلطان وحرصا على طلب الدنيا اذ كان القضاء والافتاء
فى جميع تلك المدن وسائر القرى لا يكون الا لمن تسمى بالفقه على
مذهب مالك فاضطرت العامة الى احكامهم وفتاواهم ففشا هذا
المذهب هناك فشوا طبق تلك الاقطار كما فشا مذهب ابى حنيفة
ببلاد المشرق حيث ان ابا حامد الاسفرايني لما تمكن من الدولة فى
ايام الخليفة القادر بالله ابى العباس احمد قرر معه استخلاف ابى

العباس احمد بن محمد البارزى الشافعى عن ابى محمد بن الاكفانى الحنفى
قاضى بغداد فاجيب اليه بغير رضا الاكفانى وكتب ابو حامد الى
السلطان محمود بن سبكتكين واهل خراسان ان الخليفة نقل القضاء
عن الحنفية الى الشافعية فاشتهر ذلك بخراسان وصار اهل بغداد
حزبين وقدم بعد ذلك ابو العلاء صاعد بن محمد قاضى نيسابور
ورئيس الحنفية بخراسان فاتاه الحنفية فثارت بينهم وبين اصحاب ابى
حامد فتنة ارتفع امرها الى السلطان فجمع الخليفة القادر الاشراف
والقضاة واخرج اليهم رسالة تتضمن ان الاسفراينى ادخل على امير
المؤمنين مداخل اوهمه فيها النصح والشفقة والامانة وكانت على
اصول الدخل والخيانة فلما تبين له امره ووضح عنده خبث اعتقاده
فيما سأل فيه من تقليد البارزى الحكم بالحضرة من الفساد والفتنة
والعدول بامير المؤمنين عما كان عليه اسلافه من ايثار الحنفية
وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزى واعاد الامر الى حقه واجراه
على قديم رسمه وحمل الحنفيين على ما كانوا عليه من العناية
والكرامة والحرمة والاعزاز وتقدم اليهم بان لا يلقوا ابا حامد ولا
يقضوا له حقا ولا يردوا عليه سلاما وخلع على ابى محمد الاكفانى
وانقطع ابو حامد عن دار الخلافة وظهر التسخط عليه والانحراف
عنه وذلك فى سنة ثلث وتسعين وثلثمائة واتصل ببلاد الشام ومصر
واول من قدم بعلم مالك الى مصر عبد الرحيم بن خالد مولى جمح
وكان فقيها وتوفى بالاسكندرية سنة ١٦٣ ثم نشره بمصر عبدالرحمن
بن القاسم فاشتهر مذهب مالك بمصر اكثر من مذهب ابى حنيفة
لتوفر اصحاب مالك بمصر ولم يكن مذهب ابى حنيفة رحمه الله
يعرف بمصر حتى قدم الشافعى محمد بن ادريس الى مصر مع
عبدالله بن العباس بن موسى فى سنة ثمان وتسعين ومائة فصحبه من
من اهل مصر جماعة من اعيانها كبنى عبد الحكم والربيع والمزنى

والبويطى وكتبوا عن الشافعى ما الفه وعملوا بما ذهب اليه ولم يزل امر مذهبه يقوى بمصر وذكره ينتشر وما زال مذهب مالك والشافعى يعمل بهما اهل مصر ويولى القضاء من كان يذهب اليهما او الى مذهب ابى حنيفة الى ان قدم القائد جوهر من بلاد افريقية فى سنة ٣٥٨ وبنى مدينة القاهرة فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة وعمل به فى القضاء والفتيا وانكر ما خالفه ولم يبق مذهب سواه وقد كان التشيع بارض مصر معروفا قبل ذلك قال يزيد بن ابى حبيب نشأت بمصر وهى علوية فقلبتها عثمانية وكان ابتداء التشيع فى الاسلام ان رجلا من اليهود فى خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه يقال له عبدالله بن سبأ وعرف بابن السوداء وصار ينتقل من الحجاز الى امصار المسلمين يريد اضلالهم فلم يطق ذلك فرجع الى كيد الاسلام واهله ونزل البصرة فى سنة ثلث وثلثين فجعل يطرح على اهلها مسائل ولا يصرح فاقبل عليه جماعة ومالوا اليه واعجبوا بقوله فبلغ ذلك عبد الله بن عامر وهو يومئذ على البصرة فارسل اليه فلما حضر عنده سأله من انت فقال رجل من اهل الكتاب رغب فى الاسلام وفى جوارك فقال ما شئ بلغنى عنك اخرج عنى فخرج حتى نزل الكوفة فاخرج منها فسار الى مصر واستقر بها وقال فى الناس العجب ممن يصدق ان عيسى يرجع ويكذب ان محمدا يرجع وتحدث فى الرجعة حتى قبلت منه فقال بعد ذلك انه كان لكل نبى وصى وعلى بن ابى طالب وصى محمد صلعم فمن اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلعم فى ان عليا وصيه فى الخلافة على امته واعلموا ان عثمان اخذ الخلافة بغير حق فانهضوا فى هذا الامر وابدأوا بالطعن على امرائكم واظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعاته وكاتب من مال اليه من اهل الامصار وكاتبوه ودعوا

في السر

فى السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار كتبا يضعونها فى عيب ولاتهم فيكتب اهل كل مصر منهم الى اهل المصر الآخر بما يضعون حتى ملأوا بذلك الارض اذاعة وجاء الخبر الى اهل المدينة من جميع الامصار فاتوا عثمان رضى الله عنه فى سنة خمس وثلثين واعلموه ما ارسل به اهل الامصار من شكوى عمالهم فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة واسامة بن زيد الى البصرة وعمار بن ياسر الى مصر وعبد الله بن عمر الى الشام لكشف سير العمال فرجعوا الى عثمان الا عمارا وقالوا ما انكرنا شيئا وتأخر عمار فورد الخبر الى المدينة بانه قد استماله عبد الله بن السوداء فى جماعة فامر عثمان عماله ان يوافوه بالموسم فقدموا عليه واستشارهم فكل اشار برأى فكان بينه وبين على بن ابى طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب اعطائه اقاربه ورفعه لهم على من سواهم وكان المنحرفون عن عثمان قد تواعدوا يوما يخرجون فيه بامصارهم اذا سار عنها الامراء فلم يتهيأ لهم الوثوب وكان ما كان الى ان قتل عثمان فى ذى الحجة سنة خمس وثلثين ثم ما برح مذهب التشيع فى مصر حتى قام السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب فى جمادى الآخرة سنة اربع وستين وخمسمائة وشرع فى تغيير دولة الاسمعيلية وازالتها وانشأ بمصر مدرسة للفقهاء الشافعية ومدرسة للفقهاء المالكية وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارانى الشافعى فلم يستنب عنه فى اقليم مصر الا من كان شافعى المذهب فتظاهر الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعى واختفى مذهب الشيعة والاسمعيلية والامامية حتى فقد من ارض مصر كلها ولله الحمد وكذلك كان السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى حنفيا فيه تعصب فنشر مذهب ابى حنيفة ببلاد الشام ومنه كثرت الحنفية بمصر وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى

وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ * واما العقائد فان السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ ابى الحسن على بن اسمعيل الاشعرى وشرط ذلك فى اوقافه التى بديار مصر كالمدرسة الناصرية والقمحية وخانكاه سعيد السعداء بالقاهرة فاستمر الحال على عقيدة الاشعرى بديار مصر وبلاد الشام وارض الحجاز واليمن وبلاد المغرب ايضا لادخال محمد بن تومرت رأى الاشعرى اليها حتى انه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد بحيث ان من خالفه ضرب عنقه والامر على ذلك الى اليوم ولم يكن فى الدولة الايوبية بمصر كثير ذكر لمذهب ابى حنيفة واحمد بن حنبل ثم اشتهر مذهبهما فى آخرها فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ولى بمصر والقاهرة اربعة قضاة وهم شافعى ومالكى وحنفى وحنبلى فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة حتى لم يبق فى مجموع امصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب اهل الاسلام سوى هذه المذاهب الاربعة وعقيدة الاشعرى وعملت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط فى سائر ممالك الاسلام وعودى من تمذهب بغيرها وانكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة احد ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس احد مالم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب وافتى فقهاء هذه الامصار فى طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ماعداها والعمل على هذا الى اليوم * واذ قد بينا الحال فى سبب اختلاف الامة منذ توفى رسول الله صلعم الى ان استقر العمل على مذهب مالك والشافعى وابى حنيفة واحمد بن حنبل رحمة الله عليهم فلنذكر اختلاف عقائد اهل الاسلام منذ كان الى ان التزم الناس عقيدة الاشعرى

ذكر

﴿ ذكر فرق الخليقة واختلاف عقائدها وتباينها ﴾

اعلم ان الذين تكلموا فى اصول الديانات قسمان هما من خالف ملة الاسلام ومن اقر بها فاما المخالفون لملة الاسلام فهم عشر طوائف * الاولى * الدهرية * والثانية * اصحاب العناصر * والثالثة * الثنوية وهم المجوس ويقولون باصلين هما النور والظلمة ويزعمون ان النور هو يزدان والظلمة هو اهرمن ويقرون بنبوة ابراهيم عليه السلام وهم ثمان فرق الكيومرثية اصحاب كيومرث الذى يقال انه آدم والزروانية اصحاب زروان الكبير والزرادشتية اصحاب زرادشت الحكيم والثنوية اصحاب الاثنين الازليين والمانوية اصحاب مانى الحكيم والمزركية اصحاب مزرك الخارجى والبيصانية اصحاب بيصان القائل بالاصلين القديمين والفرقونية القائلون بالاصلين وان الشر خرج على ابيه وانه تولد من فكرة فكرها فى نفسه فلما خرج على ابيه الذى هو الاله بزعمهم عجز عنه ثم وقع الصلح بينهما على يد الندمات وهم الملائكة ومنهم من يقول بالتناسخ ومنهم من ينكر الشرائع والانبياء ويحكمون العقول ويزعمون ان النفوس العلوية تفيض عليهم الفضائل * والطائفة الرابعة * الطبائعيون * والخامسة * الصابئة القائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضية وانكار النبوات وهم اصناف وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية ومنهم اصحاب الروحانيات وهم عباد الكواكب واصنامها التى عملت على تمثالها والحنفاء هم القائلون بان الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ومنها ما وجودها بالفعل فما هو بالقوة يحتاج الى من يوجده بالفعل ويقرون بنبوة ابراهيم وانه منهم وهم طوائف الكاظمة اصحاب كاظم بن تارح ومن قوله

ان الحق فى الجمع بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة
ابراهيم عليهم السلام ومنهم البيدانية اصحاب بيدان الاصغر ومن
قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وان النبوة من الاسرار
الالهية ومنهم القنطارية اصحاب قنطار بن ارفخشد ويقر بنبوة نوح
ومن فرق الصابئة اصحاب الهياكل ويرون ان الشمس اله
كل اله والحرانية ومن قولهم المعبود واحد بالذات وكثير
بالاشخاص فى رأى العين وهى المدبرات السبع من الكواكب
والارضية الجزئية والعالمة الفاضلة * والطائفة السادسة اليهود *
والسابعة * النصارى * والثامنة * اهل الهند القائلون بعبادة الاصنام
ويزعمون انها موضوعة قبل آدم وانهم حكم عقلية واحكام وضعها
الشلم اعظم حكامهم والمنهدم قبله والبراهمة قبل ذلك فالبراهمة
اصحاب برهام اول من انكر نبوة البشر ومنهم البردة زهاد عباد
رجال الرماد الذين يهجرون اللذات الطبيعية واصحاب الرياضة
التامة واصحاب التناسخ وهم اقسام اصحاب الروحانية والبهادرية
والناسوتية والباهرية والكابلية اهل الجبل ومنهم الطبسيون
اصحاب الرياضة الفاعلة حتى ان منهم من يجاهد نفسه حتى يسلطها
على جسده فيصعد فى الهواء على قدر قوته وفى اليهود عباد النار
وعباد الشمس والقمر والنجوم وعباد الاوثان * والطائفة التاسعة *
الزنادقة وهم طوائف منهم القرامطة * والعاشرة * الفلاسفة
اصحاب الفلسفة وكلمة فيلسوف معناها محب الحكمة فان فيلو محب
وسوفا حكمة والحكمة قولية وفعلية وعلم الحكماء انحصر فى اربعة
انواع الطبيعى والمدنى والرياضى والالهى والمجموع ينصرف الى علم
ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذى يطلب فيه ماهيات الاشياء هو
الالهى والذى يطلب فيه كيفيات الاشياء هو الطبيعى والذى

يطلب

يطلب فيه كميات الاشياء هو الرياضى و وضع بعد ذلك ارسطو صنعة المنطق وكانت بالقوة فى كلام القدماء فاظهرها و رتبها واسم الفلاسفة يطلق على جماعة من الهند وهم الطبيعيون والبراهمة ولهم رياضة شديدة وينكرون النبوة اصلا و يطلق ايضا على العرب وحكمتهم ترجع الى افكارهم و الى ملاحظة طبيعية ويقرون بالنبوات وهم اضعف الناس فى العلوم و من الفلاسفة حكماء الروم وهم طبقات فنهم اساطين الحكمة وهم اقدمهم و منهم المشاؤن واصحاب الرواق واصحاب ارسطو و فلاسفة الاسلام فمن فلاسفة الروم الحكماء السبعة اساطين الحكمة اهل ملطية وقونية وهم ثاليس الملطى وانكساغورس وانكسمالس وابنادقليس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون ودون هؤلاء فلوطس وبقراط وديمقراطيس والسمسر والنساس ومنهم حكماء الاصول من القدماء ولهم القول بالسيمياء ولهم اسرار الخواص والحيل والكيمياء والاسماء الفعالة والحروف ولهم علوم توافق علوم الهند وعلوم اليونانيين وليس من موضوع كتابنا هذا ذكر آرائهم فلذلك تركناها

﴿ القسم الثانى فرق اهل الاسلام ﴾

الذين عناهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله * ستفترق امتى ثلثا وسبعين فرقة ثنتان وسبعون هالكة وواحدة ناجية * وهذا الحديث اخرجه ابو داود و الترمذى وابن ماجه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه بلفظ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * افترقت اليهود على احدى وسبعين اواثنتين وسبعين فرقة وتفترقت النصارى على احدى وسبعين او اثنتين وسبعين فرقة وتفترق امتى على ثلث وسبعين فرقة * قال البيهقى حسن صحيح واخرجه الحاكم و ابن حبان

فى صحيحه بنحوه فاخرجه فى المستدرك من طريق الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة به وقال هذا حديث كبير فى الاصول وقد روى عن سعد بن ابى وقاص وعبد الله بن عمر وعوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمثله وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة واتفقا جميعا على الاحتجاج بالفضل بن موسى وهو ثقة * واعلم ان فرق المسلمين خمس * اهل السنة * والمرجئة * والمعتزلة * والشيعة والخوارج * وقد افترقت كل فرقة منها على فرق فاكثر افتراق اهل السنة فى الفتيا ونبذ يسيرة من الاعتقادات وبقية الفرق الاربع منها من يخالف اهل السنة الخلاف البعيد ومنهم من يخالفهم الخلاف القريب فاقرب فرق المرجئة من قال الايمان انما هو التصديق بالقلب واللسان معا فقط وان الاعمال انما هى فرائض الايمان وشرائعه فقط وابعدهم اصحاب جهم بن صفوان ومحمد بن كرام واقرب فرق المعتزلة اصحاب الحسين النجار وبشر بن غياث المريسى وبعدهم اصحاب ابى الهذيل العلاف واقرب مذاهب الشيعة اصحاب الحسن بن صالح بن حى وابعدهم الامامية واما الغالية فليسوا بمسلمين ولكنهم اهل ردة وشرك واقرب فرق الخوارج اصحاب عبد الله بن يزيد الاباضى وابعدهم الازارقة واما البطيخية ومن جحد شيئا من القرآن وفارق الاجماع من العجاردة وغيرهم فكفار باجماع الامة وقد انحصرت الفرق الهالكة فى عشر طوائف * الفرقة الاولى المعتزلة * الغلاة فى نفى الصفات الآلهية القائلون بالعدل والتوحيد وان المعارف كلها عقلية حصولا ووجوبا قبل الشرع وبعده واكثرهم على ان الامامة بالاختيار وهم عشرون فرقة * احداها الواصلية * اصحاب واصل بن عطاء ابى حذيفة الغزال مولى بنى ضبة وقيل مولى بنى مخزوم ولد بالمدينة سنة ثمانين ونشأ

بالبصرة

بالبصرة ولقى ابا هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ولازم مجلس الحسن بن الحسين البصرى واكثر من الجلوس بسوق الغزل ليعرف النساء المتعففات فيصرف اليهن صدقته فقيل له الغزال من اجل ذلك وكان طويل العنق جدا حتى عابه عمرو بن عبيد بذلك فقال من هذه عنقه لا خير عنده فلما برع واصل قال عمرو وربما اخطأت الفراسة وكان يلثغ بالراء ومع ذلك كان فصيحا لسنا مقتدرا على الكلام قد اخذ بجوامعه فلذلك امكنه ان اسقط حرف الراء من كلامه واجتناب الحروف صعب جدا لا سيما مثل الراء لكثرة استعمالها وله رسالة طويلة لم يذكر فيها حرف الراء وهذا احد بدائع الكلام وكان لكثرة صمته يظن به الخرس توفى سنة احدى وثلثين ومائة وله كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الفتيا وكتاب التوحيد وعنه اخذ جماعة واخباره كثيرة ويقال لهم ايضا الحسنية نسبة الى الحسن البصرى واخذ واصل العلم عن ابى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وخالفه فى الامامة واعتزاله يدور على اربع قواعد هى * نفى الصفات * والقول بالقدر * والقول بمنزلة بين المنزلتين * ووجوب الخلود فى النار على من ارتكب كبيرة * فلما بلغ الحسن البصرى عنه هذا قال هؤلاء اعتزلوا فسموا من حينئذ المعتزلة وقيل ان تسميتهم بذلك حدثت بعد الحسن وذلك ان عمرو بن عبيد لما مات الحسن وجلس قتادة مجلسه اعتزله فى نفر معه فسماهم قتادة المعتزلة * القاعدة الرابعة القول بان احدى الطائفتين من اصحاب الجمل وصفين مخطئة لا بعينها وكان فى خلافة هشام بن عبد الملك * والثانية العمروية * اصحاب عمرو ومن قوله ترك قول عن بن ابى طالب وطلحة والزبير رضى الله عنهم وقال ابن منبه اعتزل عمرو بن عبيد واصحاب له الحسن فسموا المعتزلة * والثالثة الهذلية * اتباع ابى الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة اخذ عن عثمان بن خالد الطويل

عن واصل بن عطاء ونظر فى الفلسفة ووافقهم فى كثير وقال جميع الطاعات من الفرائض والنوافل ايمان وانفرد بعشر مسائل وهى ان علم الله وقدرته وحياته هى ذاته واثبت ارادات لا محل لها يكون البارى مريدا لها وقال بعض كلام الله لا فى محل وهو قوله كن وبعضه فى محل كالامر والنهى وقال فى امور الآخرة كمذهب الجبرية وقال تنتهى مقدورات الله حتى لا يقدر على احداث شئ ولا على افناء شئ ولا على احياء شئ ولا على اماتة شئ وتنقطع حركات اهل الجنة والنار ويصيرون الى سكون دائم وقال الاستطاعة عرض من الاعراض نحو السلامة والصحة وفرق بين اعمال القلوب واعمال الجوارح وقال تجب معرفة الله قبل ورود السمع وان المرء المقتول ان لم يقتل مات فى ذلك الوقت ولا يزاد العمر ولا ينقص بخلاف الرزق وقال ارادة الله عين المراد والحجة لا تقوم فيما غاب الا بخبر عشرين * والرابعة النظامية * اتباع ابراهيم بن سيار النظام بتشديد الظاء المعجمة زعيم المعتزلة واحد السفهاء انفرد بعدة مسائل وهى قوله ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى وانها غير مقدورة لله وقال ليس لله ارادة وافعال العباد كلها حركات والنفس والروح هو الانسان والبدن انما هو آلة فقط وان كل ما جاوز القدرة من الفعل فهو من الله وهو فعله وانكر الجوهر الفرد واحدث القول بالطفرة وقال الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت وزعم ان الله خلق الموجودات دفعة على ماهى عليه وان الاعجاز فى القرآن من حيث الاخبار عن الغيب فقط وانكر ان يكون الاجماع حجة وطعن فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال قبحه الله ابو هريرة اكذب الناس وزعم انه ضرب فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنع ميراث العترة واوجب معرفة الله بالفكر قبل ورود الشرع وحرم نكاح الموالى العربيات وقال لا تجوز صلوة التراويح ونهى

عن ميقات الحج وكذب بانشقاق القمر واحال رؤية الجن وزعم ان من سرق مائتي دينار فما دونها لم يفسق وان الطلاق بالكناية لا يقع وان كان بنية وان من نام مضطجعا لا ينتقض وضوءه ما لم يخرج منه الحدث وقال لا يلزم قضاء الصلوة اذا فاتت * والخامسة الاسوارية * اتباع ابى على عمرو بن قائد الاسوارى القائل ان الله تعالى لا يقدر ان يفعل ما علم انه لا يفعله * والسادسة الاسكافية * اتباع ابى جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى ومن قوله ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الاطفال والمجانين وانه لا يقال ان الله خالق المعازف والطنابير وان كان هو الذى خلق اجسامها * والسابعة الجعفرية * اتباع جعفر بن حرب بن مبشرة ومن قوله ان فى فساق هذه الامة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس واسقط الحد عن شارب الخمر وزعم ان الصغائر من الذنوب توجب تخليد فاعلها فى النار وان رجلا لو بعث رسولا الى امرأة ليخطبها فجاءته فوطئها من غير عقد لم يكن عليه حد ويكون وطؤه اياها طلاقا لها * والثامنة البشرية * اتباع بشر بن المعتمر ومن قوله الطعم واللون والرائحة والادراكات كلها من السمع يجوز ان تحصل متولدة وصرف الاستطاعة الى سلامة البنية والجوارح وقال لو عذب الله الطفل الصغير لكان ظالما وهو يقدر على ذلك وقال ارادة الله من جملة افعاله ثم هى تنقسم الى صفة فعل وصفة ذات وقال باللطف المخزون وان الله لم يخلقه لان ذلك يوجب عليه الثواب وان التوبة الاولى متوقفة على الثانية وانها لا تنفع الا بعدم الوقوع فى الذى وقع فيه فان وقع لم تنفعه التوبة الاولى * والتاسعة المزدارية * اتباع ابى موسى عيسى بن صبيح المعروف بالمزدار تلميذ بشر بن المعتمر وكان زاهدا وقيل له راهب المعتزلة وانفرد بمسائل منها

قوله ان الله قادر على ان يظلم ويكذب ولا يطعن ذلك فى الربوبية وجوز وقوع الفعل الواحد من الفاعلين على سبيل التولد وزعم ان القرآن مما يقدر عليه وان بلاغته وفصاحته لا تعجز الناس بل يقدرون على الاتيان بمثلها واحسن منها وهو اصل المعتزلة فى القول بخلق القرآن وقال من اجاز رؤية الله بالابصار بلا كيف فهو كافر والشاك فى كفره كافر ايضا * والعاشرة الهشامية * اتباع هشام بن عمرو الفوطى الذى يبالغ فى القدر ولا ينسب الى الله فعلا من الافعال حتى انه انكر ان يكون الله هو الذى الف بين قلوب المؤمنين وانه يحب الايمان للمؤمنين وانه اضل الكافرين وعاند ما فى القرآن من ذلك وقال لا تنعقد الامامة فى زمن الفتنة واختلاف الناس وان الجنة والنار غير مخلوقتين ومنع ان يقال حسبنا الله ونعم الوكيل وقال لان الوكيل دون الموكل وقال لو اسبغ احد الوضوء ودخل فى الصلوة بنية القربة لله تعالى والعزم على اتمامها وركع وسجد مخلصا فى ذلك كله الا ان الله علم انه يقطعها فى آخرها فان اول صلاته معصية ومنع ان يكون البحر انفلق لموسى وان عصاه انقلبت حية وان عيسى احيى الموتى باذن الله وان القمر انشق للنبي صلى الله عليه وسلم وانكر كثيرا من الامور التى تواترت كحصر عثمان بن عفان رضى الله عنه وقتله بالغلبة وقال انما جاءته شرذمة قليلة تشكو عماله ودخلوا عليه وقتلوه فلا يدرى قاتله وقال ان طلحة والزبير وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهم ما جاؤا للقتال فى حرب الجمل وانما برزوا للمشاورة وتقاتل اتباع الفريقين فى ناحية اخرى وان الامة اذا اجتمعت كلها وتركت الظلم والفساد احتاجت الى امام يسوسها فاما اذا عصت وفجرت وقتلت واليها فلا تنعقد الامامة لاحد وبنى على ذلك ان امامة

على

علی رضی الله عنه لم تنعقد لانها کانت فی حال الفتنة بعد قتل عثمان وهو ایضا مذهب واصل بن عطاء وعمرو بن عبید وانکر افتضاض الابکار فی الجنــة وانکر ان الشیطان یدخل فی الانسان وانما یوسوس له من خارج والله یوصـل وسوسته الی قلب ابن آدم وقال لا یقال خلق الله الکافر لانه اسم العبد والکفر جمیعـا وانکر ان یکون فی اسماء الله الضار النافع * والحادیة عشرة الحائطیة * اتباع احمد بن حائط احد اصحاب ابراهیم بن سیار النظام وله بدع شنیعة منها ان للخلق الهین احدهما خالق وهو الاله القدیم والآخر مخلوق وهو عیسی بن مریم وزعم ان المسیح ابن الله وانه هو الذی یحاسب الخلق فی الآخرة وانه هو المعنی بقول الله تعالی فی القرآن * هل ینظرون الا ان یأتیهم الله فی ظلل من الغمام * وزعم فی قول النبی صلی الله علیه وسلم * ان الله خلق آدم علی صورته * ان معناه خلقه اباه علی صورة نفسه وان معنی قوله علیه السلام * انکم سترون ربکم کما ترون القمر لیلة البدر * انمـا اراد به عیسی وزعم ان فی الدواب والطیور والحشرات حتی البق والبعوض والذباب انبیـاء لقول الله سبحانه * وان من امة الا خلا فیها نذیر * وقوله تعالی * وما من دابة فی الارض ولا طائر یطیر بجناحیــه الا امم امثالکم ما فرطنـا فی الکتاب من شیء * ولقول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم * لو لا ان الکلاب امة من الامم لامرت بقتلها * وذهب مع ذلک الی القول بالتناسخ وزعم ان الله ابتدأ الخلق فی الجنة وانما خرج من خرج منها بالمعصیة وطعن فی النبی صلی الله علیه وآله وسلم من اجل تعـدد نکاحه وقال ان اباذر الغفاری انسک وازهد منه قبحه الله وزعم ان کل من نال خیرا فی الدنیا انما هو بعمل کان منه ومن ناله مرض او آفة فبذنب کان منــه وزعم ان روح الله تناسخت فی الائمة * والثانیة

عشرة الحمارية * اتباع قوم من معتزلة عسكر مكرم ومن مذهبهم ان الممسوخ انسان كافر معتقد الكفر وان النظر اوجب المعرفة وهو لا فاعل له وكذلك الجماع اوجب الولد فشك فى خالق الولد وان الانسان يخلق انواعا من الحيوانات بطريق التعفين وزعموا انه يجوز ان يقدر الله العبد على خلق الحيوة والقدرة * والثالثة عشرة المعمرية * اتباع معمر بن عباد السلمى وهو اعظم القدرية غلوا وبالغ فى رفع الصفات والقدرة بالجملة وانفرد بمسائل منها ان الانسان يدبر الجسد وليس بحال فيه والانسان عنده ليس بطويل ولا عريض ولا ذى لون وتأليف وحركة ولا حال ولا متمكن وان الانسان شئ غير هذا الجسد وهو حى عالم قادر مختار وليس هو بمتحرك ولا ساكن ولا متلون ولا يرى ولا يلمس ولا يحل موضعا ولا يحويه مكان فوصف الانسان بوصف الالهية عنده فان مدبر العالم موصوف عنده كذلك وزعم ان الانسان منعم فى الحيوة ومعذب فى النار وليس هو فى الجنة ولا فى النار حالا ولا متمكنا وقال ان الله لم يخلق غير الاجسام والاعراض تابعة لها متولدة منها وان الاعراض لا تتناهى فى كل نوع وان الارادة من الله للشئ غير الله وغير خلقه وان الله ليس بقديم لان ذلك اخذ من قدم يقدم فهو قديم * والرابعة عشرة الثمامية * اتباع ثمامة بن اشرس النميرى وجمع بين النقائض وقال العلوم كلها ضرورية فكل من لم يضطر الى معرفة الله فليس بمأمور بها وهو كالبهائم ونحوها وزعم ان اليهود والنصارى والزنادقة يصيرون يوم القيامة ترابا كالبهائم لا ثواب لهم ولا عقاب عليهم البتة لانهم غير مأمورين اذ هم غير مضطرين الى معرفة الله تعالى وزعم ان الافعال كلها متولدة لا فاعل لها وان الاستطاعة هى السلامة وصحة الجوارح وان العقل هو الذى يحسن

ويقبح فتجب معرفة الله قبل ورود الشرع وان لا فعل للانسان الا الارادة وما عداها فهو حدث * والخامسة عشرة الجاحظية * اتباع ابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وله مسائل تميز بها عن اصحابه منها ان المعارف كلها ضرورية وليس شئ من ذلك من افعال العباد وانما هى طبيعة وليس للعباد كسب سوى الارادة وان العباد لا يخلدون فى النار بل يصيرون من طبيعتها وان الله لا يدخل احدا النار وانما النار تجذب اهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن ان يصير مرة رجلا ومرة حيوانا وان الله لا يريد المعاصى وانه لا يرى وان الله يريد بمعنى انه لا يغلط ولا يصح فى حقه السهو فقط وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام * والسادسة عشرة الخياطية * اصحاب ابى الحسين بن ابى عمرو الخياط شيخ ابى القاسم الكعبى من معتزلة بغداد زعم ان المعدوم شئ وانه فى العدم جسم ان كان فى حدوثه جسما وعرض ان كان فى حدوثه عرضا * والسابعة عشرة الكعبية * اتباع ابى القاسم عبد الله بن احمد بن محمود البلخى المعروف بالكعبى من معتزلة بغداد انفرد باشياء منها ان ارادة الله ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مدبر لذاته ولا ارادته حادثة فى محل وانما يرجع ذلك الى العلم فقط والسمع والبصر يرجع الى ذلك ايضا وانكر الرؤية وقال اذا قلنا انه يرى المرئيات فانما ذلك يرجع الى علمه بها وتمييزها قبل ان توجد * والثامنة عشرة الجبائية * اتباع ابى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى من معتزلة البصرة تفرد بمقالات منها ان الله تعالى يسمى مطيعا للعبد اذا فعل ما اراد العبد منه وان الله محبل للنساء بخلق الولد فيهن وان كلام الله عرض يوجد فى امكنة كثيرة وفى مكان بعد مكان من غير ان يعدم من مكانه الاول ثم يحدث فى الثانى

وكان يقف فى فضل على على ابى بكر وفضل ابى بكر على على ومع ذلك يقول ان ابا بكر خير من عمر وعثمان ولا يقول ان عليا خير من عمر وعثمان * والتاسعة عشرة البهشمية * اتباع ابى هاشم عبد اسلام بن ابى على الجبائى انفرد ببدع فى مقالاته منها القول باستحقاق الذم من غير ذنب وزعم ان القادر منا يجوز ان يخلو عن الفعل و الترك و ان القادر المامور المنهى اذا لم يفعل فعلا ولا تركا يكون عاصيا مستحق العقاب و الذم لا على الفعل لانه لم يفعل ما امر به و ان الله يعذب الكافرين والعصاة لا على فعل مكتسب ولا على محدث منه وقال التوبة لا تصح من قبيح مع الاصرار على قبيح آخر يعلمه او يعتقده قبيحا و ان كان حسنا وان التوبة لا تصح مع الاصرار على منع حسنة واجبة عليه و ان توبة الزانى بعد ضعفه عن الجماع لا تصح وزعم ان الطهارة غير واجبة و انما امر العبد بالصلوة فى حال كونه متطهرا وان الطهارة تجزئ بالماء المغصوب ولا تجزئ الصلوة فى الارض المغصوبة وزعم ان الزنج والترك والهنود قادرون على ان يأتوا بمثل هذا القرآن وقال ابو على وابنه ابو هاشم الايمان هو الطاعات المفروضة * والفرقة العشرون من المعتزلة الشيطانية * اتباع محمد بن نعمان المعروف بشيطان الطاق وهو من الروافض شارك كلا من المعتزلة والروافض فى بدعهم وقلما يوجد معتزلى الا وهو رافضى الا قليلا منهم انفرد بطامة وهى ان الله لا يعلم الشئ الا ما قدره واراده واما قبل تقديره فيستحيل ان يعلمه ولو كان عالما بافعال عباده لاستحال ان يمتحنهم و يختبرهم * وللمعتزلة اسام منها الثنوية سموا بذلك لقولهم الخير من الله و الشر من العبد ومنهم الكيسانية والناكثية والاحدية والوهمية والتبرية والواسطية والواردية سموا بذلك لقولهم لا يدخل المؤمنون

النار وانما يردون عليها ومن ادخل النار لا يخرج منها
قط ومنهم الحرقية لقولهم الكفار لا تحرق الا مرة والمفنية
القائلون بفناء الجنة والنار والواقفية القائلون بالوقف فى
خلق القرآن ومنهم اللفظية القائلون بان الفاظ القرآن غير مخلوقة
والملتزقة القائلون بان الله بكل مكان والقبرية القائلون بانكار
عذاب القبر ﴿ والفرقة الثانية المشبهة ﴾ وهم يغلون فى اثبات
صفات الله تعالى ضد المعتزلة وهم سبع فرق * الهشامية * اتباع
هشام بن الحكم ويقال لهم ايضا الحكمية ومن قولهم الاله تعالى
كنور السبيكة الصافية يتلألأ من جوانبه ويرمون مقاتل بن سليمان
بانه قال هو لحم ودم على صورة الانسان وهو طويل عريض عميق
وان طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه وهو ذو لون وطعم
ورائحة وهو سبعة اشبار بشبر نفسه ولم يصح هذا القول عن مقاتل
* والجوالقية * اتباع هشام بن سالم الجوالقى وهو من الرافضة ايضا
ومن شنيع قوله ان الله تعالى على صورة الانسان نصفه الاعلى مجوف
ونصفه الاسفل مصمت وله شعر اسود وليس بلحم ودم بل هو نور
ساطع وله خمس حواس كحواس الانسان ويد ورجل وفم وعين
واذن وشعر اسود الا الفرج واللحية * والبيانية * اتباع بيان بن
سمعان القائل هو على صورة الانسان ويهلك كله الا وجهه لظاهر
الآية * كل شئ هالك الا وجهه * والمغيرية * اتباع مغيرة بن سعيد
العجلى وهو ايضا من الروافض ومن شنائعه قوله ان اعضاء معبودهم على
صورة حروف الهجاء فالالف على صورة قدميه وزعم انه رجل من نور
على رأسه تاج من نور وزعم ان الله كتب باصبعيه اعمال العباد من طاعة
ومعصية ونظر فيهما وغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران

عذب وملح وزعم انه بكل مكان لا يخلو عنه مكان * والمنهالية * اصحاب منهال بن ميمون * والزرارية * اتباع زرارة بن اعين * واليونسية * اتباع يونس بن عبد الرحمن القمى وكلهم من الروافض وسيأتى ذكرهم ان شاء الله تعالى ومنهم ايضا * السبأية * والشاكية * والعملية * والمثنية * والبدعية * والعشرية * والازية * ومنهم الكرامية * اتباع محمد بن كرام السجستانى وهم طوائف * الهيضمية * والاسحاقية والجندية * وغير ذلك الا انهم يعدون فرقة واحدة لان بعضهم لا يكفر بعضا وكلهم مجسمة الا ان فيهم من قال هو قائم بنفسه * ومنهم من قال هو اجزاء مؤتلفة وله جهات ونهايات * ومن قول الكرامية ان الايمان هو قول مفرد وهو قول لا اله الا الله سواء اعتقد او لا زعموا ان الله جسم وله حد ونهاية من جهة السفل وتجوز عليه ملاقاة الاجسام التى تحته وانه على العرش والعرش مماس له وانه محل الحوادث من القول والارادة والادراكات والمرئيات والمسموعات وان الله لو علم احدا من عباده لا يؤمن به لكان خلقه اياهم عبثا وانه يجوز ان يعزل نبيا من الانبياء والرسل ويجوز عندهم على الانبياء كل ذنب لا يوجب حدا ولا يسقط عدالة وانه يجب على الله تعالى تواتر الرسل وانه يجوز ان يكون امامان فى وقت واحد وان عليا ومعاوية كانا امامين فى وقت واحد الا ان عليا كان على السنة ومعاوية على خلافها وانفرد ابن كرام فى الفقه باشياء منها ان المسافر يكفيه من صلوة الخوف تكبيرتان واجاز الصلوة فى ثوب مستغرق فى النجاسة وزعم ان الصلوة والصوم والزكوة والحج وسائر العبادات تصح بغير نية وتكفى نية الاسلام وان النية تجب فى النوافل وانه يجوز الخروج من الصلوة بالاكل والشرب والجماع عمدا ثم البناء عليها وزعم بعض

الكرامية ان لله علمين احدهما يعلم به جميع المعلومات والآخر يعلم به العلم الاول ﴿ الفرقة الثالثة القدرية ﴾ الغلاة فى اثبات القدرة للعبد فى اثبات الخلق والايجاد وانه لا يحتاج فى ذلك الى معاونة من جهة الله تعالى ﴿ الفرقة الرابعة المجبرة ﴾ الغلاة فى نفى استطاعة العبد قبل الفعل وبعده ومعه ونفى الاختيار له ونفى الكسب وهاتان الفرقتان متضادتان ثم افترقت المجبرة على ثلث فرق * الجهمية * اتباع جهم بن صفوان الترمذى مولى راسب وقتل فى آخر دولة بنى امية وهو ينفى الصفات الالهية كلها ويقول لا يجوز ان يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه وان الانسان لا يقدر على شئ ولا يوصف بالقدرة ولا الاستطاعة وان الجنة والنار تفنيان وتنقطع حركات اهلهما وان من عرف الله ولم ينطق بالايمان لم يكفر لان العلم لا يزول بالصمت وهو مؤمن مع ذلك وقد كفره المعتزلة فى نفى الاستطاعة وكفره اهل السنة بنفى الصفات وخلق القرآن ونفى الرؤية وانفرد بجواز الخروج على السلطان الجائر وزعم ان علم الله حادث لا بصفة يوصف بها غيره * والبكرية * اتباع بكر بن اخت عبد الواحد وهو يوافق النظام فى ان الانسان هو الروح ويزعم ان البارى تعالى يرى فى القيامة فى صورة يخلقها ويكلم الناس منها وان صاحب الكبيرة منافق فى الدرك الاسفل من النار وحاله اسوأ من حال الكافر وحرم اكل الثوم والبصل واوجب الوضوء من قرقرة البطن * والضرارية * اتباع ضرار بن عمرو انفرد باشياء منها ان الله تعالى يرى فى القيامة بحاسة زائدة سادسة وانكر قراءة بن مسعود وشك فى دين عامة المسلمين وقال لعلهم كفار وزعم ان الجسم اعراض مجتمعة كما قالت النجارية ومن جملة المجبرة * البطيخية * اتباع اسمعيل البطيخى * والصباحية * اتباع ابى صباح بن معمر * والفكرية * والخوفية *

﴿ الفرقة الخامسة المرجئة ﴾ والارجاء اما مشتق من الرجاء لان المرجئة يرجون لاصحاب المعاصى الثواب من الله تعالى فيقولون لا يضر مع الايمان معصية كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة او يكون مشتقا من الارجاء وهو التأخير لانهم اخروا حكم اصحاب الكبائر الى الآخرة وحقيقة المرجئة انهم الغلاة فى اثبات الوعد والرجاء ونفى الوعيد والخوف عن المؤمنين وهم ثلثة اصناف صنف جمعوا بين الارجاء والقدر وهم غيلان وابو شمر من بنى حنيفة وصنف جمعوا بين الارجاء والجبر مثل جهم بن صفوان وصنف قال بالارجاء المحض وهم اربع فرق * اليونسية * اتباع يونس بن عمرو وهو غير يونس بن عبد الرحمن القمى الرافضى زعم ان الايمان معرفة الله والخضوع له والمحبة والاقرار بانه واحد ليس كمثله شئ * والغسانية * اتباع غسان بن ابان الكوفى المنكر نبوة عيسى عليه السلام وتلمذ لمحمد بن الحسن الشيبانى ومذهبه فى الايمان كمذهب يونس الا انه يقول كل خصلة من خصال الايمان تسمى بعض الايمان ويونس يقول كل خصلة ليست بايمان ولا بعض ايمان وزعم غسان ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعن ابى حنيفة رحمه الله الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان فلا يزيد ولا ينقص كقرص الشمس * والثوبانية * اتباع ثوبان المرجئ ثم الخارجى المعتزلى وكان يقال له جامع النقائص هاجر الخصائص ومن قوله الايمان هو المعرفة والاقرار والايمان فعل ما يجب فى العقل فعله فاوجب الايمان بالعقل قبل ورود الشرع وفارق الغسانية واليونسية فى ذلك * والتومنية * اتباع ابى معاذ التومنى الفيلسوف زعم ان من ترك فريضة لا يقال له فاسق على الاطلاق ولكن ترك الفريضة فسق وزعم ان هذه الخصال التى تكون جملتها ايمانا فواحدة منها ليست بايمان ولا بعض ايمان وان من قتل نبيا كفر لا لاجل

القتل بل لاستخفافه به وبغضه له ومن فرق المرجئة * المريسية * اتباع بشر بن غياث المريسى كان عراقى المذهب فى الفقه تلميذا للقاضى ابى يوسف يعقوب الحضرمى وقال بنفى الصفات وخلق القرآن فاكفرته الصفاتية بذلك وزعم ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا استطاعة مع الفعل فاكفرته المعتزلة بذلك وزعم ان الايمان هو التصديق بالقلب وهو مذهب ابن الزبيدى ولما ناظره الشافعى فى مسألة خلق القرآن ونفى الصفات قال له نصفك كافر لقولك بخلق القرآن ونفى الصفات ونصفك مؤمن لقولك بالقضاء والقدر وخلق اكتساب العباد وبشر معدود من المعتزلة لنفيه الصفات وقوله بخلق القرآن ومن فرق المرجئة * الصالحية * اتباع صالح بن عمرو بن صالح * والجحدرية * اتباع جحدر بن محمد التميمى * والزيادية * اتباع محمد بن زياد الكوفى * والشبيبية * اتباع محمد بن شبيب * والناقضية والبهشمية * ومن المرجئة جماعة من الائمة كسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار وعمرو بن ذر وحماد بن سليمان وابى مقاتل وخالفوا القدرية والخوارج والمرجئة فى انهم لم يكفروا بالكبائر ولا حكموا بتخليد مرتكبها فى النار ولا سبوا احدا من الصحابة ولا وقعوا فيهم * واول من وضع الارجاء ابو محمد الحسن بن محمد المعروف بابن الحنفية بن على بن ابى طالب وتكلم فيه وصارت المرجئة بعده اربعة انواع الاول مرجئة الخوارج الثانى مرجئة القدرية الثالث مرجئة الجبرية الرابع مرجئة الصالحية وكان الحسن بن محمد بن الحنفية يكتب كتابه الى الامصار يدعوا الى الارجاء الا انه لم يؤخر العمل عن الايمان كما قال بعضهم بل قال اداء الطاعات وترك المعاصى ليس من الايمان لا يزول هو بزوالها وقال ابن قتيبة اول من وضع الارجاء بالبصرة حسان

بن بلال بن الحارث المزنى وذكر بعضهم ان اول من وضع الارجاء ابو سلت السمان ومات سنة اثنين وخمسين ومائة ﴿ الفرقة السادسة الحرورية ﴾ الغلاة فى اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين والتخليد فى النار مع وجود الايمان وهم قوم من النواصب الخوارج وهم مضادون المرجئة فى النفى والاثبات والوعد والوعيد ومن مفرداتهم ان من ارتكب كبيرة فهو مشرك ومذهب عامة الخوارج انه كافر وليس بمشرك وقال بعضهم هو منافق فى الدرك الاسفل من النار فعند الحرورية ان الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة فلا يسمى مؤمنا بل كافرا مشركا والحكم فيه انه يخلد فى النار واتفقوا على ان الايمان هو اجتناب كل معصية وقيل لهم الحرورية لانهم خرجوا الى حروراء لقتال على بن ابى طالب رضى الله عنه وعدتهم اثنا عشر الفا ثم سار على رضى الله عنه اليهم وناظرهم ثم قاتلهم وهم اربعة آلاف فانضم اليهم جماعة حتى بلغوا اثنى عشر الفا ﴿ الفرقة السابعة النجارية ﴾ اتباع الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ابى عبد الله كان حائكا وقيل انه كان يعمل الموازين وانه كان من اهل قم كان من جملة المجبرة ومتكلميهم وله مع النظام عدة مناظرات منها انه ناظره مرة فلما لم يلحن بحجته رفسه النظام وقال له قم اخزى الله من ينسبك الى شئ من العلم والفهم فانصرف محموما واعتل حتى مات وهم اكثر معتزلة الرى وجهاتها وهم يوافقون اهل السنة فى مسئلة القضاء والقدر واكتساب العباد وفى الوعد والوعيد وامامة ابى بكر رضى الله عنه ويوافقون المعتزلة فى نفى الصفات وخلق القرآن وفى الرؤية وهم ثلث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركية ﴿ الفرقة الثامنة الجهمية ﴾ اتباع جهم بن صفوان وهم يوافقون اهل السنة فى مسألة القضاء والقدر مع ميل الى الجبر وينفون الصفات والرؤية

ويقولون بخلق القرآن وهم فرقة عظيمة وعدادهم فى المعطلة المجبرة ﴿ الفرقة التاسعة الروافض ﴾ الغلاة فى حب على بن ابى طالب وبغض ابى بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية فى آخرين من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين وسموا رفضة لان زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم امتنع من لعن ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال هما وزيرا جدى محمد صلى الله عليه وسلم فرفضوا رأيه ومنهم من قال لانهم رفضوا رأى الصحابة رضى الله عنهم حيث بايعوا ابا بكر وعمر رضى الله عنهما * وقد اختلف الناس فى الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذهب الجمهور الى انه ابو بكر الصديق رضى الله عنه وقال العباسية والربوبدية اتباع ابى هريرة الربوبدى وقيل اتباع العباس الربوبدى هو العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه لانه العم والوارث فهو احق من ابن العم وقال العثمانية وبنو امية هو عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وذهب آخرون الى غير ذلك وقال الرافضة هو على بن ابى طالب ثم اختلفوا فى الامامة اختلافا كثيرا حتى بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة والمشهور منها عشرون فرقة الزيدية والصباحية اقروا امامة ابى بكر رضى الله عنه ورأوا انه لا نص فى امامة على رضى الله عنه واختلفوا فى امامة عثمان رضى الله عنه فانكرها بعضهم واقر بعضهم انه الامام بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكن قالوا على افضل من ابى بكر وامامة المفضول جائزة وقال الغلاة هو على بالنص ثم الحسن وبعده الحسين وصار بعد الحسين الامر شورى وقال بعضهم لم يرد النص الا بامامة على فقط وقال آخرون نص على على بالوصف لا بالعين والاسم وقال بعضهم قد جاء النص على امامة اثنى عشر آخرهم المهدى المنتظر وفرقهم العشرون هى * الامامية *

وهم مختلفون فى الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم
اكثرهم ان الامامة فى على بن ابى طالب واولاده بنص النبى صلى الله
عليه وسلم وان الصحابة كلهم قد ارتدوا الا عليا وابنيه الحسن
والحسين واباذر الغفارى وسلمان الفارسى وطائفة يسيرة واول من
تكلم فى مذهب الامامية على بن اسمعيل بن ميثم التمار وكان من اصحاب
على بن ابى طالب وذهبت القطعية منهم الى ان الامامة فى على ثم فى
الحسن ثم فى الحسين ثم فى على بن الحسين ثم فى محمد بن على ثم فى
جعفر بن محمد ثم فى موسى بن جعفر ثم فى على بن موسى وقطعوا
الامامة عليه فسموا القطعية لذلك ولم يكتبوا امامة محمد بن موسى
ولا امامة الحسين بن على بن موسى وقالت الناووسية جعفر بن محمد
لم يمت وهو حى ينتظر وقالت المباركية اتباع مبارك الامام بعد
جعفر بن محمد ابنه اسمعيل بن جعفر ثم محمد بن اسمعيل وقالت
الشميطيه اتباع يحيى بن شميط الاحمسى كان مع المختار قائدا من قواده
فانفذه اميرا على جيش البصرة يقاتل مصعب بن الزبير فقتل بالمدار
الامامه بعد جعفر فى ابنه محمد واولاده وقالت المعمريه اتباع معمر الامامه
بعد جعفر فى ابنه عبد الله بن جعفر واولاده ويقال لهم الفطحيه لان
عبد الله بن جعفر كان افطح الرجلين وقالت الواقفية الامام بعد جعفر ابنه
موسى بن جعفر وهو حى لم يمت وهو الامام المنتظر وسموا الواقفيه
لوقوفهم على امامه موسى وقالت الزراريه اتباع زرارة بن اعين
الامام بعد جعفر ابنه عبد الله الا انه سأله عن مسائل فلم يمكنه
الجواب عنها فادعى امامه موسى بن جعفر من بعد ابيه وقالت
المفضليه اتباع المفضل بن عمرو الامام بعد جعفر ابنه موسى وانه
مات فانتقلت الامامه الى ابنه محمد بن موسى وقالت المفوضه من
الامامية ان الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم وفوض اليه

خلق العالم وتدبيره وقال بعضهم بل فوض ذلك الى على بن ابى طالب * والفرقة الثانية * من فرق الروافض الكيسانية اتباع كيسان مولى على بن ابى طالب واخذ عن محمد بن الحنفية وقيل بل كيسان اسم المختار بن عبيد الثقفى الذى قام لاخذ ثار الحسين رضى الله عنه زعموا ان الامام بعد على ابنه محمد بن الحنفية لانه اعطاه الراية يوم الجمل ولان الحسين اوصى اليه عند خروجه الى الكوفة ثم اختلفوا فى الامام بعد ابن الحنفية فقال بعضهم رجع الامر بعده الى اولاد الحسن والحسين وقيل بل انتقل الى ابى هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وقالت الكربية اتباع ابى كرب بان ابن الحنفية حى لم يمت وهو الامام المنتظر ومن قول الكيسانية ان البدأ جائز على الله وهو كفر صريح * والفرقة الثالثة الخطابية * اتباع ابى الخطاب محمد بن ابى ثور وقيل محمد بن ابى زيد الاجدع ومذهبه الغلو فى جعفر بن محمد الصادق وهو ايضا من المشبهة واتباعه خمسون فرقة وكلهم متفقون على ان الائمة مثل على واولاده كلهم انبياء وانه لا بد من رسولين لكل امة احدهما ناطق والآخر صامت فكان محمد ناطقا وعلى صامتا وان جعفر بن محمد الصادق كان نبيا ثم انتقلت النبوة الى ابى الخطاب الاجدع وجوزوا كلهم شهادة الزور لموافقيهم وزعموا انهم عالمون بما هو كائن الى يوم القيامة وقالت المعمرية منهم الامام بعد ابى الخطاب رجل اسم معمر وزعموا ان الدنيا لا تفنى وان الجنة هى ما يصيب الانسان من الخير فى الدنيا والنار ضد ذلك واباحوا شرب الخمر والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلوة وقالوا بالتناسخ وان الناس لا يموتون وانما ترفع ارواحهم الى غيرهم وقالت البزيغية منهم ان جعفر بن محمد اله وليس هو الذى يراه الناس وانما تشبه على الناس وزعموا ان كل مؤمن يوحى اليه وان منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد صلى الله عليه

وسلم وزعموا انهم يرون امواتهم بكرة وعشيا وقالت العميرية منهم اتباع عمير بن بيان العجلى مثل ذلك كله وخالفوهم فى ان الناس لا يموتون وافترقت الخطابية بعد قتل ابى الخطاب فرقا منها فرقة زعمت ان الامام بعد ابى الخطاب عمير بن بيان العجلى ومقالتهم كمقالة البزيغية الا ان هؤلاء اعترفوا بموتهم ونصبوا خيمة على كناسة الكوفة يجتمعون فيهـا على عبادة جعفر الصادق فبلغ ذلك يزيد بن عمـير فصلب عمير بن بيان فى كناسة الكوفة ومن فرقهم المفضلية اتبـاع مفضل الصـيرفى زعم ان جعفر بن محمد اله فطرده ولعنـه وزعمت الخطابية باجمعها ان جعفر بن محمد الصادق اودعهم جلدا يقال له جفر فيه كل ما يحتاجون اليه من علم الغيب وتفسـير القرآن وزعموا لعنهم الله ان قوله تعالى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة معناه عايشة ام المؤمنين رضى الله عنهـا وان الخمر والميسر ابو بكر وعمر رضى الله عنهما وان الجبت والطاغوت معوية بن ابى سفيان وعمرو بن العاص رضى الله عنهما * والفرقة الرابعة الزيدية * اتباع زيد بن عـلى بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم القائلون بامامته وامامة من اجتمع فيه ست خصال العلم والزهد والشجاعة وان يكون من اولاد فاطمة الزهراء رضى الله عنها حسنيا او حسينيا ومنهم من زاد صباحة الوجه وان لا يكون فيـه آفة وهم يوافقون المعـتزلة فى اصولهم كلها الا فى مسألة الامامة واخذ مذهب زيد بن على عن واصل بن عطاء وكان يفضل عليا على ابى بكر وعمر مع القول بامامتهما وهم اربع فرق الجارودية اتباع ابى الجارود ويكنى ابا النجم زياد بن المنذر العبدى زعم ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم نص على امامة على بالوصف لا بالتسمية وان الناس كفروا بتركهم مبايعة على رضى الله عنه والحسن والحسين واولادهما والجريرية اتباع

سليم بن جرير ومن قوله لم يكفر الناس بتركهم مبايعة على بل اخطأوا بترك الافضل وهو على وكفروا الجارودية بتكفيرهم الصحابة الا انهم كفروا عثمان بن عفان بالاحداث التى احدثها و قالوا لم ينص على على امامة احد وصار الامر من بعده شورى ومنهم البترية اتباع الحسن بن صالح بن كثير الابتر وقولهم ان عليا افضل و اولى بالامامة غير ان ابا بكر كان اماما ولم تكن امامته خطأ و لا كفرا بل ترك على الامامة له و اما عثمان فيتوقف فيه و منهم اليعقوبية اتباع يعقوب وهم يقولون بامامة ابى بكر و عمر ويتبرؤن ممن تبرأ منهما وينكرون رجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة ويتبرأون ممن دان بها الا انهم متفقون على تفضيل على على ابى بكر و عمر من غير تفسيقهما و تكفيرهما و لا لعنهما و لا الطعن على احد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين * والفرقة الخامسة السبائية * اتباع عبد الله بن سبأ الذى قال شفاها لعلى بن ابى طالب انت الاله وكان من اليهود ويقول فى يوشع بن نون مثل قوله ذلك فى على وزعم ان عليا لم يقتل و انه حى لم يمت و انه فى السحاب و ان الرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل الى الارض بعد حين قبحه الله * والفرقة السادسة الكاملية * اتباع ابى كامل اكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة على و كفر عليا بتركه قتالهم وقال بتناسخ الانوار الالهية فى الائمة * والفرقة السابعة البيانية * اتباع بيان بن سمعان زعم ان روح الاله حل فى الانبياء ثم فى على و بعده فى محمد بن الحنفية ثم فى ابنه ابى هاشم عبد الله بن محمد ثم حل بعد ابى هاشم فى بيان بن سمعان يعنى نفسه لعنه الله * والفرقة الثامنة المغيرية * اتباع مغيرة بن سعيد العجلى مولى خالد بن عبد الله طلب الامامة لنفسه بعد محمد بن عبد الله بن الحسن فخرج على خالد بن عبد الله القسرى

بالكوفة في عشرين رجلا فطعطوا به فقال خالد اطعموني ماء وهو على المنبر فعير بذلك و المغيرة هذا قال بالتشبيه الفاحش وادعى النبوة و زعم ان معجزته علمه بالاسم الاعظم و انه يحيي الموتى وزعم ان الله لما اراد ان يخلق العالم كتب باصبعه اعمال عباده فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران احدهما ملح والآخر عذب فخلق من البحر العذب الشيعة و خلق الكفرة من البحر الملح وزعم ان المهدي يخرج وهو محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب * والفرقة التاسعة الهشامية * وهم صنفان احدهما اتباع هشام بن الحكم والثاني اتباع هشام الجوالقي وهما يقولان لاتجوز المعصية على الامام وتجوز على الانبياء وان محمدا عصى ربه في اخذ الفداء من اسرى بدر كذبا لعنهما الله وهما ايضا مع ذلك من المشبهة * و الفرقة العاشرة الزرارية * اتباع زرارة بن اعين احد الغلاة في الرفض وزعم مع ذلك ان الله تعالى لم يكن في الازل عالما ولا قادرا حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك قبحه الله * و الفرقة الحادية عشرة الجناحية * اتباع عبدالله بن معاوية ذي الجناحين بن ابي طالب و زعم انه اله و ان العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة وان روح الاله دارت في الانبياء كما كانت في علي واولاده ثم صارت فيه مذهبهم استحلال الخمر والميتة ونكاح المحارم وانكروا القيامة وتأولوا قوله تعالى * ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات * وزعموا ان كل ما في القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير كناية عن قوم يلزم بغضهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وكل ما في القرآن من الفرائض التي امر الله بها كناية عن من يلزم موالاتهم مثل علي والحسن والحسين واولادهم * و الثانية عشرة المنصورية * اتباع ابي

المنصور العجلى احد الغلاة المشبهة زعم ان الامامة انتقلت اليه بعد محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب وانه عرج به الى السماء بعد انتقال الامامة اليه وان معبوده مسح بيده على رأسه وقال له يابنى بلغ عنى آية الكسف الساقط من السماء فى قوله تعالى * وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم * وزعم ان اهل الجنة قوم تجب موالاتهم مثل على بن ابى طالب و اولاده وان اهل النار قوم تجب معاداتهم مثل ابى بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضى الله عنهم * والثالثة عشرة الغرابية * زعموا لعنهم الله ان جبرائيل اخطأ فانه ارسل الى على بن ابى طالب فجاء الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجعلوا شعارهم اذا اجتمعوا ان يقولوا العنوا صاحب الريش يعنون جبرائيل عليه السلام وعليهم اللعنة * والرابعة عشرة الذمية * بفتح الذال المعجمة زعموا اخزاهم الله ان على بن ابى طالب بعثه الله نبيا وانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ليظهر امره فادعى النبوة لنفسه وارضى عليا بان زوجه ابنته ومنهم العلبانية اتباع علبان بن ذراع السدوسى وقيل الاسدى كان يفضل عليا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويزعم ان عليا بعث محمدا وكان لعنه الله يذم النبى صلى الله عليه وسلم لزعمه ان محمدا بعث ليدعو الى على فدعا الى نفسه ومن العليانية من يقول بالهية محمد وعلى جميعا ويقدمون محمدا فى الالهية ويقال لهم الميمية ومنهم من قال بالهية خمسة وهم اصحاب الكساء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمستهم شئ واحد وان الروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر وكرهوا ان يقولوا فاطمة بالهاء فقالوا فاطم قال بعضهم

* تولت بعد الله فى الدين خمسة * نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما *

* والخامسة عشرة اليونسية * اتباع يونس بن عبد الله القمى احد الغلاة المشبهة * والسادسة عشرة الرزامية * اتباع رزام بن سابق زعم ان الامامة انتقلت بعد على بن ابى طالب الى ابنه محمد بن الحنفية ثم الى ابنه ابى هاشم ثم الى على بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم الى ابنه محمد بن على فاوصى بها محمد الى ابى العباس عبد الله بن محمد السفاح الظالم المتردد فى المذاهب الجاهل بحقوق اهل البيت * والسابعة عشرة الشيطانية * اتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق وقد شارك المعتزلة والرافضة فى جميع مذهبهم وانفرد باعظم الكفر قاتله الله وهو انه زعم ان الله لا يعلم الشيء حتى يقدره وقبل ذلك يستحيل علمه * والثامنة عشرة البسلمية * وهم من الراوندية زعموا ان الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت فى على واولاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ثم فى ابى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وانتقلت منه الى على بن عبد الله بن عباس بوصية اليه ثم الى ابى العباس السفاح ثم الى ابى سلمة صاحب دولة بنى العباس وقام بناحية كش فيما وراء النهر رجل من اهل مرو اعور يقال له هاشم ادعى ان اباسلمة كان الها انتقل اليه روح الله ثم انتقل اليه بعده فانتشرت دعوته هناك واحتجب عن اصحابه واتخذ له وجها من ذهب فعرف بالصبيغ ثم ان اصحابه طلبوا رؤيته فوعدهم ان يريهم نفسه ان لم يحترقوا وعمل تجاهه مرآة محرقة تعكس شعاع الشمس فلما دخلوا عليه احترق بعضهم ورجع الباقون وقد فتنوا واعتقدوا انه اله لا تدركه الابصار ونادوا فى حروبهم بالهبته * والتاسعة عشرة الجعفرية * والعشرون الصباحية * وهم والزيدية مثل الشيعة فانهم يقولون بامامة ابى بكر وانه لا نص فى

امامة على مع انه عنـدهم افضل و ابو بكر مفضول و من الروافض الحلوية والشاعية والشريكية يزعمون ان عليا شريك محمد صلى الله عليه وسلم والتناسخية القائلون ان الارواح تتناسخ و اللاغيـه و المخطئة الذين يزعمون ان جبرائيل اخطأ و الاسحاقية و الخلفية الذين يقولون لا تجوز الصلوة خلف غير الامام و الرجعية القـائلون سيرجع على بن ابى طـالب وينتقم من اعـدائه و المتربصية الذين يتربصون خروج المهدى و الامريه والجبية والجلاليه و الكريبية اتباع ابى كريب الضرير والحزبية اتباع عبد الله بن عمرو الحزنى * الفرقة العاشرة الخوارج * ويقال لهم النواصب والحروريه نسبة الى حروراء موضع خرج فيه اولهم على على رضى الله عنه وهم الغلاة فى حب ابى بكر وعمر و بغض على بن ابى طالب رضوان الله عليهم اجمعين ولا اجهل منهم فانهم القاسطون المارقون خرجوا على على رضى الله عنه و انفصلوا عنه بالجملة وتبرأوا منه ومنهم من صحبـه و منهم من كان فى زمنـه وهم جماعة قد دون النـاس اخبـارهم وهم عشرون فرقة * لاولى * يقال لهم الحكمية لانهم خرجوا على على رضى الله عنه فى صفين وقالوا لا حكم الا لله ولا حكم للرجال و انحازوا عنه الى حروراء ثم الى النهروان وسبب ذلك انهم حملوه على التحـاكم الى من حكم بكتاب الله فلما رضى بذلك وكانت قضية الحكمين ابى موسى الاشعرى وهو عبـد الله بن قيس و عمرو بن العاص غضبوا من ذلك ونابذوا عليا وقالوا فى شعارهم لا حكم الا لله ولرسوله وكان امامهم فى التحكيم عبد الله بن الكواء * والثانية الازارقة * اتبـاع ابى راشد نافع بن الازرق بن قيس بن نهار بن انسـان بن اسد بن صبرة بن ذهل بن الدؤل بن حنيفة الخارج بالبصرة فى ايام عبد الله بن الزبير وهم على التبرى من عثمان وعلى والطعن عليهما وان دار مخـالفيهم

دار كفر وان من اقام بدار الكفر فهو كافر وان اطفال مخالفيهم فى النار ويحل قتلهم وانكروا رجم الزانى وقالوا من قذف محصنة حد ومن قذف محصنا لا يحد ويقطع السارق فى القليل والكثير * والثالثة النجدات * ولم يقل فيهم النجدية ليفرق بينهم وبين من انتسب الى بلاد نجد فانهم اتباع نجد بن عويمر وهو عامر الحنفى الخارج باليمامة وكان رأسا ذا مقالة مفردة وتسمى بامير المؤمنين وبعث عطية بن الاسود الى سجستان فاظهر مذهبه بها فعرفت اتباعه بالعطوية ومذهبهم ان الدين امران احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين واموالهم والثانى الاقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة وما سوى ذلك من التحريم والتحليل وسائر الشرائع فان الناس يعذرون بجهلها وانه لا يأثم المجتهد اذا اخطأ وان من خاف ان لا يعذب المجتهد فقد كفر واستحلوا دماء اهل الذمة فى دار التقية وقالوا من نظر نظرة محرمة او كذب كذبة او اصر على صغيرة ولم يتب منها فهو كافر ومن زنى او سرق او شرب خمرا من غير ان يصر على ذلك فهو مؤمن غير كافر * والرابعة الصفرية * اتباع زياد بن الاصفر ويقال اتباع النعمان بن صفر وقيل بل نسبوا الى عبد الله بن صفار وهو احد بنى مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار وقيل عبد الله بن الصفار من بنى صويمر بن مقاعس وقيل سموا بذلك لصفرة علاهم وزعم بعضهم ان الصفرية بكسر الصاد وقد وافق الصفرية الازارقة فى جميع بدعهم الا فى قتل الاطفال ويقال للصفرية الزيادية ويقال لهم ايضا النكار من اجل انهم ينقصون نصف على وثلث عثمان وسدس عائشة رضى الله عنهم * والخامسة العجاردة * اتباع عبد الكريم بن عجرد

* والسادسة الميمونية * اتباع ميمون بن عمران وهم طائفة من العجاردة وافقوا الازارقة الا فى شيئين احدهما قولهم تجب البراءة من الاطفال حتى يبلغوا ويصفوا الاسلام والثانى استحلال اموال المخالفين لهم فلم تستحل الميمونية مال احد خالفهم ما لم يقتل المالك فاذا قتل صار ماله فيئا الا انهم ازدادوا كفرا على كفرهم و اجازوا نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات اولاد الاخوة وبنات اولاد الاخوات فقط * والسابعة الشعيبية * وهم طائفة من العجاردة وافقوا الميمونية فى جميع بدعهم الا فى الاستطاعة والمشيئة فان الميمونية مالت الى القدرية * والثامنة الحمزية * اتباع حمزة بن ادرك الشامى الخارج بخراسان فى خلافة هارون بن محمد الرشيد وكثر عيثه وفساده ثم فض جموع عيسى بن على عامل خراسان وقتل منهم خلقا كثيرا فانهزم منه عيسى الى كابل وآل امر حمزة الى ان غرق فى كرمان بواد هناك فعرفت اصحابه بالحمزية وكان يقول بالقدر فكفرته الازارقة بذلك وقال اطفال المشركين فى النار فكفرته القدرية بذلك وكان لا يستحل غنائم اعدائه بل يأمر باحراق جميع ما يغنمه منهم * والتاسعة الخازمية * وهم فرقة من العجاردة قالوا فى القدر والمشيئة كقول اهل السنة وخالفوا الخوارج فى الولاية والعداوة فقالوا لم يزل الله تعالى محبا لاوليائه ومبغضا لاعدائه * والعاشرة المعلومية مع المجهولية * تباينتا فى مسئلتين احداهما قالت المعلومية من لم يعرف الله تعالى بجميع اسمائه فهو كافر وقالت المجهولية لا يكون كافرا والثانية وافقت المعلومية اهل السنة فى مسألة القدر والمشيئة والمجهولية وافقت القدرية فى ذلك * والحادية عشرة الصلتية * اتباع عثمان بن ابى الصلت وهم طائفة من العجاردة انفردوا بقولهم من اسلم توليناه لكن نتبرأ من

اطفاله لانه ليس للاطفال اسلام حتى يبلغوا * والثانية عشرة والثالثة عشرة الاخنسية والمعبدية * وهما فرقتان من الثعالبة اتباع ثعلبة بن عامر وكان ثعلبة هذا مع عبد الكريم بن عجرد ثم اختلفا فى الاطفال فقال عبد الكريم نتبرأ منهم قبل البلوغ وقال ثعلبة لا نتبرأ منهم بل نقول نتولى الصغار فلم تزل الثعالبة على هذا الى ان خرج رجل عرف بالاخنس فقال نتوقف عن جميع من فى دار التقية الا من عرفنا منه ايمانا فانا نتولاه ومن عرفنا منه كفرا تبرأنا منه ولا يجوز ان نبدأ احدا بقتال فتبرأت منه الثعالبة وسموه بالاخنس لانه خنس منهم اى رجع عنهم ثم خرجت فرقة من الثعالبة قيل لها المعبدية اتباع معبد فخالفت الثعالبة فى اخذ الزكوة من العبيد و البهائم وكفرت كل فرقة منهما الاخرى * والرابعة عشرة الشيبانية * اتباع شيبان بن سلمة الخارج فى ايام ابى مسلم الخراسانى القائم بدعوة الخلفاء العباسيين وكان معه فتبرأت منه الثعالبة لمعاونته لابى مسلم وهو اول من اظهر القول بالتشبيه تعالى الله عن ذلك * والخامسة عشرة الشبيبية * اتباع شبيب بن يزيد بن ابى نعيم الخارج فى خلافة عبد الملك بن مروان وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفى وهم على ما كانت عليه الحكمية الاولى الا انهم انفردوا عن الخوارج بجواز امامة المرأة وخلافتها واستخلف شبيب هذا امه غزالة فدخلت الكوفة وقامت خطيبة وصلت الصبح بالمسجد الجامع فقرأت فى الركعة الاولى بالبقرة و فى الثانية بآل عمران واخبار شبيب طويلة * والسادسة عشرة الرشيدية * اتباع رشيد ويقال لهم ايضا العشرية من اجل انهم كانوا ياخذون نصف العشر مما سقت الانهار فقال لهم زياد بن عبد الرحمن يجب فيه العشر فتبرأت كل فرقة من الاخرى وكفرتهما بذلك * والسابعة عشرة المكرمية *

اتباع ابى المكرم ومن قوله تارك الصلوة كافر وليس كفره لترك الصلوة لكن لجهله بالله وكذا قوله فى سائر الكبائر * والثامنة عشرة الحفصية * اتباع حفص بن المقدام احد اصحاب عبد الله بن اباض تفرد بقوله من عرف الله تعالى وكفر بما سواه من رسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك فانكر ذلك الاباضية وقالوا بل هو مشرك * والتاسعة عشرة الاباضية * اتباع عبد الله بن اباض من بنى مقاعس واسمه الحرث بن عمرو ويقال بل ينسبون الى اباض بضم الهمزة وهى قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد بن عامر وخرج عبد الله بن اباض فى ايام مروان وكان من غلاة المحكمة * والفرقة العشرون اليزيدية * اتباع يزيد بن ابى انيسة وكان اباضيا فانفرد ببدعة قبيحة وهى ان الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا جملة واحدة ينسخ به شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن فرق الخوارج ايضا الحارثية والاصومية اتباع يحيى بن اصوم والبيهسية اتباع ابى بيهس الهيصم بن خالد من بنى سعيد بن ضبيعة كان فى زمن الحجاج وقتل بالمدينة وصلب واليعقوبية اتباع يعقوب بن على الكوفى ومن فرقهم الفضلية اتباع فضل بن عبد الله والشمراخية اتباع عبد الله بن شمراخ والضحاكية اتباع الضحاك والخوارج يقال لهم الشراة واحدهم شارى مشتق من شرى الرجل اذا الح ومعناه يستشرى بالشراو من قول الخوارج شرينا انفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة وقيل انه من قولهم شاريته اى لاججته ومارسته وقيل شرى الرجل غضبا اذا استطار غضبا وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين

﴿ ذكر الحال فى عقائد اهل الاسلام منذ ابتدأت الملة الاسلاميه ﴾
﴿ الى ان انتشر مذهب الاشعرية ﴾

اعلم ان الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى الناس جميعا وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة فى كتابه العزيز الذى نزل به على قلبه صلى الله عليه وسلم الروح الامين وبما اوحى اليه ربه تعالى فلم يسأله صلى الله عليه وآله وسلم احد من العرب باسرهم قرويهم وبدويهم عن معنى شئ من ذلك كما كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن امر الصلوة والزكوة والصيام والحج وغير ذلك مما لله سبحانه فيه امر ونهى وكما سألوه صلى الله عليه وسلم عن احوال القيامة والجنة والنار اذ لو سأله انسان منهم عن شئ من الصفات الالهية لنقل كما نقلت الاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى احكام الحلال والحرام وفى الترغيب والترهيب واحوال القيامة والملاحم والفتن ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجمها ومسانيدها وجوامعها ومن امعن النظر فى دواوين الحديث النبوى ووقف على الآثار السلفية علم انه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن احد من الصحابة رضى الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شئ مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام فى الصفات نعم ولا فرق احد منهم بين كونها صفة ذات او صفة فعل وانما اثبتوا له تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والحيوة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام

والعز

والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقا واحدا وهكذا اثبتوا رضى الله
عنهم ما اطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو
ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين فاثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ونزهوا
عن غير تعطيل ولم يتعرض مع ذلك احد منهم الى تأويل شئ من
هـذا ورأوا باجمعهم اجراء الصفات كما وردت ولم يكن عنـد احد
منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد
صلى الله عليـه وآله وسلم سوى كتاب الله ولا عرف احد منهم
شيئا من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة* فمضى عصر الصحابة
رضى الله عنهم على هذا الى ان حدث فى زمنهم القول بالقدر وان
الامر انفة* اى ان الله تعالى لم يقدر على خلقه شيئا مما هم عليه
وكان اول من قال بالقدر فى الاسلام معبد بن خالد الجهنى وكان
يجالس الحسن بن الحسين البصرى فتكلم فى القـدر بالبصرة وسلك
اهل البصرة مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله واخذ معبد هذا
الرأى عن رجل من الاسـاورة يقال له ابو يونس سنسويه ويعرف
بالاسوارى فلما عظمت الفتنة به عذبه الحجاج وصلبه بامر عبد الملك
بن مروان سـنة* ثمانين ولما بلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله
مقالة معبد فى القدر تبرأ من القدرية* واقتدى بمعبد فى بدعته هذه
جماعة* واخذ السلف رحمهم الله فى ذم القدرية* وحذروا منهم كما
هو معروف فى كتب الحديث وكان عطاء بن يسار قاضيا يرى القدر
وكان يأتى هو ومعبد الجهنى الى الحسن البصرى فيقولان له ان
هؤلاء يسفكون الدماء ويقولون انما تجرى اعمالنا على قدر الله فقال
كذب اعداء الله فطعن عليـه بهذا ومثله وحدث ايضا فى زمن
الصحابة* رضى الله عنهم مذهب الخوارج وصرحوا بالتكفير بالذنب
والخروج على الامام وقتـاله فناظرهم عبد الله بن عباس رضى الله

عنهما فلم يرجعوا الى الحق وقاتلهم امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه وقتل منهم جماعة كما هو معروف فى كتب الاخبار ودخل فى دعوة الخوارج خلق كثير ورمى جماعة من ائمة الاسلام بانهم يذهبون الى مذهبهم وعد منهم غير واحد من رواة الحديث كما هو معروف عند اهله وحدث ايضا فى زمن الصحابة رضى الله عنهم مذهب التشيع لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه والغلو فيه فلما بلغه ذلك انكره وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه وانشد

* لما رأيت الامر امرا منكرا * اججت نارى ودعوت قنبرا *

وقام فى زمنه رضى الله عنه عبد الله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء السبأى واحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بالامامة من بعده فهو وصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته على امته من بعده بالنص واحدث القول برجعة على بعد موته الى الدنيا وبرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا وزعم ان عليا لم يقتل وانه حى وان فيه الجزء الالهى وانه هو الذى يجئ فى السحاب وان الرعد صوته والبرق سوطه وانه لا بد ان ينزل الى الارض فيملأها عدلا كما ملئت جورا ومن ابن سبأ هذا تشعبت اصناف الغلاة من الرافضة وصاروا يقولون بالوقف يعنون ان الامامة موقوفة على اناس معينين كقول الامامية بانها فى الائمة الاثنى عشر وقول الاسمعيلية بانها فى ولد اسمعيل بن جعفر الصادق وعنه ايضا اخذوا القول بغيبة الامام والقول برجعته بعد الموت الى الدنيا كما تعتقده الامامية الى اليوم فى صاحب السرداب وهو القول بتناسخ الارواح وعنه اخذوا ايضا القول بان الجزء الالهى يحل فى الائمة بعد على بن ابى طالب وانهم

بذلك

بذلك استحقوا الامامة بطريق الوجوب كما استحق آدم عليه السلام سجود الملائكة وعلى هذا الرأى كان اعتقاد دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر وابن سبأ هذا هو الذى اثار فتنة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه حتى قتل كما ذكر فى ترجمة ابن سبأ من كتاب التاريخ الكبير المقفى وكان له عدة اتباع فى عامة الامصار واصحاب كثيرون فى معظم الاقطار فكثرت لذلك الشيعة وصاروا ضدا للخوارج وما زال امرهم يقوى وعددهم يكثر ثم حدث بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق فعظمت الفتنة به فانه نفى ان يكون لله تعالى صفة واورد على اهل الاسلام شكوكا اثرت فى الملة الاسلامية آثارا قبيحة تولد عنها بلاء كبير وكان قبيل المائة من سنى الهجرة فكثر اتباعه على اقواله التى تؤول الى التعطيل فاكبر اهل الاسلام بدعته وتمالوا على انكارها وتضليل اهلها وحذروا من الجهمية وعادوهم فى الله وذموا من جلس اليهم وكتبوا فى الرد عليهم ما هو معروف عند اهله وفى اثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال منذ زمن الحسن بن الحسين البصرى رحمه الله بعد المائتين من سنى الهجرة وصنفوا فيه مسائل فى العدل والتوحيد واثبات افعال العباد وان الله تعالى لا يخلق الشر وجهروا بان الله لا يرى فى الآخرة وانكروا عذاب القبر على البدن واعلنوا بان القرآن مخلوق محدث الى غير ذلك من مسائلهم فتبعهم خلائق فى بدعهم واكثروا من التصنيف فى نصرة مذهبهم بالطرق الجدلية فنهى ائمة الاسلام عن مذهبهم وذموا علم الكلام وهجروا من ينتحله ولم يزل امر المعتزلة يقوى واتباعهم تكثر ومذهبهم ينتشر فى الارض ثم حدث مذهب التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال فظهر محمد بن كرام بن حراق بن خرابة ابو عبد الله

السجستانى زعيم الطائفة الكرامية بعد المائتين من سنى الهجرة واثبت الصفات حتى انتهى فيها الى التجسيم والتشبيه وحج وقدم الشام ومات بزغرة فى صفر سنة ست وخمسين ومائتين فدفن بالقدس وكان هناك من اصحابه زيادة على عشرين الفا على التعبد والتقشف سوى من كان منهم ببلاد المشرق وهم لا يحصون لكثرتهم وكان اماما لطائفة الشافعية والحنفية وكانت بين الكرامية بالمشرق وبين المعتزلة مناظرات ومناكرات وفتن كثيرة متعددة ازمانها هذا وامر الشيعة يفشو فى الناس حتى حدث مذهب القرامطة المنسوبين الى حمدان الاشعث المعروف بقرمط من اجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه وكان ابتداء امر قرمط هذا فى سنة اربع وستين ومائتين وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبه بالعراق وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الخال والمدثر والمطوق وقام بالبحرين منهم ابو سعيد الجنابى من اهل جنابة وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده حتى اوقعوا بعساكر بغداد واخافوا خلفاء بنى العباس وفرضوا الاموال التى تحمل اليهم فى كل سنة على اهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز وانتشرت دعاتهم باقطار الارض فدخل جماعات من الناس فى دعوتهم ومالوا الى فواهم الذى سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام وصرفها عن ظواهرها الى امور زعموها من عند انفسهم وتأويل آيات القرآن ودعواهم فيها تأويلا بعيدا انتحلوا القول به بدعا ابتدعوها باهوائهم فضلوا واضلوا عالما كثيرا هذا وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بنى العباس ببغداد لما شغف بالعلوم القديمة بعث الى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة واتاه بها فى اعوام بضع عشرة سنة ومائتين من سنى الهجرة فانتشرت مذاهب

الفلاسفة فى الناس واشتهرت كتبهم بعامة الامصار واقبلت المعتزلة
والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها واكثروا من النظر فيها والتصفح
لها فانجر على الاسلام واهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من
البلاء والمحنة فى الدين وعظم بالفلسفة ضلال اهل البدع وزادتهم
كفرا الى كفرهم فلما قامت دولة بنى بويه ببغداد فى سنة اربع وثلثين
وثلثمائة واستمروا الى سبع وثلثين واربع مائة واظهروا مذهب التشيع
قويت بهم الشيعة وكتبوا على ابواب المساجد فى سنة احدى وخمسين
وثلثمائة لعن الله معاوية بن ابى سفيان ولعن من اغضب فاطمة ومن
منع الحسن ان يدفن عند جده ومن نفى اباذر الغفارى ومن اخرج
العباس من الشورى فلما كان الليل حكه بعض الناس فاشار الوزير
المهلبى ان يكتب باذن معز الدولة لعن الله الظالمين لاهل البيت
ولا يذكر احد فى اللعن غير معاوية ففعل ذلك وكثرت ببغداد الفتن
بين الشيعة والسنية وجهر الشيعة فى الآذان بحى على خير العمل
فى الكرخ وفشا مذهب الاعتزال بالعراق وخراسان وما وراء النهر
وذهب اليه جماعة من مشاهير الفقهاء وقوى مع ذلك امر الخلفاء
القاطميين بافريقية وبلاد المغرب وجهروا بمذهب الاسمعيلية وبثوا
دعاتهم بارض مصر فاستجاب لهم خلق كثير من اهلها ثم ملكوها
سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وبعثوا بعساكرهم الى الشام فانتشرت
مذاهب الشيعة فى عامة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر
والكوفة والبصرة وبغداد وجميع العراق وبلاد خراسان وما وراء
النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين وكانت بينهم وبين اهل السنة
من الفتن والحروب والمقاتل ما لا يمكن حصره لكثرته واشتهرت
مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج
والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت الارض وما منهم الا من

نظر فى الفلسفة وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره فلم يبق مصر
من الامصار ولا قطر من الاقطار الا وفيه طوائف كثيرة ممن ذكرنا
وكان ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى قد اخذ عن ابى على محمد
بن عبدالوهاب الجبائى ولازمه عدة اعوام ثم بدا له فترك مذهب
الاعتزال وسلك طريق ابن محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب ونسج
على قوانينه فى الصفات والقدر وقال بالفاعل المختار وترك القول
بالتحسين والتقبيح العقليين وما قيل فى مسائل الصلاح والاصلح
واثبت ان العقل لا يوجب المعارف قبل الشرع وان العلوم وان
حصلت بالعقل فلا تجب به ولا يجب البحث عنها الا بالسمع وان
الله تعالى لا يجب عليه شئ وان النبوات من الجائزات العقلية
والواجبات السمعية الى غير ذلك من المسائل التى هى موضوع
اصول الدين وحقيقة مذهب الاشعرى رحمه الله انه سلك طريقا
بين النفى الذى هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذى هو مذهب
اهل التجسيم وناظر على قوله هذا واحتج لمذهبه فمال اليه جماعة
وعولوا على رأيه منهم القاضى ابو بكر محمد بن الطيب الباقلانى
المكى وابو بكر محمد بن الحسن بن فورك والشيخ ابو اسحق
ابراهيم بن محمد بن مهران الاسفراينى والشيخ ابو اسحق ابراهيم بن
على بن يوسف الشيرازى والشيخ ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالى
وابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستانى والامام
فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى وغيرهم ممن يطول ذكره
ونصروا مذهبه وناظروا عليه وجادلوا فيه واستدلوا له فى مصنفات
لا تكاد تحصر فانتشر مذهب ابى الحسن الاشعرى فى العراق من
نحو سنة ثمانين وثلثمائة وانتقل منه الى الشام فلما ملك السلطان

الملك النـاصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ديار مصر كان هو
وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس المارانى على هذا
المذهب قد نشأ عليه منذ كانا فى خدمة السلطان الملك العادل
نور الدين محمود بن زنكى بدمشق وحفظ صلاح الدين فى صباه عقيدة
الفهـا له قطب الدين ابو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى
وصار يحفظها صغار اولاده فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان
على مذهب الاشعرى وحملوا فى ايام دولتهم كافة الناس على التزامه
فتمادى الحـال على ذلك جميـع ايام الملوك من بنى ايوب ثم فى ايام
مواليهم الملوك من الاتراك واتفق مع ذلك توجه ابى عبـد الله محمد
بن تومرت احـد رحالات المغرب الى العراق واخذ عن ابى حامد
الغزالى مذهب الاشعرى فلما عاد الى بلاد المغرب وقام فى المصامدة
يفقههم ويعلمهم وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم ثم مات فخلفه
بعد موته عبد المؤمن بن على القيسى وتلقب بامير المؤمنين وغلب على
ممالك المغرب هو واولاده من بعد مدة سنين وتسموا بالموحدين فلذلك
صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيـدة
ابن تومرت اذ هو عندهم الامام المعلوم المهدى المعصوم فكم اراقوا
بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها الا الله خالقها سبحانه وتعالى
كما هو معروف فى كتب التاريخ فكان هذا هو السبب فى اشتهار مذهب
الاشعرى وانتشـاره فى امصار الاسـلام بحيث نسى غيره من المذاهب
وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه الا ان يكون مذهب الحنابلة
اتباع الامام ابى عبد الله احمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه فانهم كانوا
على ما كان عليـه السلف لا يرون تأويل ما ورد من الصفـات الى
ان كان بعد السبعمائة من سنى الهجرة اشتهر بدمشق واعمالها
تقى الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى

فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ فى الرد على مذهب الاشاعرة وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية فافترق الناس فيه فريقان فريق يقتدى به ويعول على اقواله ويعمل برأيه ويرى انه شيخ الاسلام واجل حفاظ اهل الملة الاسلامية وفريق يبدعه ويضلله ويزرى عليه باثباته الصفات وينتقد عليه مسائل منها ما له فيه سلف ومنها ما زعموا انه خرق فيه الاجماع ولم يكن له فيه سلف وكانت له ولهم خطوب كثيرة وحسابه وحسابهم على الله الذى لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وله الى وقتنا هذا عدة اتباع بالشام وقليل بمصر هذا وبين الاشاعرة والماتريدية اتباع ابى منصور محمد بن محمود الماتريدى وهم طائفة الفقهاء الحنفية مقلدوا الامام ابى حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبيه ابى يوسف يعقوب بن ابراهيم الحضرمى ومحمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنهم من الخلاف فى العقائد ما هو مشهور فى موضعه وهو اذا تتبع يبلغ بضع عشرة مسألة كان بسببها فى اول الامر تباين وتنافر وقدح كل منهم فى عقيدة الآخر الا ان الامر آل آخرا الى الاغضاء ولله الحمد فهذا اعزك الله بيان ما كانت عليه عقائد الامة من ابتداء الامر الى وقتنا هذا قد فصلت فيه ما اجمله اهل الاخبار واجملت ما فصلوا فدونك طالب العلم تناول ما قد بذلت فيه جهدى واطلت بسببه سهرى فى تصفح دواوين الاسلام وكتب الاخبار فقد وصل اليك صفوا ونلته عفوا بلا تكلف مشقة ولا بذل مجهود ولكن الله يمن على من يشاء من عباده

﴿ ذكر ترجمة الاشعرى وعقائده ﴾

هو ابو الحسن على بن اسمعيل بن ابى بشر اسحق بن سالم بن اسمعيل

بن

بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابى بردة عامر بن ابى موسى واسمه عبد الله بن قيس الاشعرى البصرى ولد سنة ست وستين ومائتين وقيل سنة سبعين وتوفى ببغداد سنة بضع وثلثين وثلثمائة وقيل سنة اربع وعشرين وثلثمائة سمع زكريا الساجى وابا خليفة الجمحى وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقرى وعبد الرحمن بن خلف الضبى المصرى وروى عنهم فى تفسيره كثيرا وتلمذ لزوج امه ابى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى واقتدى برأيه فى الاعتزال عدة سنين حتى صار من ائمة المعتزلة ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من ارآء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسيا ونادى باعلى صوته من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا اعرفه بنفسى انا فلان بن فلان كنت اقول بخلق القرآن وان الله لا يرى بالابصار وان افعال الشر انا افعلها وانا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم وآخذ من حينئذ فى الرد عليهم وسلك بعض طريق ابى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفا منها كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على اصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل فى الرد على اهل الافك والتضليل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه فى سبعين مجلدا وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن ابى بردة على عقبه وكانت نفقته فى السنة سبعة عشر درهما وكانت فيه دعابة ومزح كثير وقال مسعود بن شيبة فى كتاب التعليم كان حنفى المذهب معتزلى الكلام لانه كان ربيب ابى على الجبائى وهو الذى رباه وعلمه الكلام وذكر الخطيب انه كان يجلس ايام الجمعات فى حلقة ابى اسحق المروزى الفقيه فى جامع المنصور وعن ابى بكر بن الصيرفى كان المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى اظهر الله تعالى

الاشعرى فخجزهم فى اقماع السماسم * وجملة عقيدته ان الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حى بحيوة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وان صفاته ازلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هى هو ولا هى غيره ولا لا هى هو ولا غيره وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد هو امر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات فى كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلى فالمداول وهو القرآن المقروء قديم ازلى والدلالة وهى العبارات وهى القراءة مخلوقة محدثة قال وفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كما فرق بين الذكر والمذكور قال والكلام معنى قائم بالنفس والعبارة دالة على ما فى النفس وانما تسمى العبارة كلاما مجازا قال واراد الله تعالى جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها ومال فى كلامه الى جواز تكليف ما لا يطاق لقوله ان الاستطاعة مع الفعل وهو مكلف بالفعل قبله وهو غير مستطيع قبله على مذهبه قال وجميع افعال العباد مخلوقة مبتدعة من الله تعالى مكتسبة للعبد والكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد قال والخالق هو الله تعالى حقيقة لا يشاركه فى الخلق غيره فاخص وصفه هو القدرة والاختراع وهذا تفسير اسمه البارى قال وكل موجود يصح ان يرى والله تعالى موجود فيصح ان يرى وقد صح السمع بان المؤمنين يرونه فى الدار الآخرة فى الكتاب والسنة ولا يجوز ان يرى فى مكان ولا صورة مقابلة واتصال شعاع فان ذلك كله محال وماهية الرؤية له فيها رأيان احدهما انه علم مخصوص يتعلق بالوجود دون العدم والثانى

انه ادراك وراء العلم واثبت السمع والبصر صفتين ازليتين هما
ادراكان وراء العلم واثبت اليدين والوجه صفات جزئية ورد السمع
بها فيجب الاعتراف به وخالف المعتزلة فى الوعد والوعيد والسمع
والعقل من كل وجه وقال الايمان هو التصديق بالقلب والقول
باللسان والعمل بالاركان فرع الايمان فمن صدق بالقلب اى اقر
بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاؤا به فهو
مؤمن وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة فحكمه
الى الله اما ان يغفر له برحمته او يشفع له رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما ان يعذبه بعدله ثم يدخله الجنة برحمته ولا يخلد فى النار
مؤمن قال ولا اقول انه يجب على الله سبحانه قبول توبته بحكم العقل
لانه هو الموجب لا يجب عليه شئ اصلا بل قد ورد السمع بقبول
توبة التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك لخلقه يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد فلو ادخل الخلائق باجمعهم النار لم يكن جورا ولو
ادخلهم الجنة لم يكن حيفا ولا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور
لانه المالك المطلق والواجبات كلها سمعية فلا يوجب العقل شيئا البتة
ولا يقتضى تحسينا ولا تقبيحا فمعرفة الله تعالى وشكر المنعم واثابة
الطائع وعقاب العاصى كل ذلك يجب بالسمع دون العقل ولا يجب
على الله شئ لا صلاح ولا اصلح ولا لطف بل الثواب والصلاح
واللطف والنعم كلها تفضل من الله تعالى ولا يرجع اليه تعالى نفع
ولا ضر فلا ينتفع بشكر شاكر ولا يتضرر بكفر كافر بل يتعالى
ويتقدس عن ذلك وبعث الرسل جائز لا واجب ولا مستحيل فاذا
بعث الله تعالى الرسول وايده بالمعجزة الخارقة للعادة وتحدى ودعا
الناس وجب الاصغاء اليه والاستماع منه والامتثال لاوامره والانتهاء عن
نواهيه وكرامات الاولياء حق والايمان بما جاء فى القرآن والسنة من

الاخبار عن الامور الغائبة عنا مثل اللوح والقلم والعرش والكرسى والجنة والنار حق وصدق وكذلك الاخبار عن الامور التى ستقع فى الآخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه والحشر والمعاد والميزان والصراط وانقسام فريق فى الجنة وفريق فى السعير كل ذلك حق وصدق يجب الايمان والاعتراف به والامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين على واحد معين والائمة مترتبون فى الفضل ترتيبهم فى الامامة قال ولا اقول فى عايشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم الا انهم رجعوا عن الخطأ واقول ان طلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة واقول فى معاوية وعمرو بن العاص انهما بغيا على الامام الحق على بن ابى طالب رضى الله عنه فقاتلهم مقاتلة اهل البغى واقول ان اهل النهروان الشراة هم المارقون عن الدين وان عليا رضى الله عنه كان على الحق فى جميع احواله والحق معه حيث دار فهذه جملة من اصول عقيدته التى عليها الآن جماهير اهل الامصار الاسلامية والتى من جهر بخلافها اريق دمه والاشاعرة يسمون الصفاتية لاثباتهم صفات الله تعالى القديمة ثم افترقوا فى الالفاظ الواردة فى الكتاب والسنة كالاستواء والنزول والاصبع واليد والقدم والصورة والجنب والمجئ على فرقتين فرقة تؤول جميع ذلك على وجوه محتملة اللفظ وفرقة لم يتعرضوا للتأويل ولا صاروا الى التشبيه ويقال لهؤلاء الاشعرية الاسرية فصار للمسلمين فى ذلك خمسة اقوال احدها اعتقاد ما يفهم مثله من اللغة وثانيها السكوت عنها مطلقا وثالثها السكوت عنها بعد نفى ارادة الظاهر ورابعها حملها على المجاز وخامسها حملها على الاشتراك ولكل فريق ادلة وحجاج تضمنتها كتب اصول الدين * ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم والله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون * قف * اعلم ان الله سبحانه طالب

من

من الخلق معرفته بقوله تعالى * وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون * قال ابن عباس وغيره يعرفون فخلق تعالى الخلق وتعرف
اليهم بالسنة الشرائع المنزلة فعرفه من عرفه سبحانه منهم على ما
عرفهم فيما تعرف به اليهم وقد كان الناس قبل انزال الشرائع ببعثة
الرسل عليهم السلام علمهم بالله تعالى انما هو بطريق التنزيه له عن
سمات الحدوث وعن التركيب وعن الافتقار ويصفونه سبحانه بالاقتدار
المطلق وهذا التنزيه هو المشهور عقلا ولا يتعداه عقل اصلا
فلما انزل الله شريعته على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واكمل
دينه كان سبيل العارف بالله ان يجمع فى معرفته بالله بين معرفتين
احدهما المعرفة التى تقتضيها الادلة العقلية والاخرى المعرفة التى
جاءت بها الاخبارات الالهية وان يرد علم ذلك الى الله تعالى ويؤمن
به وبكل ما جاءت به الشريعة على الوجه الذى اراده الله تعالى من
غير تأويل بفكره ولا تحكم فيه برأيه وذلك ان الشرائع انما انزلها
الله تعالى لعدم استقلال العقول البشرية بادراك حقائق الاشياء
على ما هى عليه فى علم الله وانى لها ذلك وقد تقيدت بما عندها
من اطلاق ما هنالك فان وهبها علما بمراده من الاوضاع الشرعية
ومنحها الاطلاع على حكمه فى ذلك من فضله تعالى فلا يضيف
العارف هذه المنة الى فكره فان تنزيهه لربه تعالى بفكره يجب ان يكون
مطابقا لما انزله سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
من الكتاب والسنة والا فهو تعالى منزه عن تنزيه عقول البشر
بافكارها فانها مقيدة باوطارها فتنزيهها كذلك مقيد بحسبها وبموجب
احكامها وآثارها الا اذا خلت عن الهوى فانها حينئذ يكشف الله
لها الغطاء عن بصائرها ويهديها الى الحق فتنزه الله تعالى عن
التنزيهات العرفية بالافكار العادية وقد اجمع المسلمون قاطبة على

جواز رواية الاحاديث الواردة فى الصفات ونقلها وتبليغها من غير خلاف بينهم فى ذلك ثم اجمع اهل الحق منهم على ان هذه الاحاديث مصروفة عن احتمال مشابهة الخلق لقول الله تعالى * ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * ولقول الله تعالى * قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد * وهذه السورة يقال لها سورة الاخلاص وقد عظم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شأنها ورغب امته فى تلاوتها حتى جعلها تعدل ثلث القرآن من اجل انها شاهدة بتنزيه الله تعالى وعدم الشبه والمثل له سبحانه وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على اخلاص التوحيد لله عن ان يشوبه ميل الى تشبيهه بالخلق واما الكاف التى فى قوله تعالى * ليس كمثله شئ فانها زائدة وقد تقرر ان الكاف والمثل فى كلام العرب اتيا للتشبيه فجمعهما الله تعالى ثم نفى بهما عنه ذلك فاذا ثبت اجماع المسلمين على جواز رواية هذه الاحاديث ونقلها مع اجماعهم على انها مصروفة عن التشبيه لم يبق فى تعظيم الله تعالى بذكرها الا نفى التعطيل لكون اعداء المرسلين سموا ربهم سبحانه اسماء نفوا فيها صفاته العليا فقال قوم من الكفار هو طبيعة وقال آخرون منهم هو علة الى غير ذلك من الحادهم فى اسمائه سبحانه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الاحاديث المشتملة على ذكر صفات الله العليا ونقلها عنه الصحابة البررة ثم نقلها عنهم ائمة المسلمين حتى انتهت الينا وكل منهم يرويها بصفتها من غير تأويل لشئ منها مع علمنا انهم كانوا يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى * ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * ففهمنا من ذلك ان الله تعالى اراد بما نطق به رسوله صلى الله عليه وسلم من هذه الاحاديث وتناولها عنه الصحابة رضى الله عنهم وبلغوها لامته ان يغص بها فى حلوق الكافرين وان يكون ذكرها نكا فى قلب

كل ضال معطل مبتدع يقفو اثر المبتدعة من اهل الطبائع وعباد العلل فلذلك وصف الله تعالى نفسه الكريمة بها فى كتابه ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا بما صح عنه وثبت فدل على ان المؤمن اذا اعتقد ان الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * وانه احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد كان ذكره لهذه الاحاديث تمكين الاثبات وشجا فى حلوق المعطلة وقد قال الشافعى رحمه الله الاثبات امكن نقله الخطابى ولم يبلغنا عن احد من الصحابة والتابعين وتابعيهم انهم اولوا هذه الاحاديث والذى يمنع من تأويلها اجلال الله تعالى عن ان تضرب له الامثال وانه اذا نزل القرآن بصفة من صفات الله تعالى كقوله سبحانه * يد الله فوق ايديهم * فان نفس تلاوة هذا يفهم منه السامع المعنى المراد به وكذا قوله تعالى بل يداه مبسوطتان عند حكايته تعالى عن اليهود ونسبتهم اياه الى البخل فقال تعالى * بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء * فان نفس تلاوة هذا مبينة للمعنى المقصود وايضا فان تأويل هذه الاحاديث يحتاج الى ان يضرب الله تعالى فيها المثل نحو قولهم فى قوله تعالى * الرحمن على العرش استوى * الاستواء الاستيلاء كقولك استوى الامير على البلد وانشدوا * قد استوى بشر على العراق * فلزمهم تشبيه البارى تعالى ببشر واهل الاثبات نزهوا جلال الله عن ان يشبهوه بالاجسام حقيقة ولا مجازا وعلموا مع ذلك ان هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخلقه وتحرجوا ان يقولوا مشتركة لان الله تعالى لا شريك له ولذلك لم يتأول السلف شيئا من احاديث الصفات مع علمنا قطعا انها عندهم مصروفة عما يسبق اليه ظنون الجهال من مشابهتها لصفات المخلوقين وتأمل تجد الله تعالى لما ذكر المخلوقات

المتولدة من الذكر والانثى فى قوله سبحانه * خلق لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرأوكم فيه * علم سبحانه ما يخطر بقلوب الخلق فقال عزمن قائل * ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * قف * واعلم ان السبب فى خروج اكثر الطوائف عن ديانة الاسلام ان الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر فى انفسها بحيث انهم كانوا يسمون انفسهم الاحرار والاسياد وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على ايدى العرب وكانت العرب عند الفرس اقل الامم خطرا تعاظمهم الامر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى اوقات شتى وفى كل ذلك يظهر الله تعالى الحق وكان من قائميهم سنفاد واشيس والمقفع وبابك وغيرهم وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خداشا وابو مسلم السروح فرأوا ان كيده على الحيلة انجع فاظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا اهل التشيع باظهار محبة اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستبشاع ظلم على بن ابى طالب رضى الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى اخرجوهم عن طريق الهدى فقوم ادخلوهم الى القول بان رجلا ينتظر يدعى المهدى عنده حقيقة الدين اذ لا يجوز ان يؤخذ الدين عن كفار اذ نسبوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر وقوم خرجوا الى القول بادعاء النبوة لقوم سموهم به وقوم سلكوا بهم الى القول بالحلول وسقوط الشرائع وآخرون تلاعبوا بهم فاوجبوا عليهم خمسين صلوة فى كل يوم وليلة وآخرون قالوا بل هى سبع عشرة صلوة فى كل صلوة خمس عشرة ركعة وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندى قبل ان يصير خارجيا صفريا وقد اظهر عبدالله بن سبأ الحميرى اليهودى الاسلام ليكيد اهله فكان هو اصل اثارة الناس على عثمان بن عفان رضى الله

عنه واحرق على رضى الله عنـه منهم طوائف اعلنوا بالهيته ومن هذه الاصول حدثت الاسمعيلية والقرامطة والحق الذى لا ريب فيه ان دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجوهر لا سر تحته وهو كله لازم كل احد لا مسامحة فيه ولم يكتم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم شيئا من الشريعـة ولا كلمة واحـدة ولا اختص به زوجـة ولا ولد عم ولا كتمه عن الاحمر والاسـود ورعاة الغنم ولا كان عنده صلى الله عليه وسلم سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا النـاس كلهم اليه ولو كتم شيئا لما بلغ كما امر ومن قال هذا فهو كافر باجماع الامة واصل كل بدعة فى الدين البعد عن كلام السلف والانحراف عن اعتقـاد الصدر الاول حتى بالغ القدرى فى القدر فجعل العبـد خالقا لافعـاله وبالغ الجبرى فى مقـابلته فسلب عنـه الفعل والاختيار وبالغ المعطل فى التنزيه فسلب عن الله تعالى صفات الجلال ونعوت الكمـال وبالغ المشبه فى مقابلته فجعله كواحد من البشر وبالغ المرجئ فى سلب العقاب وبالغ المعتزلى فى التخليد فى العذاب وبالغ الناصبى فى دفع على رضى الله عنه عن الامامة وبالغت الغلاة حتى جعلوه الها وبالغ السنى فى تقديم ابى بكر رضى الله عنه وبالغ الرافضى فى تأخيره حتى كفره وميدان الظن واسع وحكم الوهم غالب فتعارضت الظنون وكثرت الاوهـام وبلغ كل فريق فى الشر والعناد والبغى والفسـاد الى اقصى غاية وابعد نهاية وتباغضوا وتلاعنوا واستحلوا الاموال واستباحوا الدماء وانتصروا بالدول واستعانوا بالملوك فلو كان احدهم اذا بالغ فى امر نازع الآخر فى القرب منه فان الظن لا يبعد عن الظن كثيرا ولا ينتهى فى المنازعة الى الطرف الآخر من طريق التقابل لكنهم ابوا الا ما قدمنـا ذكره من التدابر

و التقاطع * ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك * انتهى كلام المقريزى في الخطط

﴿ ذكر تقسيم اهل العالم جملة مرسلة ﴾

قال ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى فى الملل والنحل من الناس من قسم اهل العالم بحسب الاقاليم السبعة واعطى اهل كل اقليم حظه من اختلاف الطبائع والانفس التى تدل عليها الالوان والالسن ومنهم من قسمهم بحسب الاقطار الاربعة التى هى الشرق والغرب والجنوب والشمال ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع ومنهم من قسمهم بحسب الامم فقال كبار الامم اربعة العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين امة وامة فذكر ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد واكثر ميلهم الى تقرير خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات والحقائق واستعمال الامور الروحانية والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد اكثر ميلهم الى تقرير طبائع الاشياء والحكم باحكام الكيفيات والكميات واستعمال الامور الجسمانية ومنهم من قسمهم بحسب الآراء والمذاهب وذلك غرضنا فى هذا التأليف وهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الاولى الى اهل الديانات والملل واهل الاهواء والنحل فارباب الديانات مطلقا مثل المجوس واليهود والنصارى والمسلمين واهل الاهواء والآراء مثل الفلاسفة الدهرية والصابئة وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة ويفترق كل منهم فرقا فاهل الاهواء ليست تنضبط مقالاتهم فى عدد معلوم واهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها فافترقت المجوس على سبعين فرقة واليهود على احدى وسبعين فرقة

والنصارى على اثنين وسبعين فرقة والمسلمون على ثلث وسبعين فرقة والناجية ابدا من الفرق واحدة اذ الحق من القضيتين المتقابلتين فى واحدة ولا يجوز ان تكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائط التقابل الا وان تقتسما الصدق والكذب فيكون الحق فى احداهما دون الاخرى ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين فى اصول المعقولات بانهما محقان صادقان واذا كان الحق فى كل مسئلة عقلية واحدة فالحق فى جميع المسائل يجب ان يكون مع فرقة واحدة وانما عرفنا هذا بالسمع وعنه اخبر التنزيل فى قوله عز وجل * وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون * واخبر النبى صلعم ستفترق امتى على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى قيل ومن الناجية قال اهل السنة والجماعة قيل وما السنة والجماعة قال ما انا عليه اليوم واصحابى وقال لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق الى يوم القيامة وقال صلعم لا تجتمع امتى على الضلالة

« ذكر طرق تعديد الفرق الاسلامية »

قد قدمنا الكلام على ذلك ونذكر هنا ما ذكره صاحب الملل على الجملة * اعلم ان لاصحاب المقالات طرقا فى تعديد الفرق الاسلامية لا على قانون مستند الى نص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد فى تعديد الفرق ومن المعلوم الذى لا مراء فيه ان ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما فى مسئلة ما عد صاحب مقالة فتكاد تخرج المقالات عن الحصر والعد ويكون من انفرد بمسئلة فى احكام الجواهر مثلا معدودا فى عداد اصحاب المقالات فلا بد اذا من ضابط فى مسائل هى اصول

وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافا يعتبر مقالة او يعد صاحب مقالة وما وجدت لاحد من ارباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط الا انهم استرسلوا فى ايراد مذاهب الامة كيف اتفق وعلى الوجه الذى وجد لا قانون مستقر واصل مستمر فاجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير حتى حصرتها فى اربع قواعد هى الاصول الكبار * القاعدة الاولى * الصفات والتوحيد فيها وهى تشتمل على مسائل الصفات الازلية اثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة وبيان صفات الذات وصفات الفعل وما يجب لله تعالى او ما يجوز عليه وما يستحيل وفيها الخلاف بين الاشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة * القاعدة الثانية * القدر والعدل وهى تشتمل على مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب وارادة الخير والشر والمقدور والمعلوم اثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين القدرية والنجارية والجبرية والاشعرية * القاعدة الثالثة * الوعد والوعيد والاسماء والاحكام وهى تشتمل على مسائل الايمان والتوبة والوعيد والارجاء والتكفير والتضليل اثباتا على وجه عند جماعة ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والاشعرية والكرامية * القاعدة الرابعة * السمع والعقل والرسالة والامامة وهى تشتمل على مسائل التحسين والتقبيح والصلاح والاصلح واللطف والعصمة فى النبوة وشرائط الامامة نصا عند جماعة واجماعا عند جماعة وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص وكيفية اثباتها على مذهب من قال بالاجماع والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والاشعرية فاذا وجدنا انفراد واحد من ائمة الامة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهبا وجماعته فرقة وان وجدنا واحدا انفرد بمسئلة فلا نجعل مقالته مذهبا وجماعته

فرقة بل نجعله مندرجا تحت واحد ممن وافق سواها مقالة وردنا باقى مقالته الى الفروع التى لا تعد مذهبا مفردا فلا تذهب المقالات الى غير النهاية واذا تعينت المسائل التى هى قواعد الخلاف تبينت اقسام الفرق وانحصرت كبارها فى اربع بعد ان تداخل بعضها فى بعض * قف * كبار الفرق الاسلامية اربع القدرية الصفاتية الشيعة الخوارج ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة اصناف فتصل الى ثلث وسبعين فرقة ولاصحاب كتب المقالات طريقان فى الترتيب احدهما انهم وضعوا المسائل اصولا ثم اوردوا فى كل مسئلة مذهب طائفة طائفة وفرقة فرقة والثانى انهم وضعوا الرجال واصحاب المقالات اصولا ثم اوردوا مذاهبهم فى مسئلة مسئلة والطريقة الاخيرة اضبط للاقسام واليق بابواب الحساب

« ذكر اول شبهة وقعت فى الخليقة ومن مصدرها فى الاول ومن مظهرها فى الآخر »

اعلم ان اول شبهة وقعت فى الخليقة شبهة ابليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأى فى مقابلة النص واختياره الهوى فى معارضة الامر واستكباره بالمادة التى خلق منها وهى النار على مادة آدم عليه السلام وهى الطين وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت فى الخليقة وسرت فى اذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال وتلك الشبهات مسطورة فى شرح الاناجيل الاربعة لوقا ومارقوس ويوحنا ومتى ومذكورة فى التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود والامتناع منه قال كما نقل عنه انى سلمت

ان البارى تعالى الهى واله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته فانه مهما اراد شيئا قال له كن فيكون وهو حكيم الا انه يتوجه على مساق حكمته اسئلة قالت الملائكة ما هى وكم هى قال لعنه الله سبعة * الاول * منها انه علم قبل خلق اى شئ يصدر عنى ويحصل منى فلم خلقنى اولا وما الحكمة فى خلقه اياى * والثانى * اذ خلقنى على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفنى بمعرفته وطاعته وما الحكمة فى التكليف بعد ان لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية * والثالث * اذ خلقنى وكلفنى فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت واطعت فلم كلفنى بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة فى هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك فى معرفتى وطاعتى * والرابع * اذ خلقنى وكلفنى على الاطلاق وكلفنى بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعننى واخرجنى من الجنة وما الحكمة فى ذلك بعد ان لم ارتكب قبيحا الا قولى لا اسجد الا لك * والخامس * اذ خلقنى وكلفنى مطلقا وخصوصا فلم اطع لعننى وطردنى فلم طرقنى الى آدم حتى دخلت الجنة ثانيا وغررته بوسوستى فاكل من الشجرة المنهى عنها واخرجه من الجنة معى وما الحكمة فى ذلك بعد ان لو منعنى من دخول الجنة استراح منى وبقى خالدا فيها * والسادس * اذ خلقنى وكلفنى عموما وخصوصا ولعننى ثم طرقنى الى الجنة وكانت الخصومة بينى وبين آدم فلم سلطنى على اولاده حتى اراهم من حيث لا يروننى وتؤثر فيهم وسوستى ولا يؤثر فى حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم وما الحكمة فى ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بهم والبق بالحكمة * والسابع * سلمنا هذا كله خلقنى وكلفنى مطلقا ومقيدا واذا لم اطع لعننى وطردنى واذا اردت دخول

الجنة مكننى وطرفنى واذا عملت عملى اخرجنى ثم سلطنى . على بنى
آدم فلم اذا استمهلته امهلنى فقلت انظرنى الى يوم يبعثون قال انك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وما الحكمة فى ذلك بعد ان لو
اهلكنى فى الحال استراح آدم والخلق منى وما بقى شر ما فى العالم
اليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر قال فهذه
حجتى على ما ادعيته فى كل مسئلة قال شارح الانجيل فاوحى الله
تعالى الى الملائكة قولوا له انك فى تسليمك الاول انى الهك واله الخلق
غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت انى اله العالمين ما احتكمت على
بلم فانا الله الذى لا اله الا انا لا اسئل عما افعل والخلق مسئولون هذا
الذى ذكرته مذكور فى التوراة ومسطور فى الانجيل على الوجه الذى
ذكرته * قف * وكنت برهة من الزمان افكر واقول ان من المعلوم
الذى لا مراء فيه ان كل شبهة وقعت لبنى آدم فانما وقعت من اضلال
الشيطان الرجيم ووساوسه ونشأت من شبهاته واذا كانت الشبهات
محصورة فى سبع عادت كبار البدع والضلالات الى سبع ولا يجوز
ان يعدو شبهات فرق الزيغ والكفر هذه الشبهات وان اختلفت العبارات
وتباينت الطرق فانها بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور ويرجع
جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالحق والى الجنوح الى الهوى
فى مقابلة النص ومن جادل نوحا وهودا وصالحا وابراهيم ولوطا
وشعيبا وموسى وعيسى ومحمدا صلوات الله عليهم اجمعين كلهم
نسجوا على منوال اللعين الاول فى اظهار شبهاته وحاصلها يرجع
الى دفع التكليف عن انفسهم وجحد اصحاب الشرائع والتكاليف
باسرهم اذ لا فرق بين قولهم * ابشر يهدوننا * وبين قوله * أأسجد
لمن خلقت طينا * وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحز الافتراق ما هو
فى قوله تعالى * وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان

قالوا ابعث الله بشرا رسولا * فبين ان المانع من الايمان هو هذا المعنى كما قال فى الاول * ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه * وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم * انا خير من هذا الذى هو مهين * وكذلك لو تعقبنا احوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لاقوال المتأخرين * كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل * فاللعين الاول لما ان حكم بعقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجرى حكم الخالق فى الخلق اوحكم الخلق فى الخالق والاول غلو والثانى تقصير فثار من الشبهة الاول مذهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غلوا فى حق شخص من الاشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا فى وصفه تعالى بصفات المخلوقين فالمعتزلة مشبهة الافعال والمشبهة حلولية الصفات وكل واحد منهم اعور باى عينيه شاء فان من قال انما يحسن منه ما يحسن منا ويقبح منه ما يقبح منا فقد شبه الخالق بالخلق ومن قال يوصف البارى تعالى بما يوصف به الخلق او يوصف الخلق بما يوصف به البارى تعالى عز اسمه فقد اعتزل عن الحق وسنخ القدرية طلب العلة فى كل شئ وذلك من سنخ اللعين الاول اذ طلب العلة فى الخلق اولا والحكمة فى التكليف ثانيا والفائدة فى تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثا وعنه نشأ مذهب الخوارج اذ لا فرق بين قولهم لا حكم الا لله ولا حكم للرجال وبين قوله لا اسجد الا لك أأسجد لبشر خلقته من صلصال وبالجملة * كلا طرفى قصد الامور ذميم * فالمعتزلة غلوا فى التوحيد بزعمهم حتى وصلوا الى التعطيل بنفى الصفات والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الاجسام والروافض غلوا فى النبوة والامامة حتى وصلوا الى الحلول والخوارج

قصروا

قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال وانت ترى ان هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين وذلك فى الاول مصدرها وفى الآخر مظهرها واليه اشار التنزيل فى قوله تعالى * ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين * وشبه النبى صلعم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة وقال المشبهة يهود هذه الامة والرافضة نصاراها وقال صلعم جملة * لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه *

« ذكر اول شبهة وقعت فى الملة الاسلامية وكيف »
« انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها »

كما قررنا ان الشبهات التى وقعت فى آخر الزمان هى بعينها تلك الشبهات التى وقعت فى اول الزمان كذلك يمكن ان يقرر فى زمان كل نبى ودور صاحب كل ملة وشريعة ان شبهات امته فى آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء اول زمانه من الكفار والمنافقين واكثرها من المنافقين وان خفى علينا ذلك فى الامم السالفة لتمادى الزمان فلم يخف فى هذه الامة ان شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقى زمن النبى صلعم اذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه اعتبر حديث ذى الخويصرة التميمى اذ قال اعدل يا محمد فانك لم تعدل حتى قال صلعم * ان لم اعدل فمن يعدل * فعاود اللعين وقال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى وذلك خروج صريح على النبى صلعم

ولو صار من اعترض على الامام الحق خارجيا فمن اعترض على الرسول الحق اولى ان يصير خارجيا اوليس ذلك قولا بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى فى مقابلة النص واستكبارا على الامر بقياس العقل حتى قال عليه السلام * سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية * الخبر بتمامه واعتبر حال طائفة من المنافقين يوم احد اذ قالوا * هل لنا من الامر من شئ * وقولهم * لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا * وقولهم * لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا * فهل ذلك الا تصريح بالقدر وقول طائفة من المشركين * لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ * وقول طائفة * انطعم من لو يشاء الله اطعمه * تصريح بالجبر واعتبر حال طائفة اخرى حيث جادلوا فى ذات الله تفكرا فى جلاله وتصرفا فى افعاله حتى منعهم وخوفهم بقوله تعالى * ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال * فهذا ما كان فى زمانه عليه السلام وهو على شوكته وقوته وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الاسلام ويبطنون النفاق وانما يظهر نفاقهم فى كل وقت بالاعتراض على حركاته وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهر منها الشبهات كالزروع واما الاختلافات الواقعة فى حال مرضه وبعد وفاته بين الصحابة رضى الله عنهم فهى اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم فيها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين ﴿ فاول تنازع ﴾ فى مرضه فيما رواه محمد بن اسمعيل البخارى باسناده عن عبد الله بن عباس قال لما اشتد بالنبى صلعم مرضه الذى مات فيه قال * ائتونى بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى * فقال عمر ان رسول الله صلعم قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال النبى صلعم * قوموا عنى لا ينبغى عندى

التنازع * قال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله ﴿ الخلاف الثانى ﴾ فى مرضه انه قال * جهزوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنه * فقال قوم يجب علينا امتثال امره و اسامة قد برز من المدينة وقال قوم قد اشتد مرض النبى صلعم فلا تسع قلوبنا لمفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر اىش يكون من امره وانما اوردت هذين التنازعين لان المخالفين ربما عدوا ذلك من الخلافات المؤثرة فى امر الدين وهو كذلك وان كان الغرض كله اقامة مراسم الشرع فى حال تزلزل القلوب وتسكين نائرة الفتنة المؤثرة عند تقلب الامور ﴿ الخلاف الثالث ﴾ فى موته صلى الله عليه وآله وسلم قال عمر بن الخطاب من قال ان محمدا مات قتلته بسيفى هذا وانما رفع الى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام وقال ابو بكر بن قحافة من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد اله محمد فانه حى لا يموت وقرأ هذه الآية * وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم * فرجع القوم الى قوله وقال عمر كانى ما سمعت هذه الآية حتى قرأها ابوبكر ﴿ الخلاف الرابع ﴾ فى موضع دفنه صلعم اراد اهل مكة من المهاجرين رده الى مكة لانها مسقط رأسه ومأنس نفسه وموطئ قدمه وموطن اهله وموقع رحله واراد اهل المدينة من الانصار دفنه بالمدينة لانها دار هجرته ومدار نصرته وارادت جماعة نقله الى بيت المقدس لانه موضع دفن الانبياء ومنه معراجه الى السماء ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روى عنه عليه السلام * الانبياء يدفنون حيث يموتون ﴿ الخلاف الخامس ﴾ فى الامامة واعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة اذ ما سل سيف فى الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة فى كل زمان وقد سهل

الله تعالى ذلك فى الصدر الاول فاختلف المهاجرون والانصار فيها وقالت الانصار منا امير ومنكم امير و اتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الانصارى فاستدركه ابو بكر وعمر فى الحال بان حضرا سقيفة بنى ساعدة وقال عمر كنت ازور فى نفسى كلاما فى الطريق فلما وصلنا الى السقيفة اردت ان اتكلم فقال ابو بكر مه يا عمر فحمد الله واثنى عليه و ذكر ما كنت اقدره فى نفسى كانه يخبر عن غيب فقبل ان يشتغل الانصار بالكلام مددت يدى اليه فبايعته وبايعه الناس و سكنت النائرة الا ان بيعة ابى بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فايما رجل بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فانهما تغرة ان يقتلا و انما سكنت الانصار عن دعواهم لرواية ابى بكر عن النبى صلعم * الائمة من قريش * وهذه البيعة هى التى جرت فى السقيفة ثم لما عاد الى المسجد انثال الناس عليه و بايعوه عن رغبة سوى جماعة من بنى هاشم و ابى سفيان من بنى امية و امير المؤمنين على كرم الله وجهه كان مشغولا بما امره النبى من تجهيزه و دفنه وملازمة قبره من غير منازعة و لا مدافعة

❊ الخلاف السادس ❊ فى امر فدك و التوارث عن النبى صلعم و دعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارة وتمليكا اخرى حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبى صلعم * نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة

❊ الخلاف السابع ❊ فى قتال مانعى الزكوة فقال قوم لا نقاتلهم قتال الكفرة وقال قوم بل نقاتلهم حتى قال ابو بكر لو منعونى عقالا مما اعطوا رسول الله صلعم لقاتلتهم عليه و مضى بنفسه الى قتالهم و وافقه الصحابة باسرهم وقد ادى اجتهاد عمر فى ايام خلافته الى رد السبايا والاموال اليهم و اطلاق المحبوسين منهم

❊ الخلاف الثامن ❊ فى تنصيص ابى بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة فمن الناس من قال

قد وليت علينا فظا غليظا و ارتفع الخلاف بقول ابى بكر لو سألنى
ربى يوم القيامة لقلت وليت عليهم خير اهلهم و قد وقع فى زمانهم
اختلافات كثيرة فى مسائل ميراث الجد و الاخوة و الكلالة و فى عقل
الاصابع و ديات الاسنان و حدود بعض الجرائم التى لم يرد فيها نص
و انما اهم امورهم الاشتغال بقتال الروم و غزو العجم و فتح الله تعالى
الفتوح على المسلمين وكثرت السبايا و الغنائم و كانوا كلهم يصدرون
عن رأى عمر و انتشرت الدعوة وظهرت الكلمة و دانت العرب ولانت
العجم ﴿ الخلاف التاسع ﴾ فى امر الشورى و اختلاف الآراء فيها
حتى اتفقوا كلهم على بيعة عثمان رضى الله عنه وانتظم الملك
و استقرت الدعوة فى زمانه وكثرت الفتوح وامتلأ بيت المال
وعاشر الخلق على احسن خلق وعاملهم بابسط يد غير ان اقاربه
من بنى امية قد ركبوا نهابر فركبته وجاروا فجير عليه و وقعت
اختلافات كثيرة واخذوا عليه احداثا كلها محالة على بنى
امية * منها رده الحكم ابن امية الى المدينة بعد ان طرده النبى صلم
وكان يسمى طريد رسول الله صلم وبعد ان تشفع الى ابى بكر و عمر
ايام خلافتهما فما اجابا الى ذلك ونفاه عمر من مقامه باليمن اربعين
فرسخا * ومنها نفيه اباذر الى الربذة و تزويجه مروان بن الحكم بنته
وتسليمه خمس غنائم افريقية له وقد بلغت مائتى الف دينار * ومنها
ايواؤه عبدالله بن سعد بن ابى سرح بعد ان اهدر النبى صلم دمه
و توليته اياه مصر باعمالها و توليته عبد الله بن عامر البصرة حتى احدث
فيها ما احدث الى غير ذلك مما نقموا عليه وكان امراء جنوده معاوية
بن ابى سفيان عامل الشام وسعد بن ابى وقاص عامل الكوفة
وبعده الوليد بن عقبة و عبد الله بن عامر عامل البصرة وعبد الله بن

سعد بن ابى سرح عامل مصر وكلهم خذلوه ورفضوه حتى اتى قدره عليه وقتل مظلوما فى داره وثارت الفتنة من الظلم الذى جرى عليه ولم تسكن بعد ﴿ الخلاف العاشر ﴾ فى زمان امير المؤمنين على كرم الله وجهه بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة فاوله خروج طلحة والزبير الى مكة ثم حمل عايشة الى البصرة ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل والحق انهما رجعا وتابا اذ ذكرهما امرا فتذكرا فاما الزبير فقتله ابن جرموز وقت الانصراف وهو فى النار لقول النبى صلعم * بشر قاتل ابن صفية بالنار * واما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم وقت الاعراض فخر ميتا واما عايشة فكانت محمولة على ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين ومخالفة الخوارج وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو بن العاص ابا موسى الاشعرى وبقاء الخلافة الى وقت الوفاة مشهور كذلك الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان عقدا وقولا ونصب القتل معه فعلا ظاهرا معروف وبالجملة ه كان على مع الحق والحق معه ه وظهر فى زمانه الخوارج عليه مثل الاشعث بن قيس ومسعود بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى وغيرهم وكذلك ظهر فى زمانه الغلاة فى حقه مثل عبدالله بن سبأ وجماعة معه ومن الفريقين ابتدعت الفتنة والضلالة وصدق فيه قول النبى صلعم * يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال * وانقسمت الخلافة بعده الى قسمين احدهما الاختلاف فى الامامة والثانى الاختلاف فى الاصول والاختلاف فى الامامة على وجهين احدهما القول بان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار والثانى القول بان الامامة تثبت بالنص والتعيين فمن قال ان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار قال بامامة كل من اتفقت عليه الامة او جماعة معتبرة

منهم اما مطلقا و اما بشرط ان يكون قرشيا على مذهب قوم وبشرط
ان يكون هاشميا على مذهب قوم الى شرائط اخر كما سيأتى ومن قال
بالاول فقال بامامة معاوية و اولاده و بعدهم بخلافة مروان و اولاده
و الخوارج اجتمعوا فى كل زمان على واحد منهم بشرط ان يبقى على
مقتضى اعتقادهم ويجرى على سنن العدل فى معاملاتهم والا خذلوه
و خلعوه و ربما قتلوه ومن قال ان الامامة تثبت بالنص اختلفوا بعد على
عليه السلام فمنهم من قال انما نص على ابنه محمد بن الحنفية و هؤلاء هم
الكيسانية ثم اختلفوا بعده فمنهم من قال انه لم يمت ويرجع فيملأ
الارض عدلا ومنهم من قال انه مات و انتقلت الامامة بعده الى ابنه
ابى هاشم و افترقت هؤلاء فمنهم من قال الامامة بقيت فى عقبه وصية
بعد وصية ومنهم من قال انتقلت الى غيره واختلفوا فى ذلك الغير
فمنهم من قال هو بنان بن سمعان النهدى و منهم من قال هو على
بن عبدالله بن عباس ومنهم من قال هو عبدالله بن حرب الكندى
ومنهم من قال هو عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن
ابى طالب وهؤلاء كلهم يقولون ان الدين طاعة رجل ويتأولون
احكام الشرع كلها على شخص معين و اما من لم يقل بالنص على
محمد بن الحنفية قال بالنص على الحسن والحسين وقال الامامة فى
الاخوين الحسن و الحسين ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من اجرى الامامة
فى اولاد الحسن فقال بعده بامامة ابنه الحسن ثم ابنه عبدالله
ثم ابنه محمد ثم اخيه ابراهيم الامامين وقد خرجا فى ايام المنصور فقتلا
فى ايامه ومن هؤلاء من يقول برجعة محمد الامام ومنهم من اجرى
الوصية فى اولاد الحسين وقال بعده بامامة ابنه على زين العابدين
نصا عليه ثم اختلفوا بعده فقالت الزيدية بامامة ابنه زيد ومذهبهم
ان كل فاطمى خرج وهو عالم زاهد شجاع سخى كان اماما واجب

الاتباع وجوزوا رجوع الامامة الى اولاد الحسن ومنهم من وقف وقال بالرجعة ومنهم من ساق وقال بامامة كل من هذه حاله فى كل زمان * واما الامامية * فقالوا بامامة محمد بن على الباقر نصا عليه ثم بامامة جعفر بن محمد وصية اليه ثم اختلفوا بعده فى اولاده من المنصوص عليه وهم خمسة محمد واسمعيل وعبد الله وموسى وعلى فمنهم من قال بامامة محمد وهم العمارية ومنهم من قال بامامة اسمعيل وانكر موته فى حيوة ابيه وهم المباركية ومن هؤلاء من وقف عليه وقال برجعته ومنهم من ساق الامامة فى اولاده نصا بعد نص الى يومنا هذا وهم الاسمعيلية ومنهم من قال بامامة عبد الله الافطح وقال برجعته بعد موته لانه مات ولم يعقب ومنهم من قال بامامة موسى نصا عليه اذ قال والده سابعكم قائمكم الا وهو سمى صاحب التوراة ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته اذ قال لم يمت هو ومنهم من توقف فى موته وهم الممطورة ومنهم من قطع بموته وساق الامامة الى ابنه على بن موسى الرضا وهم القطعية ثم هؤلاء اختلفوا فى كل ولد بعده فالاثنا عشرية ساقوا الامامة من على الرضا الى ابنه محمد ثم الى ابنه على ثم الى ابنه الحسن ثم الى ابنه محمد القائم المنتظر الثانى عشر وقالوا هو حى لم يمت ويرجع فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وغيرهم ساقوا الامامة الى الحسن العسكرى ثم قالوا بامامة اخيه جعفر وقالوا بالتوقف عليه وقالوا بالشك فى حال محمد ولهم خبط طويل فى سوق الامامة والتوقف والقول بالرجعة بعد الموت والقول بالغيبة ثم بالرجعة بعد الغيبة فهذه جملة اختلافات فى الامامة ﴿ واما الاختلاف فى الاصول ﴾ فحدثت فى آخر ايام الصحابة بدعة معبد الجهنى وغيلان الدمشقى ويونس الاسوارى فى القول بالقدر وانكار اضافة الخير والشر الى

القدر ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان تلميذ الحسن البصرى وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه فى مسائل القدر وكان عمرو من دعاة يزيد الناقص ايام بنى امية ثم ولى المنصور وقال بامامته ومدحه المنصور يوما فقال نثرت الحب للناس فلقطوا غير عمرو والوعيدية من الخوارج والمرجئة من الجبرية والقدرية ابتدأت بدعتهم فى زمان الحسن واعتزل واصل عنهم وعن استاذه بالقول بالمنزلة بين المنزلتين وسمى هو واصحابه معتزلة وقد تلمذ له زيد بن على واخذ الاصول منه فلذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة ومن رفض زيد بن على لانه خالف مذهب آبائه فى الاصول وفى التبرى والتولى وهم من اهل الكوفة وكانوا جماعة سميت رافضة ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت ايام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم الكلام اما لان اظهر مسئلة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هى مسئلة الكلام فسمى النوع باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة فى تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان فكان ابو الهذيل العلاف شيخهم الاكبر وافق الفلاسفة فى ان البارى تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته وكذلك قادر بقدرة وقدرته ذاته وابدع بدعا فى الكلام والارادة وافعال العباد والقول بالقدر والآجال والارزاق وجرت بينه وبين هشام بن الحكم مناظرات فى احكام التشبيه وابو يعقوب الشحام والآدمى صاحبا ابى الهذيل وافقاه فى ذلك كله ثم ابراهيم بن سيار النظام فى ايام المعتصم كان اغلى فى تقرير مذاهب الفلاسفة وانفرد عن السلف ببدع فى الرفض والقدر وعن اصحابه بمسائل نذكرها ومن اصحابه محمد بن شبيب وابو شمر وموسى بن عمران والفضل الحدثى واحمد بن حائط ووافقه الاسوارى فى جميع ما ذهب

اليه من البدع وكذلك الاسكافية اصحاب ابى جعفر الاسكافى و الجعفرية اصحاب جعفر بن جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب ثم ظهرت بدع بشر بن المعتمر من القول بالتولد والافراط فيه والميل الى الطبيعيين من الفلاسفة و القول بان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل و اذا فعل ذلك فهو ظالم الى غير ذلك مما تفرد به عن اصحابه وتلمذ له ابو موسى المزدار راهب المعتزلة وانفرد عنه بابطال اعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة وفى ايامه جرت اكثر التشديدات على السلف لقولهم بقدم القرآن وتلمذ له الجعفران ابو زفر ومحمد بن سويد صاحب المزدار وابو جعفر الاسكافى وعيسى بن هيثم صاحبا جعفر بن حرب الاشج وممن بالغ فى القول بالقدر هشام بن عمرو الفوطى والاصم من اصحابه وقدحا فى امامة على رضى الله عنه بقولهما ان الامامة لا تنعقد الا باجماع الامة عن بكرة ابيهم والفوطى والاصم اتفقا على ان الله تعالى يستحيل ان يكون عالما بالاشياء قبل كونها ومنع كون المعدوم شيئا وابو الحسن الخياط واحمد بن على الشطوى صحبا عيسى الصوفى ثم لزما ابا مخالد وتلمذ الكعبى لابى الحسن الخياط ومذهبه بعينه مذهبه واما معمر بن عباد السلمى وثمامة بن اشرس النميرى وعمرو بن بحر الجاحظ فقد كانوا فى زمان واحد متقاربين فى الرأى والاعتقاد منفردين عن اصحابهم بمسائل نذكرها والمتأخرون منهم ابو على الجبائى وابنه ابو هشام والقاضى عبدالجبار وابو الحسين البصرى قد لخصوا طرق اصحابهم وانفردوا عنهم بمسائل وروتق علم الكلام ابتداؤه من الخلفاء العباسية هارون والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وانتهاؤه من الصاحب بن عباد وجماعة من الديالمة وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين مثل ضرار بن عمرو وحفص الفرد والحسين النجار من المتاخرين خالفوا الشيوخ فى مسائل ونبغ جهم

بن

بن صفوان فى ايام نصر بن سيار واظهر بدعته فى الجبر بترمذ وقتله سالم بن احوز المازنى فى آخر ملك بنى امية بمرو وكان بين المعتزلة وبين السلف فى كل زمان اختلافات فى الصفات وكان السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامى بل على قول اقناعى ويسمون الصفاتية فمن مثبت صفات البارى تعالى معانى قائمة بذاته ومن مشبه صفاته بصفات الخلق وكلهم يتعلقون بظواهر الكتاب والسنة ويناضلون المعتزلة فى قدم الكلام على قول ظاهر وكان عبدالله بن سعيد الكلابى وابو العباس القلانسى والحارث المحاسبى اشبههم اتقانا وامتنهم كلاما وجرت مناظرة بين ابى الحسن على بن اسمعيل الاشعرى وبين استاذه ابى على الجبائى فى بعض مسائل والزمه امورا لم يخرج عنها بجواب فاعرض عنه وانحاز الى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية فصار ذلك مذهبا منفردا وقرر طريقته جماعة من المحققين مثل القاضى ابى بكر الباقلانى والاستاذ ابى اسحق الاسفراينى والاستاذ ابى بكر بن فورك وليس بينهم كثير اختلاف ونبغ رجل متنمس بالزهد من سجستان يقال له ابو عبد الله بن الكرام قليل العلم قد قش من كل مذهب ضغثا واثبته فى كتابه وروجه على اغتام غرجة وغور وسواد بلاد خراسان فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهبا قد نصره محمود بن سبكتكين السلطان وصب البلاد على اصحاب الحديث والشيعة من جهتهم وهو اقرب مذهب الى مذهب الخوارج وهم مجسمة وحاشا غير محمد بن الهيثم فانه مقارب * قف * مذاهب اهل العالم من ارباب الديانات والملل واهل الاهواء والنحل من الفرق الاسلامية وغيرهم ممن له كتاب مثل الصابئة الاولى وممن ليس له كتاب ولا حدود واحكام شرعية مثل الفلاسفة الاولى والدهرية وعبدة

الكواكب والاوثان والبراهمة قد ذكر الشهرستانى اربابها واصحابها بعد الفحص الشديد عن مباديها وعواقبها ثم ان التقسيم الصحيح الدائر بين النفى والاثبات هو قولنا ان اهل العالم انقسموا من حيث المذاهب الى اهل الديانات والى اهل الاهواء فان الانسان اذا اعتقد عقدا او قال قولا فاما ان يكون فيه مستفيدا من غيره او مستبدا برأيه فالمستفيد من غيره مسلم مطيع والدين هو الطاعة والتسليم والمطيع هو المتدين والمستبد برأيه محدث مبتدع وفى الخبر عن النبى صلم * ما شقى امرؤ عن مشورة ولا سعد باستبداد برأى * وربما يكون المستفيد من غيره مقلدا قد وجد مذهبا اتفاقيا بان كان ابواه او معلمه على اعتقاد باطل فيتقلده منه دون ان يتفكر فى حقه وباطله وصواب القول فيه وخطائه فحينئذ لا يكون مستفيدا لانه ما حصل على فائدة وعلم ولا اتبع الاستاذ على بصيرة ويقين الا من شهد بالحق وهم يعلمون شرط عظيم فليعتبر وربما يكون المستبد برأيه مستنبطا عما استفاده على شرط ان يعلم موضع الاستنباط وكيفيته فحينئذ لا يكون مستبدا حقيقة لانه حصل العلم بقوة تلك الفائدة لعلمه الذين يستنبطونه منهم ركن عظيم فلا تغفل فالمستبدون بالرأى مطلقا هم المنكرون للنبوات مثل الفلاسفة والصابئية والبراهمة وهم لا يقولون بشرائع واحكام امرية بل يضعون حدودا عقلية حتى يمكنهم التعايش عليها والمستفيدون هم القائلون بالنبوات ومن قال بالاحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية ولا ينعكس * ارباب الديانات والملل من المسلمين واهل الكتاب وممن له شبهة كتاب نتكلم هنا فى معنى الدين والملة والشرعة والمنهاج والاسلام والحنيفية والسنة والجماعة فانها عبارات وردت فى التنزيل ولكل واحدة منها معنى يخصها وحقيقة توافقها لغة واصطلاحا وقد بينا معنى الدين انه الطاعة

والانقياد وقد قال تعالى * ان الدين عند الله الاسلام * وقد يرد بمعنى الجزاء يقال « كما تدين تدان » وقد يرد بمعنى الحساب يوم المعاد والتناد قال تعالى * ذلك الدين القيم * فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد قال الله تعالى * ورضيت لكم الاسلام دينا * ولما كان نوع الانسان محتاجا الى اجتماع مع آخر من بنى جنسه فى اقامة معاشه والاستعداد لمعاده وذلك الاجتماع يجب ان يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هوله ويحصل بالتعاون ما ليس له فصورة الاجتماع على هذه الهيأة هى الملة والطريق الخاص الذى يوصل الى هذه الهيأة هو المنهاج والشرعة والسنة والاتفاق على تلك السنة هى الجماعة قال الله تعالى * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة الا بواضع شارع يكون مخصوصا من عند الله بآيات تدل على صدقه وربما تكون الآية مضمنة فى نفس الدعوى وربما تكون ملازمة وربما تكون متأخرة ثم اعلم ان الملة الكبرى هى ملة ابراهيم عليه السلام وهى الحنيفية التى تقابل الصبوة تقابل التضاد قال الله تعالى * ملة ابيكم ابراهيم * والشريعة ابتدأت من نوح قال الله تعالى * شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا * والحدود والاحكام ابتدأت من آدم وشيث وادريس عليهم السلام وختمت الشرائع والملل والمناهج والسنن باكملها واتمها حسنا وجمالا بمحمد عليه السلام قال الله تعالى * اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا * وقد قيل خص آدم بالاسماء وخص نوح بمعانى تلك الاسماء وخص ابراهيم بالجمع بينهما ثم خص موسى بالتنزيل وخص عيسى بالتأويل وخص المصطفى بالجمع بينهما على ملة ابيكم ابراهيم ثم كيفية التقدير الاول

والتكميل بالتقدير الثاني بحيث يكون مصدقا كل واحد ما بين يديه من الشرائع الماضية والسنن السالفة تقديرا للامر على الخلق وتوفيقا للدين على الفطرة فمن خاصية النبوة ان لا يشاركهم فيها غيرهم وقد قيل ان الله عز وجل اسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه وبدينه على وحدانيته

﴿ ذكر اهل الفروع المختلفين فى الاحكام الشرعية ﴾ ﴿ والمسائل الاجتهادية ﴾

اعلم ان اصول الاجتهاد واركانه اربعة وربما تعود الى الاثنين الكتاب والسنة والاجماع والقياس وانما تلقوا صحة هذه الاركان وانحصارها من اجماع الصحابة وتلقوا اصل الاجتهاد والقياس وجوازه منهم ايضا فان العلم بالتواتر قد حصل انهم اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال او حرام فزعوا الى الاجتهاد وابتدأوا بكتاب الله تعالى فان وجدوا فيه نصا ظاهرا تمسكوا به واجروا حكم الحادثة على مقتضاه وان لم يجدوا فيه نصا فزعوا الى السنة فان روى لهم فى ذلك خبر اخذوا به ونزلوا على حكمه وان لم يجدوا الخبر فزعوا الى الاجماع فكانت الاركان الاجتهادية عندهم اثنين او ثلثة وللناس بعدهم اربعة قالوا اذا وجب علينا الاخذ بمقتضى اجماعهم واتفاقهم والجرى على مناهج اجتهادهم وربما كان اجماعهم على حادثة اجماعا اجتهاديا وربما كان اجماعا مطلقا لم يصرح فيه بالاجتهاد على الوجهين جميعا فالاجماع حجة شرعية لاجماعهم على التمسك بالاجماع ونحن نعلم ان الصحابة الذين هم الائمة الراشدون لا يجتمعون على ضلال وقد قال النبي صلعم لا تجتمع امتى على الضلالة

ولكن الاجماع لايخلو عن نص خفى او جلى قد اختصه لانا على القطع نعلم ان الصدر الاول لايجمعون على امر الا عن ثبت وتوقيف فاما ان يكون ذلك النص فى نفس الحادثة قد اتفقوا على حكمها من غير بيان ما يستند اليه و اما ان يكون النص فى ان الاجماع حجة ومخالفة الاجماع بدعة وبالجملة مستند الاجماع نص خفى او جلى لامحالة والا فيؤدى الى اثبات الاحكام المرسلة و مستند الاجتهاد والقياس هو الاجماع وهو ايضا مستند الى نص مخصوص فى جواز الاجتهاد فرجعت الاصول الاربعة فى الحقيقة الى اثنين و ربما يرجع الى واحد وهو قول الله تعالى و نعلم قطعا ويقينا ان الحوادث والوقائع فى العبادات و التصرفات مما لا يقبل الحصر و العد و نعلم قطعا ايضا انه لم يرد فى كل حادثة نص ولا يتصور ذلك ايضا والنصوص اذا كانت متناهية و الوقائع غير متناهية وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى علم قطعا ان الاجتهاد و القياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد ثم لايجوز ان يكون الاجتهاد مرسلا خارجا عن ضبط الشرع فان القياس المرسل شرع آخر واثبات حكم من غير مستند وضع آخر والشارع هو الواضع للاحكام فيجب على المجتهد ان لا يعدو فى اجتهاده عن هذه الاركان * و شرائط الاجتهاد خمسة * معرفة صدر صالح من اللغة بحيث يمكنه فهم لغات العرب والتمييز بين الالفاظ الوضعية و المستعارة والنص والظاهر والعام و الخاص و المطلق و المقيد والمجمل والمفصل وفحوى الخطاب ومفهوم الكلام و مايدل على مفهومه بالمطابقة و ما يدل بالتضمن و ما يدل بالاستتباع فان هذه المعرفة كالآلة التى بها يحصل الشئ ومن لم يحكم الآلة والاداة لم يصل الى تمام الصنعة * ثم معرفة تفسير القرآن خصوصا ما يتعلق بالاحكام وما ورد من

الاخبار فى معانى الآيات وما روى من الصحابة المعتبرين كيف سلكوا مناهجها واى معنى فهموا من مدارجها ولو جهل تفسير سائر الآيات التى تتعلق بالمواعظ و القصص قيل لم يضره ذلك فى الاجتهاد فان من الصحابة من كان لايدرى تلك المواعظ ولم يتعلم بعد جميع القرآن وكان من اهل الاجتهاد * ثم معرفة الاخبار بمتونها و اسانيدها والاحاطة باحوال النقلة و الرواة عدولها و ثقاتها ومطعونها و مردودها والاحاطة بالوقائع الخاصة فيها و ما هو عام ورد فى حادثة خاصة وما هو خاص عمم فى الكل حكمه ثم الفرق بين الواجب و الندب والاباحة و الحظر و الكراهة حتى لايشذ عنه وجه من هذه الوجوه ولايختلط عليه باب بباب * ثم معرفة مواقع اجماع الصحابة و التابعين من السلف الصالحين حتى لايقع اجتهاده فى مخالفة الاجماع * ثم معرفة مواضع الاقيسة وكيف النظر و التردد فيها من طلب اصل اولا ثم طلب معنى مخيل يستنبط منه فيعلق الحكم عليه اوشبه مغلب على الظن فيلحق الحكم به فهذه خمس شرائط لا بد من اعتبارها حتى يكون المجتهد مجتهدا واجب الاتباع والتقليد فى حق العامى والا فكل حكم لم يستند الى قياس واجتهاد مثل ما ذكرنا فهو مرسل مهمل قالوا فاذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد ويكون الحكم الذى ادى اليه اجتهاده سائغا فى الشرع ووجب على العامى تقليده و الاخذ بفتواه وقد استفاض الخبر عن النبى صلعم انه لما بعث معاذا الى اليمن قال يامعاذ بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال فبسنة رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد برأيى قال النبى صلعم * الحمد لله الذى وفق رسول رسوله لما يرضاه * و قد روى عن على كرم الله وجهه انه قال بعثنى رسول الله صلعم قاضيا الى اليمن فقلت يا رسول الله كيف اقضى بين الناس

واما حديث السن فضرب رسول الله صلعم بيده صدرى وقال * اللهم اهد قلبه وثبت لسانه * فما شككت بعد ذلك فى قضاء بين اثنين ثم اختلف اهل الاصول فى تصويب المجتهدين فى الاصول والفروع فعامة اهل الاصول على ان النظر فى المسائل الاصولية والاحكام العقلية اليقينية القطعية يجب ان يكون متعين الاصابة فالمصيب فيها واحد بعينه ولا يجوز ان يختلف المختلفان فى حكم عقلى حقيقة الاختلاف وبالنفى والاثبات على شرط التقابل المذكور بحيث ينفى احدهما ما يثبته الآخر بعينه من الوجه الذى يثبته فى الوقت الذى يثبته الاوان يقتسما الصدق والكذب والحق والباطل سواء كان الاختلاف بين اهل الاصول فى الاسلام او بين اهل الملل والنحل الخارجة عن الاسلام فان المختلف فيه لا يحتمل توارد الصدق والكذب والصواب والخطأ عليه فى حالة واحدة وهو مثل قول احد المخبرين زيد فى هذه الدار فى هذه الساعة وقول الثانى ليس زيد فى هذه الدار فى هذه الساعة فانا نعلم قطعا ان احد المخبرين صادق والثانى كاذب لان المخبر عنه لا يحتمل اجتماع الحالتين فيه معا فيكون زيد فى الدار ولا يكون فى الدار لعمرى قد يختلف المختلفان فى مسئلة ويكون محل الاختلاف مشتركا وشرط تقابل القضيتين فاقدا فحينئذ يمكن ان يصوب المتنازعان ويرتفع النزاع بينهما برفع الاشتراك او يعود النزاع الى احد الطرفين مثال ذلك المختلفان فى مسئلة الكلام ليسا يتواردان على معنى واحد بالنفى والاثبات فان الذى قال هو مخلوق اراد به ان الكلام هو الحروف والاصوات فى اللسان والرقوم والكلمات فى الكتابة قال وهذا مخلوق والذى قال ليس بمخلوق لم يرد به الحروف والرقوم وانما اراد معنى آخر فلم يتوارد بالتنازع فى الخلق على معنى واحد وكذلك فى مسئلة الرؤية فان النافى قال الرؤية اتصال شعاع

بالمرئى وهو لا يجوز فى حق البارى تعالى و المثبت قال الرؤية ادراك
او علم مخصوص ويجوز تعلقه بالبارى تعالى فلم يتوارد النفى و الاثبات
على معنى واحد الا اذا رجع الكلام الى اثبات حقيقة الرؤية فيتفقان
اولا على انها ما هى ثم يتكلمان نفيا واثباتا وكذلك فى مسئلة الكلام
يرجعان الى اثبات ماهية الكلام ثم يتكلمان نفيا و اثباتا و الا فيمكن
ان تصدق القضيتان وقد صار ابو الحسن العنبرى الى ان كل مجتهد
ناظر فى الاصول مصيب لانه ادى ما كلف من المبالغة فى تسديد
النظر و المنظور فيه وان كان متعينا نفيا و اثباتا الا انه اصاب من
وجه وانما ذكر هذا فى الاسلاميين من الفرق واما الخارجون عن
الملة فقد تقررت النصوص والاجماع على كفرهم وخطائهم وكان
سياق مذهبهم يقتضى تصويب كل ناظر مجتهد على الاطلاق الا ان
النصوص والاجماع صدته عن تصويب كل ناظر وتصديق كل قائل
وللاصوليين خلاف فى تكفير اهل الاهواء مع قطعهم بان المصيب
واحد بعينه لان التكفير حكم شرعى والتصويب حكم عقلى
فمن مبالغ متعصب لمذهبه كفر وضلل مخالفه ومن متساهل متألف لم
يكفر ومن كفر قرب كل مذهب ومقالة بمقالة واحد من اهل
الاهواء والملل كتقريب القدرية بالمجوس وتقريب المشبهة باليهود
والرافضة بالنصارى فاجرى حكم هؤلاء فيهم من المناكحة واكل
الذبيحة ومن ساهل ولم يكفر قضى بالتضليل وحكم بانهم هلكى فى
الآخرة واختلفوا فى اللعن على حسب اختلافهم فى التكفير والتضليل
وكذلك من خرج على الامام الحق بغيا وعدوانا فان كان صدر
خروجه عن تأويل واجتهاد سمى باغيا مخطئا ثم البغى هل يوجب اللعن
فعند اهل السنة اذ لم يخرج بالبغى عن الايمان لم يستوجب اللعن وعند
المعتزلة يستحق اللعن بحكم فسقه والفاسق خارج عن الايمان وان

كان صدر خروجه عن البغى والحسد والمروق عن اجماع المسلمين استحق
اللعن والقتل بالسيف والسنان واما المجتهدون فى الفروع فاختلفوا فى
الاحكام الشرعية من الحلال والحرام ومواقع الاختلاف مظان غلبات
الظنون بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها وانما يبتنى ذلك على اصل
وهو انا نبحث هل لله تعالى حكم فى كل حادثة ام لا فمن الاصوليين
من صار الى ان لا حكم لله تعالى فى الوقائع المجتهد فيها حكما بعينه
قبل الاجتهاد من جواز وحظر بل وفى كل حركة يتحرك بها الانسان
حكم تكليف من تحليل وتحريم وانما يرتاده المجتهد بالطلب والاجتهاد
اذ الطلب لا بد له من مطلوب والاجتهاد يجب ان يكون فى شئ
الى شئ فالطلب المرسل لا يعقل ولهذا يتردد المجتهد بين النصوص
والظواهر والعمومات وبين المسائل المجمع عليها فيطلب الرابطة
المعنوية او التقريب من حيث الاحكام والصور حتى يثبت فى المجتهد
فيه مثل ما تلقاه فى المتفق عليه ولو لم يكن له مطلوب معين كيف يصح
منه الطلب على هذا الوجه فعلى هذا المذهب المصيب واحد من
المجتهدين فى الحكم المطلوب وان كان الثانى معذورا نوع عذر
اذ لم يقصر فى الاجتهاد ثم هل يتعين المصيب ام لا فاكثرهم على انه
لا يتعين فالمصيب واحد لا بعينه ومن الاصوليين من فصل الامر فيه
فقال ينظر فى المجتهد فيه ان كان مخالفة النص ظاهرة فى احد
المجتهدين فهو المخطئ بعينه خطأ لا يبلغ تضليلا والمتمسك بالخبر
الصحيح والنص الظاهر مصيب بعينه وان لم تكن مخالفة النص ظاهرة
فلم يكن مخطئا بعينه بل كل واحد منهما مصيب فى اجتهاده
واحدهما مصيب فى الحكم لا بعينه هذه جملة كافية فى احكام
المجتهدين فى الاصول والفروع والمسئلة والقضية معضلة ثم الاجتهاد
من فروض الكفايات لا من فروض الاعيان حتى اذا اشتغل بتحصيله

واحد سقط الفرض عن الجميع وان قصر فيه اهل عصر عصوا
بتركه واشرفوا على خطر عظيم فان الاحكام الاجتهادية اذا كانت
مرتبة على الاجتهاد ترتيب المسبب على السبب ولم يوجد السبب
كانت الاحكام عاطلة والآراء كلها فائلة فلا بد اذا من مجتهد واذا
اجتهد المجتهدان ادى اجتهاد كل واحد منهما الى خلاف ما ادى
اليه اجتهاد الآخر فلا يجوز لاحدهما تقليد الآخر وكذلك اذا
اجتهد مجتهد واحد فى حادثة وادى اجتهاده الى جواز او خطر ثم
حدثت تلك الحادثة بعينها فى وقت آخر فلا يجوز له ان يأخذ باجتهاده
الاول اذ يجوز ان يبدو له فى الاجتهاد الثانى ما اغفله فى الاول واما
العامى فيجب عليه تقليد المجتهد وانما مذهبه فيما يسأله مذهب
من يسأله عنه هذا هو الاصل الا ان علماء الفريقين لم يجوزوا ان
يأخذ العامى الحنفى الا بمذهب ابى حنيفة والعامى الشفعوى الا بمذهب
الشافعى لان الحكم بان لا مذهب للعامى وان مذهبه مذهب المفتى
يؤدى الى خلط وخبط فلهذا لم يجوزوا ذلك واذا كان مجتهدان
فى بلد اجتهد العامى فيهما حتى يختار الافضل والاورع ويأخذ
بفتواه واذا افتى المفتى على مذهبه وحكم به قاض من القضاة على
مقتضى فتواه ثبت الحكم على المذاهب كلها وكان القضاء اذا
اتصل بالفتوى الزم الحكم كالقبض مثلا اذا اتصل بالعقد ثم العامى
باى شئ يعرف ان العالم قد وصل الى حد الاجتهاد وكذلك المجتهد
نفسه متى يعرف انه قد استكمل شرائط الاجتهاد ففيه نظر ومن
اصحاب الظاهر مثل داود الاصفهانى وغيره ممن لم يجوز القياس
والاجتهاد فى الاحكام وقال الاصول هو الكتاب والسنة والاجماع
فقط ومنع ان يكون القياس اصلا من الاصول وقال اول من قاس
ابليس وظن ان القياس امر خارج عن مضمون الكتاب والسنة

ولم یدر انه طلب حکم الشرع ولم تنضبط قط شریعة من الشرائع الا باقتران الاجتهاد به لان من ضرورة الانتشار فی العالم الحکم بان الاجتهاد معتبر وقد رأینا الصحابة کیف اجتهدوا وکم قاسوا خصوصا فی مسائل المیراث من توریث الاخوة وکیفیة توریث الکلالة وذلك مما لایخفی علی المتدبر لاحوالهم * ثم المجتهدون من ائمة الامة محصورون فی صنفین لا یعدوان الی ثالث اصحاب الحدیث واصحاب الرأی فاصحاب الحدیث وهم اهل الحجاز هم اصحاب مالك بن انس واصحاب محمد بن ادریس الشافعی واصحاب سفیان الثوری واصحاب احمد بن حنبل واصحاب داوٗد بن علی بن محمد الاصفهانی وانما سموا اصحاب الحدیث لان عنایتهم بتحصیل الاحادیث ونقل الاخبار وبناء الاحکام علی النصوص ولا یرجعون الی القیاس الجلی والخفی ما وجدوا خبرا او اثرا وقد قال الشافعی اذا وجدتم بی مذهبا و وجدتم خبرا علی خلاف مذهبی فاعلموا ان مذهبی ذلك الخبر ومن اصحابه ابو ابراهیم اسمعیل بن یحیی المزنی والربیع بن سلیمان الجیزی وحرملة بن یحیی التجیبی والربیع المرادی وابو یعقوب البوبطی والحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانی ومحمد بن عبد الله بن عبد الحکم المصری وابو ثور ابراهیم بن خالد الکلبی وهم لا یزیدون علی اجتهاده اجتهادا بل یتصرفون فیما نقل عنه توجیها واستنباطا ویصدرون عن رأیه جملة ولا یخالفون البتة * واصحاب الرأی وهم اهل العراق هم اصحاب ابی حنیفة النعمان بن ثابت ومن اصحابه محمد بن الحسن وابو یوسف یعقوب بن محمد القاضی وزفر بن هذیل والحسن بن زیاد اللؤلؤی وابن سماعة وعافیة القاضی وابو مطیع البلخی وبشر المریسی وانما سموا اصحاب الرأی لان عنایتهم بتحصیل وجه من القیاس والمعنی المستنبط من الاحکام وبناء الحوادث علیها وربما یقدمون القیاس الجلی علی آحاد الاخبار وقد قال ابو حنیفة علمنا هذا رأی وهو احسن ما قدرنا علیه فمن قدر علی غیر ذلك فله ما رأی ولنا

ما رأيناه و هؤلاء ربما يزيدون على اجتهاده اجتهادا ويخالفونه فى الحكم الاجتهادى والمسائل التى خالفوه فيها معروفة وبين الفريقين اختلافات كثيرة فى الفروع ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات وقد بلغت النهاية فى مناهج الظنون حتى كأنهم اشرفوا على القطع واليقين وليس يلزم بذلك تكفير ولا تضليل بل كل مجتهد مصيب كما ذكرنا انتهى كلام الشهرستانى فى الملل والنحل وفيه بعض مسامحة ومباحث الاجتهاد والقياس فيها ما هو الصحيح والصواب ومنها ما هو الغلط والخطأ والحق المحقق فى الباب ما ذكرناه فى «حصول المأمول من علم الاصول» وفى مؤلفاتنا الاخرى نعم الذى حكاه محمد بن عبد الكريم هنا هو حكاية آراء عامة اهل العلم فى تلك المباحث وما جروا عليه وليس بتحقيق للحق فى نفس الامر وشأن العاقل ان لا يعرج على قول احد حتى يجد له ثبوتا منصوصا عليه من الله و رسوله ويرى له ظهورا كالشمس فى رابعة النهار والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

﴿ الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الاسلامية ﴾

ممن يقول بشريعة واحكام وحدود واعلام وهم قد انقسموا الى من له كتاب محقق مثل التوراة و الانجيل وعن هذا يخاطبهم التنزيل يا اهل الكتاب والى من له شبه كتاب مثل المجوس والمانوية فان الصحف التى انزلت على ابراهيم عليه السلام قد رفعت الى السماء لاحداث احدثها المجوس ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم وينحى بهم نحو اليهود والنصارى انهم من اهل الكتاب ولكن لا يجوز مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم فان الكتاب قد رفع عنهم * اهل الكتاب * الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم اهل الكتاب والاميون والامى من لا يعرف

الكتابة فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة واهل الكتاب
كانوا ينصرون دين الاسباط ويذهبون مذهب بنى اسرائيل
والاميون كانوا ينصرون دين القبائل ويذهبون مذهب
بنى اسمعيل ولما انشعب النور الوارد من آدم عليه السلام
الى ابراهيم ثم الصادر عنه على شعبين شعب فى بنى اسرائيل وشعب فى
بنى اسمعيل وكان النور المنحدر منه الى بنى اسرائيل ظاهرا والنور المنحدر
منه الى بنى اسمعيل مخفيا كان يستدل على النور الظاهر بظهور الاشخاص
واظهار النبوة فى شخص شخص ويستدل على النور المخفى بابانة المناسك
والعادات وستر الحال فى الاشخاص وقبلة الفرقة الاولى بيت المقدس
وقبلة الفرقة الثانية بيت الله الحرام وشريعة الاولى ظواهر الاحكام
وشريعة الثانية رعاية المشاعر الحرام وخصماء الفريق الاول الكافرون
مثل فرعون وهامان وخصماء الفريق الثانى المشركون مثل عبدة
الاصنام والاوثان فتقابل الفريقان وصح التقسيم بهذين المتقابلين
* اليهود والنصارى * هاتان الامتان من كبار امم اهل الكتاب وامة
اليهودية كانت اكبر لان الشريعة كانت لموسى وجميع بنى اسرائيل
كانوا متعبدين بذلك مكلفين بالتزام احكام التوراة والانجيل النازل
على المسيح لم يتضمن احكاما ولا استنبط حلالا وحراما ولكنه رموز
وامثال ومواعظ ومزاجر وما سواها من الشرائع والاحكام محالة
على التوراة فكانت اليهود لهذه القضية لم ينقادوا لعيسى عليه
السلام وادعوا عليه انه كان مأمورا بمتابعة موسى وموافقة التوراة
فغير وبدل وعدوا عليه تلك التغييرات منها تغيير السبت الى الاحد ومنها
تغيير اكل الخنزير وكان حراما فى التوراة ومنها الختان والغسل وغير
ذلك والمسلمون قد بينوا ان الامتين قد بدلوا وحرفوا والا فعيسى
كان مقررا لما جاء به موسى عليه السلام وكلاهما مبشران بمقدم

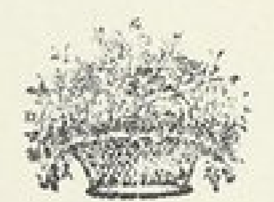
نبينا نبي الرحمة وقد امرهم ائمتهم وانبياؤهم وكتابهم بذلك وانما بنى اسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة لنصرة رسول آخر الزمان فامروهم بمهاجرة اوطانهم بالشام الى تلك القلاع والبقاع حتى اذا ظهر وعلن الحق بفاران وهاجر الى دار هجرته يثرب نصروه وعاونوه وذلك قوله تعالى * وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * وانما الخلاف بين اليهود والنصارى ما كان يرتفع الا بحكمة اذ كانت اليهود تقول ليست النصارى على شئ وكانت النصارى تقول ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب وكان النبي صلعم يقول لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما كان يمكنهم اقامتهما الا باقامة القرآن وتحكيم نبي الرحمة رسول آخر الزمان فلما ابوا ذلك * ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله * واختلفت اليهود نيفا وسبعين فرقة اشهرها واظهرها العنانية والعيسوية والبؤدعانية ومنهم الموشكانية والسامرة فهذه اربع فرق هم الكبار وانشعبت منهم الفرق الى احدى وسبعين فرقة وهم باسرهم اجمعوا على ان فى التوراة بشارة بواحد بعد موسى وانما افتراقهم اما فى تعيين ذلك الواحد او فى الزيادة على الواحد وذكر المشيحا وآثاره ظاهرة فى الاسفار وخروج واحد فى آخر الزمان وهو الكوكب المضئ الذى تشرق الارض بنوره ايضا متفق عليه واليهود على انتظاره * والنصارى امة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وهو المبعوث حقا بعد موسى المبشر به فى التوراة وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة مثل احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ونطقه من غير تعليم سالف وجميع

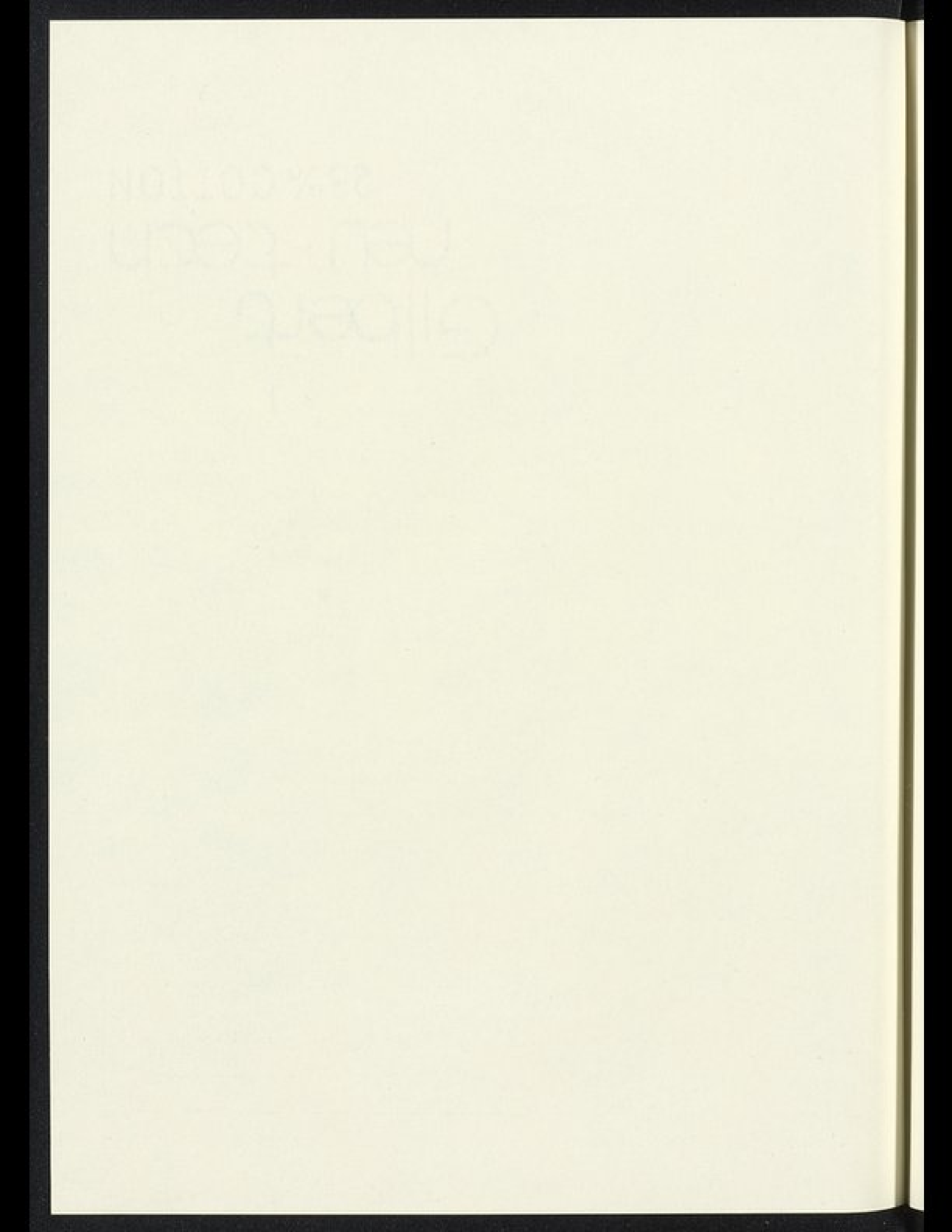
الانبياء بلاغ وحينئذ اربعون سنة وقد اوحى اليه انطاقا فى المهد واوحى
اليه ابلاغا عند الثلاثين وكانت مدة دعوته ثلث سنين وثلثة اشهر
وثلثة ايام فلما رفع الى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه وانما
اختلافاتهم تعود الى امرين احدهما كيفية نزوله واتصاله بامه وتجسد
الكلمة والثانى كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة
ثم افترقت النصارى اثنين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلثة
الملكانية والنسطورية واليعقوبية وانشعبت منها سائر الفرق
وقد ذكر الشهرستانى هذه الفرق كلها فى الملل والنحل وليس
حكاية احوالها من غرضنا فى هذا المختصر * واما من له شبه
كتاب فهم المجوس والمانوية واصحاب الاثنين وسائر فرقهم يقال
لهم الدين الاكبر والملة العظمى اذ كانت دعوة الانبياء بعد ابراهيم الخليل
عليه السلام لم تكن فى العموم كالدعوة الخليلية ولم يثبت لها من
القوة والشوكة والملك والسيف مثل الملة الحنفية اذ كانت ملوك
العجم كلها على ملة ابراهيم وجميع من كان فى زمان كل واحد
منهم من الرعايا فى البلاد على اديان ملوكهم وكان لملوكهم مرجع
هو موبذ موبذان اعلم العلماء واقدم الحكماء يصدرون عن امره
ولا يرجعون الا الى رأيه ويعظمونه تعظيم السلاطين لخلفاء الوقت
وكانت دعوة بنى اسرائيل اكثرها فى بلاد الشام وما وراها من
المغرب وقل ما سرى من ذلك الى بلاد العجم وكانت الفرق فى زمان
ابراهيم الخليل راجعة الى صنفين احدهما الصابئة والثانية الحنفاء
والفرقة الاولى هم عبدة الكواكب والثانية هم عبدة الاصنام وكان
الخليل مكلفا بكسر المذهبين على الفرقتين وتقرير الحنيفية السمحة
السهلة التى هى الملة الكبرى والشريعة العظمى وذلك هو الدين
القيم وكانت الانبياء من اولاده كلهم يقررون الحنيفية وبالخصوص

صاحب شرعنا محمد صلى الله عليه وسلم كان فى تقريرها قد بلغ النهاية القصوى واصاب فى المرمى واصمى ثم افترقت المجوس على فرق كثيرة ذكرها الشهرستانى فى الملل وذكر مقالاتهم ولعلنا قد تكلمنا على امم العالم وبعض الفرق منهم فى كتاب لقطة العجلان مما تمس الى معرفته حاجة الانسان وكذلك على حكماء اليونان بالاجمال ثم المتأخرون من فلاسفة الاسلام مثل يعقوب بن الحسن الكندى وحنين بن اسحق ويحيى النحوى وابى الفرج المفسر وابى سليمان السنجرى وابى سليمان محمد المقدسى وابى بكر ثابت بن قرة وابى تمام يوسف بن محمد النيسابورى وابى زيد احمد بن سهل البلخى وابى محارب الحسن بن سهل بن محارب القمى واحمد بن الطيب السرخسى وطلحة بن محمد النسفى وابى حامد احمد بن محمد الاسفرايني وعيسى بن على الوزير وابى على احمد بن مسكويه وابى زكريا يحيى بن عدى الضيمرى وابى الحسن العامرى وابى نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى وغيرهم وانما علامة القوم ابو على الحسين بن عبد الله بن سينا قد سلكوا كلهم طريقة ارسطاطاليس فى جميع ما ذهب اليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى افلاطون والمتقدمين ولما كانت طريقة ابن سينا ادق عند الجماعة ونظره فى الحقائق اغوص اختار الشهرستانى فى الملل والنحل نقل طريقته من كتبه على ايجاز واختصار لانها عيون كلامه ومتون مرامه واعرض عن نقل طرق الباقين وليس ذكر ذلك من غرضنا فى هذا المقام لان المقصود هنا الاشارة الى ضبط الاطراف فقط واما حكماء الهند فكان لفيثاغورس الحكيم اليونانى تلميذ يدعى قلانوس قد تلقى الحكمة منه وتلمذ له ثم صار الى مدينة من مدائن الهند واشاع فيها رأى فيثاغورس وكان برخمن رجلا جيد الذهن ناقد البصر صائب الفكر راغبا فى معرفة العوالم

العلوية قد اخذ من قلانوس الحكيم حكمته و استفاد منه علمه وصنعته
فلما توفى قلانوس ترأس برحمن على الهند كلهم فرغب الناس فى
تلطيف الابدان وتهذيب الانفس وكان يقول اى امرئ هذب نفسه
و اسرع فى الخروج عن هذا العالم الدنس وطهر بدنه من اوساخه
ظهر له كل شئ وعاين كل غائب وقدر على كل مقتدر وكان محبورا
مسرورا ملتذا عاشقا لا يمل ولا يكل ولا يمسه نصب ولا لغوب
فلما نهج لهم الطريق واحتج عليهم بالحجج المقنعة اجتهدوا اجتهادا
شديدا وهم فرق ايضا * وما قد قضى الرحمن لابد واقع * واما
تاريخ الهند فقد صنف فيه محمد بن يوسف الهروى كتابا ووصفها
بما فيها وكتب تاريخ الهند بالفارسية كثيرة جدا وتاريخ الهند الجديد
الغربى تركى لبعض المتأخرين نقله من الافرنجى وضم اليه اشياء
من شرح التذكرة فذكر اخبار القطر المعروف بينكى دنيا اعنى امريكا
واوصافها وخواصها وكيف وجدها المتأخرون بعد ما عجز المتقدمون
عن الوصول اليها وقد ذكرنا طرفا من احوال الهند وماجرياتها فى
حجج الكرامة فى آثار القيامة فان اردت الاطلاع عليها فعليك بها
تجدها كتابا لا مثل له فى بابه وبالله التوفيق وهو المستعان ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم الشان ولما بلغ القول منا الى هذا المقام
ختمنا الكلام وسميناه * بخبيئة الاكوان * فى افتراق الامم على المذاهب
والاديان * وهى اخت رسالتنا المسماة بلقطة العجلان مما تمس الى
معرفته حاجة الانسان وهاتان اختان ابوهما « اعنى المؤلف » واحد
وامهاتهما يعنى مآخذهما شتى ولا بد من جمعهما لمن يروم الفائدة
التامة والمنفعة العامة كيف وقد اجتمعت فيهما نتائج افكار المحققين
من السلف * ووقفت عندهما انظار المحصلين من الخلف * فهما
جنتان * ذواتا افنان * فيهما من كل فاكهة زوجان * والذى
غرسهما بيده فى بساتين القراطيس * واطلقهما فى مروج الكراريس *

* يسمى «بصديق بن حسن بن على» ويكنى بابى الطيب القنوجى *
* البخارى ختم الله له بالحسنى * واذاقه حلاوة رضوانه *
* الاسنى * وحشره فى زمرة الصالحين وجعل له لسان *
* صدق فى الآخرين * وآخر دعواه ان الحمد لله *
* رب العالمين * وصلى الله وسلم على رسوله *
* محمد سيد الانبياء وخاتم المرسلين * *
* وعلى آله واصحابه هداة المسلمين *
* الى النعيم المقيم * وحداة *
* المؤمنين الى دار اليقين *
* ومقام كريم *
* ∴ *





يقول العبد الفقير الى ربه مولى المواهب * سليم فارس مدير الجوائب *
قد نوهت فى احدى الجوائب بالتآليف النفيسة التى اجادها بحر
العلوم العربية * وفخر الامة الاسلامية * وبدر الاقطار الهندية * الملك
الهمام * الذى اشتهر فضله ونبله بين الخاص والعام * النواب السيد
محمد صديق حسن خان ملك بهوپال * امام كل من كتب وقال * وملاذ
كل من فى ظله قال * والآن اقول انه صدر امره السامى الشريف *
ورسمه العالى المنيف * بان هذه الكتب المذكورة * والنفائس المذخورة *
تطبع فى مطبعة الجوائب * فتلقيت امره بالامتثال كما هو الواجب *
وعجلت اولا الى طبع احدها وهو هذا الكتاب المسمى «بلقطة العجلان»
فجاء بحمده تعالى فى غاية الضبط والاتقان * يعجب الناظر فيه *
ويروق متأمل معانيه * فانه جمع فاوعى * وحوى من كل اجناس الفوائد
جنسا ونوعا * فهو جدير بان يكون فى خزائن الملوك * ويستفيد منه
المالك والمملوك * فاحرص على اقتنائه ايها الاديب * وادع المؤلف
بطول العمر فانه عند اهل الادب اوفر حظ ونصيب * ولهذا قرظه
عدة من العلماء * ونوهوا به للكبراء والعظماء * فادرجنا تقريظهم
زيادة فى محاسنه * وان كان حسنه مستغنيا فى نفس الامر عن ذلك
عند زاكنه * وهذا ترتيب ما ورد الينا من كلامهم * وبديع نظامهم *

﴿ للعالم العلامة النحرير المهذب ، الشيخ ابراهيم افندى الاحدب ﴾

﴿ محرر ثمرات الفنون * الذى تشهد بفضله الشروح والمتون ﴾

اما بعد حمد الله تعالى على ترادف آلائه * وصلاته وسلامه على خير
خليقته واصفيائه * وعلى آله وصحبه * وشيعته وحزبه * فانى وقفت

وقوف ناظر بعينى البصيرة والبصر * متدبر بمرآة الفكر ما لا تصل الى
كنهه ادراكة الفكر * على مؤلف جليل وسم بلقطة العجلان * وذيل له
عرف بخبيئة الاكوان * لحضرة المولى النبيل * والملك الجليل * محرز
فضيلتى العلم والعمل * وموضح سنن الفضائل بعطف فضله بلا بدل *
الفاضل الذى جاء بما يديه لما اندرس من آثار العلم خير معيد *
الخليق بكل شكر وثناء لما ابدعه من الفنون فى هذا العصر الجديد *
السيد محمد صديق حسن خان * ملك مملكة بهوپال من الهند
فى هذا الزمان * امد الله تعالى فى حياته * وكفر سيئات ما جناه
علينا الزمان بنشر حسناته * فاذا ذلك المؤلف وذيله كتابان بديعان *
نشرا فى طى تلك الصحف من بيان المعانى ما يقصر عنه بديع الزمان *
حيث قيدا اوابد الفوائد * ونظما فى سلك التقرير انواع الفرائد *
واتيا من علم التاريخ ما يتأثر به ابن الاثير * ومن فن الهيئة ما يستخرج
به ابو معشر دقائق الخبايا فى التقرير * ومن بيان افتراق الاديان فى العلم
والعمل * ما ينتحل طريقه صاحب الملل والنحل * فما ابدع تلك اللقطة
التى ظفر بها العجلان * وقصر عن ادراك ما فيها العاجز والكسلان *
فيجب ان يعرف بشأنها وان كانت معرفة لا تقبل التنكير * ويسوغ
ان يتمتع بعقود دررها الغنى والفقير * لكن لا يجوز ان ترد الى
صاحبها مع معرفته * بل يجب ان يستأثر بها المؤمن حيث كانت
اجل حكمة وهى من ضالته * فهو يقف بها وان سرحت افكاره
على خبايا فى زوايا الغيب * بحيث يكون على يقين بادراك ما خفى على
سواه بلا ريب * اذ لم يخرج مبديها حفظه الله تعالى عن السنة
والكتاب * ودخل الى بيت العلم لادراكها من خير باب * فبين الليالى
والايام * والشهور والاعوام * واصعد الفكر درجات فى بيان الساعات
بالدقائق * واتى بالسهل الممتنع على سواه فى مجاز تلك الحقائق * وابان
فصول العام بما طاب به نسيم الصبا * واطلع للاحداق فى حدائق

تلك الطروس زهر الربى وفصل الكواكب فى منازلها بما تمنطقت لخدمته الجوزآء * وجعلت الثريا شنفا لغانية حينما طلعت الزهرة غرة لها فى السمآء * ولم يخل بذكر ابتداء الامم والدول * وحديث الملاحم التى ترك كثير بعلمها العمل * والمع بذكر عمر الدنيا الفانية * وان كان لا يؤثرها على الاخرى الباقية * وافاد انواع الامم واختلاف اجيالهم مع تفصيل الانساب * وبين نبذة من تاريخ بعض الرسل والامم جاء فيها بالعجب العجاب * واحسن بيان طبقات الدول والملوك * بما اوضح بنظم درره السلوك * مما يشوق الناظر اذا اعمل فى تدبره الحواس * واستعاذ به مما فى كتب الملحدين من شر الوسواس الخناس * وخلاصة القول فيه لمن هو بنظر الانصاف فيه سالك * انه كتاب جليل القيمة يستقيم به تقويم المسالك * ويستغنى من اقتناه عن تلك الكتب المطولة * بما يفصل له شقة الكون اذا اجمل ما فصله * وقد اصاب بجعل ما فيه مما تمس اليه حاجة الانسان * اذ يقبح به ان لا يطلع على ما فيه من معانى البيان * فجزى الله تعالى مؤلفه خير الجزآء * واثابه عليه بانفاق فضله لجهاد نفسه فى هذه الليالى الكافرة بابداع الابداء * واطال ايامه بالعز والاقبال * ليكون عدة فى هذا الزمن لغرابق الآمال * وادام بدر الهند يمد اقطارنا العربية بانواره * ويفيض على اوطاننا من مدد يراعه ما يستمد به الولى من اسراره * ورجائى من بيض اياديه * ان يقبل ثنائى وان قصرت فيه * غير انى اقول بما اشعر به من الموزون * وان رغم انف قوم يذمون الشعر وهم لا يشعرون *

* اهدت الى قلائد العقيان * بحلى البدائع لقطة العجلان *
* وجلت على من البيان سطورها * فقرا نظمت بها عقود جمان *
* وتبرجت منها لدى عرائس * اغنت فؤادى عن وصال غوانى *
* فحلت مواردها وقد حلت عرى * همى وجيد مسرتى ولسانى *

من

* من كل سطر قد بدت الفاته * تبدى فنونا وهى كالافنان *
* جاءت بما علم الاوائل قبلنا * مما وراء الغيب بالكتمان *
* درر زهت غرر البديع بنظمها * لما تجلت فى اجل بيان *
* وافت بتاريخ الزمان وما حلا * فيه ومر على بنى الانسان *
* وابانت الدنيا ومن فيها مضى * حتى حديث الشمس بالحسبان *
* وبها على الاسماع طافت راحة * بصفائها قد صح سكر جنانى *
* صعدت الى السبع الطباق فازلت * بسناء كوكبها على كيوان *
* قد فصلت امم الورى وملوكهم * بمفصل الياقوت والمرجان *
* سفر شريف اسفرت منه لنا * اقمار حق فى سما العرفان *
* وعلا على الفلك الاثير فما ابنه * بجليل ما فيه من الاتقان *
* لله ذيل قد اضيف له به * ابدى اختلاف مذاهب الاديان *
* حققت فيه الجوهر الفرد الذى * قد ارغم النظام بالبرهان *
* اهدى الثناء لسيد ابداهما * لعصابة الادباء بالاحسان *
* ولى من الهند اقتفت آثاره * بث العلوم بشاسع البلدان *
* ومحمد المهدى جاء مجددا * بسنا الرشاد معالم الايمان *
* فانار اقطار الوجود بفضله * رغما لاهل الزيغ والطغيان *
* ابدى لنا العلامة الثانى وان * سميناه اول ما له من ثان *
* ملك جليل القدر حيث بدا يرى * سامى العلا رغم العدى والشانى *
* لا زال نشر من خبايا فكره * ما فاح عرف الطيب فى الاكوان *
* وسرت له سير تفض لطائما * يكبو الكبا منها بكل مكان *
* فادام فضل هداه فينا باقيا * يحيى الوجود وكل شئ فان *

﴿ للعالم العلامة المهذب النحرير * الشيخ يوسف افندى الاسير ﴾

﴿ محرر المتون والشروح اى تحرير ﴾

حمدا لمن خلق الانسان وعلمه البيان * واوصله لذلك بخطاب اللسان

وخط البنان * اذ لولاهما لم يصل الى العرفان * وكان ملحقا بسائر الحيوان وانما الكتب المؤلفة * اعظم وسائط المعرفة * وحافظة لها من الضياع * اذ كل علم ليس فى القرطاس ضاع * فهو صوان غررها ادراريها * وصدف دررها وفلك دراريها * لاسيما المؤلف الأوف الحاكى للروض المألوف * المسمى بلقطة العجلان * اذ كل كتاب فى فنه منه خجلان * لا غرو ان اقوال الملوك ملوك الاقوال * و اذا نجم البدر انطفأ نور النجوم وزال * كيف لا ومؤلفه شمس المعارف * ذو العوارف والفضل الوارف * على الشان * عزيز السلطان * محمد صديق حسن خان بهادر * ادام الله تعالى بهاء دوام كلامه بالكمال واباد كلام عدوه الهادر * فلله دره كيف انتخب دقيق فوائده الجليلة الانيقة * وغاص على احراز فرائده الجليلة الرقيقة الرشيقة * وسعى حتى وصل الى الحقيقة * ولكن باجمل اسلوب واحسن طريقة * فصاد تلك الاوابد الاوانس * وجمع اشتات تلك الشوارد النفائس * كتاب تشتهيه كل النفوس * وتشتريه بقرطيها كل عروس * منزه عن اللغو والتأثيم * نزهة لكل ذى ذوق سليم * سطوره فى طروسها * كسطور الجنان فى غروسها * جناه دان لكل جانى * بديع المبانى بريع المعانى * ما سمحت قريحة بمثاله * ولا نسجت يد على منواله * فهو سلافة العصر * وبتيمة الدهر * يفوح منه نفح الطيب * ويصفه كل طبيب * لا زال مصنفه مشمولا بصنوف شمائل الكمال * مستويا على عرش الملك بكل توقير واجلال * مشرقا فى فلك السعادة * مشرفا بكل سيادة * ذا همة علية * وفكرة شعرية جلية * متلقيا راية الحمد باليمين * منظورا بعين عناية رب العالمين * بجاه ختام الانبياء والمرسلين * عليه وعليهم الصلاة والسلام اجمعين * شعر

* اعقود تنظمت من جمان * تتحلى بها صدور الحسان *
* ام جنان فيها خمائل زهر * وفنون الثمار فى الافنان *

* ام كتاب حوى التواريخ طرا * وبيان الاديان بالاتقان *
* ذو اختصار بلا اختلال لهذا * قد تسمى بلقطة العجلان *
* فله الله ما الذ واشهى * ما حوى من بديع حسن البيان *
* فائق رائق انيق زنيق * معجب مطرب رشيق المبانى *
* ما سمعنا بمثله او رأينا * فلهذا نصونه فى الجنان *
* حفظ الله اعلا عقتة * وفؤادا التى انتك البنان *
* يا له من مصنف لبديع * ببيان ازرى على الهمدانى *
* قلت لما رأيته صح ما قيل كلام السلطان كالسلطان *
* فجزاه الاله عنا بخير * نافعا للورى عظيم الشان *

« للعالم الفاضل البارع النحرير السيد خليل افندى البربير »

* نفحات الكبا بعرف الجنان * عرفتنى بما اراح جنانى *
* ام كؤوس ادارها اكحل الطرف علينا من ثغره الاقحوانى *
* ظبى انس بديع خلق وخلق * ماله وهو مفرد الحسن ثان *
* ان بدا وجهه وماس دلالا * لاح بدرا علا على غصن بان *
* صد عنى ولم يكن لى ذنب * غير ذل الهوى به والهوان *
* كم اناديه وهو غير مجيب * واعانى من عطفه المران *
* عادل القد جار ذو دلال * وجناه قد سعرت نيرانى *
* طرفه البابلى ينفث سحرا * راح هاروت من معانيه عانى *
* خص بالحسن فى الملاح ولكن * لم يجانسه منه بالاحسان *
* صده زادنى كجفنيه سقما * فتى منه اشتفى بالتدانى *
* لست اسلو التقاط در حديث * منه الا بلقطة العجلان *
* الكتاب الذى جلا كل معنى * جامعا مبديا بديع المعانى *

* من تآليف مفرد العصر مولى الـفضل بين الملا رفيع الشان *
* المليك المفضـال رب المعالى * والنبيل النبيه سامى المكان *
* ملك تحسـد النجوم علاه * حيث عنه تنزل الفرقدان *
* ذو المعالى محمد من تبدى * حسنا صادقا بهى المعانى *
* تاج اهل الكمـال بين البرايا * درة الفضل عقد جيد الزمان *
* ناظم بسهل ابن سهل مقاما * عنده مثلما يهون ابن هانى *
* ملتقى ابحر العلوم فـرده * تلق وردا حلا بنيل الامانى *
* ذكره ضاع نشره فاهتدينا * بشـذاه الى رياض الجنان *
* واياديه فضلهـــا لمريد * بالعطـايا كالعارض الهتان *
* ذو يراع يروق فى الطرس وشيا * بمعان تغنيك عن بنت حان *
* اسمر يخجل الرشاق العوالى * رمحـه لم ينله حد اليمـانى *
* قد جلاه لنـا جليل مقـام * ركن عز فى مذهب النعمان *
* بحصول المأمول منه اجتلينا * حسن علم الاصول بالتبيـان *
* وبهذا الكتـاب ابدى فنونا * بمعـان تجلو عقـود الجمان *
* كم ارانا من حكمة فيه لمـا * قام يروى اخبار اهل الزمان *
* فابن خلدون لو رآى طرفا من * طرف منه راح بالوجد عانى *
* يا له الله من كتاب فريد * لاح كالعقد فى نحور الحسان *
* قد شممنا من نفحه كل طيب * اظهرته خبيئة الاكوان *
* و حبـانا من البديع بديعا * معربا للسمـاع لحن المثانى *
* دام منشيه سامـيا بسعود * ومقام يعلو على كيوان *
* ما تحلت اجيـادنا بعقود * من كتاب ابدى لآلى البيان *
* فاح بالطبع للذى قال ارخ * طيبـا نشر لقطة العجلان *

٣٢ ٥٥٠ ٥٣٩ ١٨٥

سنـــة ١٢٩٦

